

# عِيسَاة

## فيروز النبي وأهل بيته

مَشْعَرُ الْهَيْ

تَقْرِيرُ الْأَعْيَانِ الْأَسَازِ  
الْمَحَقِّ آيَةَ اللَّهِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ السَّنَدِ

بِقَلَمِ

الْإِسْلَامِيِّ حَسَنِ الْبَغْدَادِيِّ

مَوْكِسْتَةُ الْأَعْيَانِ لِلْمَطْبُوعَاتِ

المكة المكرمة - دار نشر دار الفاروق

عَمَّارَةٌ  
قُبُورِ النَّبِيِّ وَاهْلِ بَيْتِهِ  
مَشْعَرُ الْهَيْ



عَمَّارَةٌ  
قِيُومُ الْبَيْتِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ  
مَشْعَرُ الْهَيْ

تَقْرِيرُ الْأُمَّانِ الْأَسَازِ  
الْمَحَقِّ آيَةِ اللَّهِ لَشَيْخِ مُحَمَّدٍ السَّنَدِ

بِقَلَمِ  
الْإِمَامِ هُوسَيْنِ الْبَغْدَادِيِّ

منشورات  
مؤسسة الأعلی للمطبوعات  
بيروت - لبنان

الكتاب: ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي  
 تقريراً لأبحاث ..... المحقق آية الله الشيخ محمد السند (دام ظله)  
 بقلم: ..... إبراهيم حسين البغدادي  
 الطبعة: ..... الأولى - حقوق الطبع محفوظة  
 سنة الطبع: ..... ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الأخراج الفني: محمد الخوري



**Published by Aalami Est.**

Beirut Airport Road

Tel: 01/450426 Fax: 01/450427

P.O.Box. 7120

E-mail: [alaalami@yahoo.com](mailto:alaalami@yahoo.com)

<http://www.alaalami.com>

مؤسسة الأعلمي للطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب ستر زعرور

هاتف: ٠١ / ٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١ / ٤٥٠٤٢٧

صندوق بريد: ٧١٢٠



## المقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على  
اعدائهم من الأولين والآخرين الى قيام يوم الدين.  
وبعد....

إن قضية بناء قبور النبي وآله (صلوات الله عليهم) وتقديسها والتبرك بها من القضايا  
المهمة بل من معالم أركان الدين لدى الطائفة الشيعية، بل وبعض الطوائف والمذاهب  
الأخرى، وفي المقابل هي أيضاً من القضايا المهمة لدى الفرقة السلفية والوهابية ولكن من  
ناحية أخرى وهي هدمها وطمسها، والحكم بالكفر والشرك بالله على من سعى الى  
عمارتها وتقديسها، والأمر ليس بجديد علينا، فإن بني العباس بحقدهم قد هدموا قبر  
الحسين (عليه السلام) لأكثر من مرة فالقوم أبناء القوم، ولكن في الوقت الحاضر أخذت هذه القضية  
المهمة إتجاه سياسي بين الدول الإسلامية، ودخلت ضمن قضية عالمية وهي ما يعبر عنها  
بـ (الإرهاب).

إن الإرهابيين أو السلفيين أو الوهابيين، ما شئت فعبّر، دورهم الرئيسي والمهم -  
خصوصاً في هذه الفترة - هو فصل الأمة الإسلامية عموماً، والشيعية خصوصاً، عن النبي  
ﷺ وأهل بيته الأطهار، وبأي طريقة أو وسيلة، ولذا نراهم يفجرون ويقتلون بإسم

٦ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

(الدين) و(التوحيد)، حتى خرجت فتاواهم بقتل الشيعي وهدر دمه، وتهديم قبور الإئمة ﷺ، بل حتى هدم الكنائس ودور العبادة للأديان الأخرى، حتى أن بعض رجال الدين من السلفية ك (أبن جبرين) أفتوا مراراً وتكراراً بهذه الفتاوى الشيطانية والزندقية.

إن قضية هدم قبور البقيع، وما تبعها من هدم قبور سامراء، من أعظم الجرائم في حق أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم) وهتك حرمتهم، وهم يعملون كل هذا بإسم (التوحيد لله)، والله بريء منهم ومن أفعالهم الشريرة.

إن أصل التوحيد هو أخذ كلام الله تعالى والعمل به، وهو القائل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(١)</sup>، وجعل مودتهم أجراً لرسالة النبي ﷺ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٢)</sup>، بل جعلها من تمام الحج: ﴿فَاجْعَلْ أَقْدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

فادعاء التوحيد الذي يطلبون به، هو غير التوحيد الذي يريده الله لنفسه، وغير التوحيد الذي دعا إليه رسول الله ﷺ والإئمة الأطهار ﷺ، وعليه فتوحيدنا غير توحيدهم، فتوحيدهم يدعو إلى وثنية التجسيم وأصالة الحس والمادة وأنكار كل ما هو غيب وخفي عن الحس وإلى الجاهلية الأولى، وتوحيدنا هو التوحيد الذي دعا إليه رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت ﷺ، بل الذي دعا إليه خليل الله إبراهيم ﷺ وهو العبودية الخالصة لله ﷻ وهذا ما سيتضح لك في طيات هذا الكتاب، وبأدلة قرآنية عقلية، وأدلة روائية ومن الفريقين، ناقشها سماحة الشيخ الأستاذ (دام عزه) في خمس وعشرين محاضرة ألقاها سماحته لبيان هذا البحث المهم والحساس.

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) إبراهيم: ٣٧.

حيث عالج فيها هذه الشعيرة المقدسة وبأدلة لم تطرح وترى النور سابقاً، وهذا هو ديدنه (حفظه الله) في علاج مثل تلك القضايا الحساسة، وبأدلة وبراهين قاطعة، قلّ من يناقشها بشكل مفصل، وموسع، حيث لم يترك أي نقطة من النقاط إلا وناقشها نقاشاً علمياً وعقلياً بشكل دقيق، كما بحث ذلك في الشهادة الثالثة، أو العولة والأرهاب، أو العقل العملي وغير ذلك كثير.

نسأل من الله تعالى أن يمد في عمره الشريف، خدمة لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وأن لا يحرمانا من بحر علومه العذبة، التي لم يذقها أحد إلا وأحس بطعمها وشعر بأنيس معه. وأخيراً وليس آخراً، نحمده ونشكره على هذا الرزق الذي أساقه إلينا، ونحن بحاجة، وأسأله أن يتقبل مني هذا العمل ليكون لي ذخراً يوم رحيلي عن هذه الدار الفانية. ولا يفوتني أن أشكر فضيلة الشيخ محمد رجب البحراني على تدوينه البحث الروائي من الفصلين الثالث والرابع، إلا أنني رغم ذلك قد قمت بجملة من التنقيح لنسق الاستدلال وتقويم العبارة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ذكرى وفاة الصديقة الشهيدة عليها السلام

١٤٣٠ هـ النجف الأشرف

إبراهيم حسين البغدادي





## المدخل

يقع الحديث في قاعدة ((مشاهد وقبور أئمة أهل البيت عليهم السلام مشاعر إلهية)) وهي قاعدة فقهية عقائدية مسلمة، لم يتناولها فقهاء الإمامية (رضوان الله عليهم) بشكل مستقل ومنفرد ومركز، وإنما تناولوها عبر طيات أبحاثهم المتعددة، مما جعلها قاعدة متصيدة من كلماتهم، وقبل الخوض في هذه القاعدة نشير الى ثلاث نقاط مهمة لها صلة ببحثنا هذا:

**الأولى:** إن التعبير بالمشاعر عبر به الشيخ كاشف الغطاء<sup>(١)</sup>، بأن الله تعالى شَعَرَ مواضع أو قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام، أي جعلها مشاعر، ومن ثم تجري عليها أحكام المساجد. بل أحكام المشاعر الأخرى كالحرم المكي والحرم المدني ومنى والمزدلفة والتي هي أشد حرمة وعظمة من أحكام سائر المساجد والمشاعر من مشعر الذي يشعر من شعيرة<sup>(٢)</sup>،

---

(١) كشف الغطاء: ٥٤.

(٢) (الشعيرة): ما ندب الشرع إليه وأمر القيام به. وفي كتاب (العين) للخليل: أنت الشعار دون الدثار: تصفه بالمودّة، وأشعر قلبه: ألبسه، وليت شعري: علمي، وشعرته: عقلته وفهمته، والمشعر: موضع النسك، والشعار والشعيرة: أعمال الحج، والشعيرة: البدنة، وأشعرتها لله نسكاً: جعلتها شعيرة تهدي، وأشعارها: أن يوجأ سنامها بسكين فيسيل الدم على ضيها فيعرف أنها هدي.

الجوهري في الصحاح: كل ما جعل علماً لطاعة الله، والمشاعر: الخواس، وشعار القوم في الحرب: علامتهم ليعرف بعضهم بعضاً، أشعرته فشعر: أدريته فدرى.

ولم يزد الراغب في المفردات عليهما.

القاموس: أشعر الأمر: أعلمه، أشعرها: جعل لها شعيرة، وشعار الحج مناسكه وعلاماته، المشعر: موضعها أو معالمها التي ندب الله إليها. ابن فارس: الإشعار: الإعلام من طريق الحس - وهي لفظة مهمة -، المشاعر: المعالم وهي

١٠..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

لكن بخصوصه وبنص منه تعالى، فيكون في حرمة ووقفته أشد من بقية الأوقاف الأخرى، مثل إن الله شعر وحرم البيت الحرام، وشعر النبي ﷺ حرم المدينة وهلم جرأ.

## الأقسام القرآنية:

وقد قسم الله تعالى بأربعة مواضع في قوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾<sup>(١)</sup>، والمراد بالتين أي بلد التين، وهو بلد المدينة المنورة، وبالزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس، ولعل إطلاق إسم الفاكهتين على الموضعين لكونهما منبتيهما، ولعل الإقسام بهما لكونهما مبعثي جم غفير من الأنبياء، وقيل غير ذلك.

والمراد بطور سينين، الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام، والمراد بهذا البلد الأمين مكة المشرفة لأن الأمن خاصة مشرعة للحرم<sup>(٢)</sup>، وهي فيه قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقيل إن طور سينين يعني ظهر الكوفة، فهنا القسم من الله تعالى بهذه المواضع الأربعة يدل على عظمتها، والتعظيم يعني جعل حرمة لها، فالآية الكريمة في صدد التعظيم، ولعظمتها قسم الله تعالى بها، وبالدلالة الإلزامية يدل على أن الله تعالى يعظم هذه المواضع الأربعة وبالتالي يشعرها، فمن القسم يستفاد منه عدة مقدمات التي منها تشعير هذه المواضع.

---

المواضع - الحسية - التي أشعرت بالعلامات، ومنه الشعر لأنه بحيث يقع الشعور - العلم الحسي -، ومنه الشاعر لأنه يشعر بفطنته بما لا يفطن له غيره.

القرطبي نقلاً عن بعض اللغويين: كل شيء لله فيه أمر أشعر به وأعلم يقال له: شعار، الشعار: العلامة، أشعرت: أعلمت. الشعائر الدينية: ١٥ - ١٦.

(١) التين: ٣-١.

(٢) الميزان ج ٢٠: ٣٦٤.

(٣) العنكبوت: ٧٦.

إذاً هذه القاعدة الفقهية لها جذرٌ عقائدي، فبالتالي هي قاعدة دينية ومعلم ديني هام وله حرمت في قبال من ينتهج هتك هذه الحرمات والذي ينعتها بنعت الوثنية، والذي هو أحق بأن يوصف بهذا النعت، وسوف يأتي أن القائلين بهذه المقولة هم أصحاب أوثان بنص القرآن الكريم.

وهؤلاء الذين يحاربون هذه المشاعر المشرفة هم في الواقع يدعون الناس الى الجاهلية الأولى وبنص من القرآن كما سيتضح.

## القاعدة والفهاء:

وقد بحث الفقهاء هذه القاعدة الشريفة في باب الصلاة بلحاظ القصر والتمام، وكذلك بحثوها في كتاب الحج بلحاظ أبواب الزيارة من توابع الحج، وبحثوها أيضاً في باب الشهادة والقسم باعتبار أنها تغيير الشهادة أو تغيير القسم، وما شاكل ذلك.

فقد أفتى السيد المرتضى وابن جنيد وغيرهما من المتقدمين وتبعهما الشيخ حسين العصفور، باستحباب التمام للمسافر في كل مشاهد المعصومين عليه السلام<sup>(١)</sup>، نظراً لما ورد من روايات متواترة ومستفيضة على تضاعف ثواب الصلاة في تلك المواضع المقدسة، وقد عللوا العلمين - المرتضى والعصفور - ذلك لأجل مضاعفة الثواب كما سيتضح ذلك بشكل مستقل. وذكر الشيخ الطوسي في المبسوط<sup>(٢)</sup> أن الصلاة عند أمير المؤمنين عليه السلام من ناحية القصر والتمام كالمساجد الأربعة التي يتخير فيها المسافر بين القصر والتمام، وعلل ذلك أن إتمام الصلاة في مسجد الكوفة لأنها حرم أمير المؤمنين عليه السلام والقبر هو موضع الحرم ومركزه<sup>(٣)</sup>.

(١) قال السيد المرتضى: لا تقصير في مكة ومسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومسجد الكوفة ومشاهد الإئمة عليهم السلام: جمل العلم والعمل: ٨٣. وبهذا القول قال أيضاً ابن الجنيد كما نقله العلامة في المختلف ج ٢: ٥٥٦.

(٢) المبسوط ج ١: ١٤١.

(٣) روي الشيخ الطوسي في التهذيب بسنده عن حماد بن عيسى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: من مخزون علم الله الإتمام في أربع مواطن: حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين وحرم الحسين ابن علي (عليهم السلام) / التهذيب ٥: ١٤٩٤/٤٧٥.

١٢ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

والروايات صحيحة السند ومتعددة في آداب زيارة أمير المؤمنين عليه والتي توصف البقعة أنها حرم أمير المؤمنين عليه، هي مسجد الكوفة والقبر الشريف وما بينهما. إذاً مواضع وقبور المشاهد المشرفة مشاعر إلهية يندب الصلاة فيها، وتندب كل أشكال العبادة أيضاً.

الثانية: وفي قبال ذلك المذاهب الإسلامية الأخرى كالأحناف والشوافع والحنابلة فإنهم يذكرون في آخر كتاب الحج زيارة قبر النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

ونقل السمهودي\* في وفاء الوفاء: قد انعقد الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة، حتى على الكعبة المنيفة<sup>(٢)</sup>.

وقال في خطبة الكتاب: وتشرفت بالخدمة في إعادة بنيانها، وتجنبت شهود نقض أركانها، وحضيت بالوقوف على عرصتها، وتمتعت باتشاق تربتها، ونعمت العين بالأكتمال بأرضها الشريفة، ومحال الأجساد المنيفة، فامتلاً القلب حياء ومهابة،.....<sup>(٣)</sup>.

فإذن هو يتشرف ببناء الحجرة الشريفة، ويفتي بالإجماع على أن أعضاء جسد الرسول أفضل حتى من الكعبة، وسوف نستشهد بأكثر من هذا كما سيأتي في طيات هذا الكتاب.

---

وأيضاً بسنده عن زياد القندي قال: (قال أبو الحسن (عليه السلام): يا زياد أحبُّ لك ما أحبه لنفسي وأكره لك ما أكرهه لنفسي أتم الصلاة في الحرمين، وبالكوفة، وعند قبر الحسين (عليه السلام). نفس المصدر: ١٤٩٧. ثم قال الشيخ الطوسي معلقاً على هذا الحديث: ولم يقل بمسجد الكوفة.

وقال صاحب المدارك حول الرواية الأولى معلقاً: وهذه الرواية معتبرة الأسناد، بل حكم العلامة في المختلف بصحتها، وهو غير بعيد، وفي معناها أخبار كثيرة فلا بأس بالعمل بها إنشاء الله تعالى: مدارك الأحكام: ٤: ٤٦٨.

١) أنجى إلى القبر الشريف، مستقبلاً له ومستديراً القبلة، فيسلم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قائلاً: السلام عليك يا رسول الله.. فقه السنة ج١: ٥٢٣.

\* هو الإمام الحجة نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي السمهودي، مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها، ولد في سمهود (بصعيد مصر) سنة ٨٤٤هـ (١٤٤٠م) ونشأ في القاهرة، وأستوطن المدينة سنة ٨٧٣هـ. توفي في المدينة المنورة سنة (٩١١هـ) وقاء الوفاء ج١: ١٠٥.

٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ج١: ٣١.

٣) نفس المصدر: ص ٧.

فقد روى الحسن عن أبي حنيفة أنه إذا كان الحج فالأحسن للحاج أن يبدأ بالحج ثم يشي بالزيارة جاز، وهو ظاهر. أذ يجوز تقديم النفل إذا لم يخش الفوت بالإجماع. ثم يقول: فإن مرَّ بالمدينة كأهل الشام بدأ الزيارة لا محالة، لأن تركها مع قربها يعد من القساوة والشقاوة، وتكون الزيارة حينئذ بمنزلة الوسيلة وفي مرتبة السنة القبلية للصلاة<sup>(١)</sup>. بل في مورد آخر يقول أنها قرية - زيارة قبر النبي ﷺ - من الوجوب لمن له سعة. وهنا يتضح أن من ترك زيارته ﷺ فهو قاسي وشقي، بل جعلها واجبة لمن له سعة، وهل من يذهب إلى مكة ويمر بالمدينة ليس له سعة؟ والمهم نحن لا نريد أن نكون من القساة أو من الأشقياء ولذلك لا نترك زيارته ﷺ، بل لا نترك زيارة ذريته الطاهرة أيضاً.

### الثالثة: العقائد والفقه:

إن فهم الفقه وربطه بالعقائد يعطي للإنسان بصيرة وعمق، وإتقان إلى أنه كيف الفروع تنفرع عن الأصول، وهذا الفهم بهذا النمط يعطي للإنسان معرفة ونظرة منسجمة عن أن الفروع لا تبتز عن الأصول، فالاشتغال بالفروع والأصول ضروري، فإن الإشتغال بالعقائد يستلزم الإشتغال بالفقه، فيصبح هناك نوع من الموازنة بين بحث العقائد وبحث الفروع.

ومن باب المثال، نحن لدينا أن القضاء لا يصلح إلا لنبي أو وصي أو شقي<sup>(٢)</sup>، ومعنى هذا أن من يقضي لا بد أن يكون بالنيابة عن الوصي لأن القضاء ولاية، فإذا قلنا أنه في زمن الغيبة أن الأمة هي التي تنصب القاضي - كقاضي التحكيم مثلاً - فهذا حدث بتر للولاية في باب القضاء عن ولاية المعصوم، أو لا سامح الله نجري في باب الفقه تنظير في

(١) حاشية رد المختار لأبن عابدين ج ٢: ٦٨٩.

(٢) إشارة إلى قول الإمام علي عليه السلام لشريح: يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي أو وصي أو شقي، الكافي



١٤ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليهم مشعر إلهي

باب الحسبة، بمعنى أن الأذن الخاص من الإمام المعصوم غير موجودة فنأخذ الأذن من الله ﷻ، وهذا أيضاً بتر للولاية.

فكل الأبواب الفقهية جذورها وخيوطها ترجع إلى ولايتهم عليهم. وهذا أيضاً نظير ما ذكر في باب الاجتهاد والفتيا، من أنه هل يشترط أن يكون المجتهد اثنا عشرياً أو لا ؟

فإن الفتيا سلطة تشريعية ترجع الى ولاية المعصوم التي هي في طول ولاية النبي ﷺ، حيث قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾<sup>(٢)</sup>، فالأخبار هم في طول الربانيون لا أنهم مستقلين ومستفدين.

إذاً كل باب من أبواب الفقه يرجع الى ولاية المعصوم، يعني الى أصول عقائدية، فمن الخطر جداً تنظير أبواب فقهية بمعزل عن الأصول العقائدية، ولذلك نرى جملة من الفقهاء الذين لديهم منشأ عقائدي تكون لديهم صبغة فقهية أثبت وأمتن كالكليني وغيره، ولذا نرى الشيخ الكليني عندما بحث مبحث الخمس بحثه في الأصول<sup>(٣)</sup> وليس في الفروع، لأنه مرتبط بولايتهم، فمثلاً أن البعض يرسم أن سهم الإمام مجهول المالك، فنحن من باب وظيفة الشارع وأذن الشارع في كيفية صرف مجهول المالك، نصرفه في المصارف التي رسمها الله لنا، وهذا التصرف فيه تخطي على ولاية المعصوم.

ولذلك نرى أن الشيخ الكليني وغيره كالشيخ الصدوق والشيخ المفيد في المنفعة دائماً عندهم مزج بين البحوث الفقهية وجذورها وقواعدها العقائدية، وأن هذا البحث الفقهي

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) الكافي، ج: ١، ٥٣٨.

من أي قاعدة عقائدية نشأ، وتكون تلك القاعدة العقائدية هي المهيمنة على ذلك الباب الفقهي، وإلا يكون الفقه فقه عامياً أو أباظياً أو زيدياً، فعدم الألتفات خطير جداً، كالتائب في البرلمان الذي لا يعرف المواد الدستورية.

((إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة وما خلاهن فهو فضل))<sup>(١)</sup>، فالفريضة العادلة هي إشارة الى فقه الفروع، والسنة القائمة إشارة الى تهذيب النفس والأخلاق، والآية المحكمة تعني العقيدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ف عزل الأصول أو القواعد العقائدية عن القواعد الفقهية يوجب الإرباك في البحث الفقهي، فإن ملاحظة الأدلة ومناسبتها مع العمومات الفوقانية أثبت في أستنتاج الأدلة. إذاً فالقواعد العقائدية بمنزلة عمومات فوق الفوقانية لتأثيرها في الدلالة.

### أدلة القول بحرمة بناء القبور وعمارته:

أستدل الوهابيون أو السلفيون بجملة من الأستدلالات، التي أستدلوا بها على حرمة زيارة تلك القبور الطاهرة وعمارته والتبرك بها، وهي عبارات زندقية وشيطانية، وإنما نتهج بالتعبير بمثل هذه الألفاظ معهم، لأن الأمر خطير وهذه القاعدة الشعيرية خطيرة جداً، والأمر الأكثر خطورة أنهم لا زالوا الى الآن تطبع لهم تلك الكتب التي يتجراون فيها وبصريح الكلام على حرمة قبر النبي ﷺ حيث يقولون أنهم لو أوتوا القدرة لهدموا القبة النبوية، وفعلوا لو وقع هذا الأمر بأيديهم لجعلوا قبر النبي ﷺ كقبور أئمة البقيع عليه السلام.

(١) الكافي ج: ١، ٣٢، باب صفة العلم وفضله، سنن أبي داود ج: ٢، ٣، باب ما جاء في تعليم الفرائض.

(٢) آل عمران: ١٩٠.

١٦..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

والآن نستعرض جملة من الأدلة التي استدلووا بها على حرمة هذه الشعيرة المقدسة:  
**الدليل الأول:** وهو الذي استندوا إليه الوهاية أو السلفية في جحد شعيرة زيارة القبور، أو قبر النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، وقبور الأنبياء والأوصياء والأولياء بشكل عام، هو كون زيارة القبور والبناء عليها وتشيدها هو من التوسل والاستشفاع بهم إلى الله في قضاء الحاجات، وهو عين الشرك بالله، فهم يجحدون التوجه والاستشفاع بهم (صلوات الله عليهم)، ليس فقط يجحدون ركنيته في الدين بل يجحدون الدين به ومن ثم يسوغون لأنفسهم هدم قبور الأنبياء والأوصياء.

**الفصل الأول**  
**البحث القرآني العقلي:**  
**الأدلة العامة**



## البحث القرآني العقلي:

إن الأستشفاع والتوسل والتوجه بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، ليس أمراً مشروعاً وراجحاً ومرغباً فيه فحسب، بل قد دلت جملة من الآيات القرآنية على كونه شرطاً لقبول الأعمال، بل لقبول الأيمان، وذلك للبراهين التالية:

**البرهان الأول:** قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ذكرت قضية إباء إبليس عن السجود لآدم في القرآن الكريم عدة مرات وفي عدة سور<sup>(٢)</sup>، وهذه الحادثة هي بداية الفاتحة لخليقة البشرية منذ أن قال الله ﷻ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٣)</sup>، وهذه الحادثة عظيمة جداً تحمل في طياتها جملة من المعاني الجمّة جداً، وقد أستعرضها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة حيث ركّز فيها على بيان هذه القصة، وإليك بعض ما قاله عليه السلام:

(ثم أختبر بذلك ملائكته المقربين، ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمورات القلوب، ومحجوبات الغيوب: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ

(١) البقرة: ٣٤.

(٢) ص: ٧١-٧٨، الأعراف: ١١-١٣، الحجر: ٢٨-٣٥.

(٣) البقرة: ٣٠.



٢٠..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

وَفَتَحْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ،  
أعترضته الحمية فأفتخر على آدم بخلقه... الى أن يقول ﷺ: ألا ترون كيف صغره الله  
بتكبره، ووضعه بترفعه، فجعله في الدنيا مدحوراً، وأعد له في الآخرة سعيراً ١؟.

ثم قال ﷺ: فأعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهد،  
وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يدري أمن سني الدنيا أم سني الآخرة، عن كبر ساعة  
واحدة فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصية؟ كلا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة  
بشراً بأمرٍ خرج به منها ملكاً إن حكمه في السماء وأهل الأرض لواحد. وما بين الله وبين  
أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرمه على العالمين<sup>(١)</sup>.

### إبليس يقترح:

والمهم أن الله تعالى قد بين في هذه الواقعة أن عبادة إبليس - ستة آلاف سنة - كفر من  
دون التوجه بولي وخليفة الله، واللطف أنه ورد في روايات الفريقين أن إبليس أقترح على  
الباري أن يعفيه من السجود لآدم.

فقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ إنه قال: أمر إبليس بالسجود لآدم فقال: يا رب  
وعزتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدك عبادة ما عبدك أحد قط مثلاً، قال  
الله ﷻ: إني أحب أن أطاع من حيث أريد....<sup>(٢)</sup>.

فلو كان العابد يريد أن يعبد المعبود من حيث يشتهي لما كان المعبود معبوداً والعابد  
عابداً، ولكان العابد هو المعبود لأنه يعبد هوى نفسه على هوى خالقه، ولهذا نعت الباري  
تلك العبادة - ستة آلاف سنة - بأنها كفر: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، مع أنه على  
منطق هؤلاء الشرذمة أنها عبادة خالصة جداً لأن فيها نفي الواسطة، لأن كل تحسسهم  
وزندقتهم هي نفي الواسطة، والحال أن الباري تعالى قال أن هذه وثنية وكفر، فالتوحيد إذاً  
هو أن يتجه في سجوده وعبادته بآدم الى الله.

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣: ٧٥.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ٤٦، بحار الأنوار ج ٢: ٢٦٢.

## الخطاب لم يختص بآدم ﷺ:

إن خطاب السجود هذا، لم يكن مختصاً بآدم فقط بل لكل من يتحلى بمنصب الخلافة الإلهية: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة..﴾، فالسجود لآدم بصفته خليفة، ولم يقل إني جاعل في الأرض نبياً أو رسولاً، بل قال خليفة يعني ذو قدرة تصرف وصلاحيّة تصرف، وهي الإمامة بعينها: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>، ولو خاطب الباري تعالى هؤلاء الشرذمة وقال أسجدوا لـ (محمد) ﷺ أي أتجهوا في طاعتكم وعباداتكم بسيد الأنبياء فهم أول أنصار لإبليس في ذلك: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالأمر هنا عام وليس خاص بآدم، بل لإبراهيم ويعقوب ويوسف وسليمان وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، فهذا الخليفة الطيني مأمورون أنتم بالسجود له وبطاعته. وهل يوجد من هو أشرف المخلوقات كلها من آدم الى يومنا هذا غير النبي محمد ﷺ وذريته الطاهرة؟! ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فعهد الله ﷻ للإمامة والخلافة سارياً للمصطفى ﷺ لأنه من ذرية إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ومن بعد المصطفى ﷺ المرتضى ﷺ والأئمة من ولده: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) ص: ٢٦.

(٢) ص: ٧١ - ٧٢.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) البقرة: ١٢٨.

(٥) الحج: ٨٧.

فمن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يصف فيه يوم القيامة، قال عليه السلام:

يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ يَسْتَنْطِقُ فِيهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ، فَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ أُذُنٍ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا فَيَقَامُ الرَّسُولُ فَيَسْأَلُ فَذَلِكَ قَوْلُهُ لَ (مُحَمَّدٌ) ﷺ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا، وَهُوَ الشَّهِيدُ عَلَى الشَّهَدَاءِ، وَالشَّهَدَاءُ هُمُ الرُّسُلُ<sup>(١)</sup>.

**البرهان الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَصْغَيْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قبل الولوج في بحث هذه الآية نذكر هذه المقدمة:

إن أي موضوع دينياً كان أو غيره كعنوان الصلاة مثلاً، أو عنوان الحج أو فعل الحج، أو الصوم وما شاكل ذلك، لا يتم أستكشاف هوية ذلك الفعل من نص واحد أو نصين من القرآن أو السنة، بل لا بد من تجميع كل النصوص الواردة في الصلاة مثلاً، ومن ثم يستجلي الفقيه ماهية أو هوية الصلاة، كأولها التكبير وآخرها التسليم وما بينهما من قراءة وسجود وركوع وهلم جراً، وإلا فلو أكتفى الفقيه أو المجتهد بنص دون بقية النصوص لما وصل إلى حقيقة الصلاة، وكذلك الحج، وكذلك الصوم، وكذلك التوبة وما شاكل ذلك.

فإذا كانت هناك آيات تتعرض لماهية الحج: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>، وغيرها من الآيات

(١) تفسير العياشي، ج ٢: ٢٤٢.

(٢) إبراهيم: ٣٥، ٣٦، ٣٧.

(٣) آل عمران: ٩٧.

(٤) البقرة: ١٥٨.

العديدة التي تتعرض الى أجزاء ماهية الحج، وكذلك النصوص الروائية أيضاً تجمع لكي يعرف ماهية الحج.

وأن الآية التي تضمنت البرهان الثاني التي نحن بصدددها هي أيضاً من آيات الحج، ولهذا ينبغي على الفقهاء أن يجعلوها من مجموع آيات ونصوص الحج، فإنها تتعرض لبيان هذا الركن الهام من مناسك الحج والعمرة.

**تفسير الآية:** إن الآية الكريمة تشتمل على ثلاث أمور وهي:

**الأول:** ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾.

إن إبراهيم عليه السلام جاء بذريته وأسكنها البيت الحرام بكل ما أحاط بذلك الإسكان من ملابس وعناء ومشقة ووحشة وغربة وجوع وعطش وبلا أنيس أو كفيل لتلك الذرية الطاهرة سوى الله تعالى، وأمثالاً لأمر الله ﷻ، مع هذه الشدائد التي لاقتها هاجر وطفلها الرضيع إسماعيل عليه السلام، وهذا التكليف مع كونه شاق أو غير مقدور للفهم عند البشرية، كيف أن نبياً من أنبياء الله يأخذ ذريته ويسكنهم في وادي غير ذي زرع وغير مأهول بحيث أن الإدراك القاصر البشري يعترض بأنه كيف أستجاب وأمثل إبراهيم لهذا الأمر، وهذا نظير تكليفه عليه السلام بذبح ولده إسماعيل عليه السلام والذي هو أعظم من التكليف الأول، فالبشرية لا تستطيع أن تفهم ذلك بمداركها المحدودة ولا تعلم حكمة الله تعالى في هذا الأمر الإلهي الذي هو مستمر.

**الثاني:** ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

وهذا يعني ليقموا الطواف والصلاة والحج وكل أشكال العبادة، وهذا مثل خطاب الله تعالى لإبراهيم وولده إسماعيل (عليهما السلام): ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾<sup>(١)</sup> وتكون هذه العبادة سارية الى يوم القيامة وخصوصاً لذرية النبي

٢٤..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

إبراهيم ﷺ وحاصل هذا هو جعل المركزية للكعبة المشرفة في التوجه الى الله تعالى لإقامة الدين ومناسك العبادة، وهذان الأمران أقترنا وشيد البيت الحرام لغاية وهي:

**الثالث: ﴿فَجَعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾.**

فالفاء في قوله تعالى: (فاجعل) للتفريع، وذلك لبيان أن لعمارة المسجد الحرام وإقامة الصلاة والحج وشعائر الدين غاية أخرى لا بد من تحقيقها، فإن الناس إذا أتجهاوا الى الكعبة التي هي مركز عباداتهم فالفاية هي أنهم يتوجهون بالذرية وبالكعبة الى الله ﷻ، أي تدين الله بمودتهم والهوي إليهم ومن هنا يتضح المراد من قول الإمام الباقر ﷺ: (تمام الحج لقاء الإمام)<sup>(١)</sup>، وكذا قول الإمام الصادق ﷺ: (أبدؤوا بمكة وأختموا بنا)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبيدة قال: سمعت أبا جعفر ﷺ - ورأى الناس بمكة وما يعملون - قال فقال: فعال الجاهلية أما والله ما أمروا بهذا وما أمروا إلا أن يقضوا نفثهم وليوفوا ندورهم فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم<sup>(٣)</sup>.

وهنا يبين الإمام الباقر ﷺ الفارق بين عبادة المسلمين وعبادة المشركين، نعم تفاصيل شرائط العبادة فيها بحث طويل ولكن الركن الركين هو كون عبادات المشركين طقوس موروثة من النبي إبراهيم ﷺ، ومنتمة الى الملة الإبراهيمية، ومع ذلك جعلت هذه العبادة عبادة وثنية كما نص القرآن على ذلك، بينما صارت عبادة المسلمين من التوحيد، لأنهم أقرؤا بولاية النبي محمد ﷺ ولهذا السبب شبهها الإمام الباقر ﷺ بفعال الجاهلية لأنهم لم يقرؤوا بولايتهم، وهذا أمر تتحاشاه تلك الشريعة في فهم حقيقة الشرك الذي كان عند مشركي قريش، وأن المشركين هكذا كانوا يطرحون وينبذون الشهادة الثانية وبالتالي نبذ الولاية للنبي ﷺ، فإن الأمور الثلاثة التي ذكرت في الآية هي أوامر إلهية، مقترنة بعضها البعض وغير مجزئة، وهذه الأوامر ليست هي من آيات الحج فحسب، بل من آيات الصلاة

(١) الكافي ج ٤: ٥٤٩.

(٢) نفس المصدر: ٥٥٠.

(٣) نفس المصدر ج ١: ٣٩٢.

ومن آيات أستقبال الكعبة. فالمشركون قطعوا صلّتهم مع النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، فكانت عبادتهم من العبادات الوثنية التي ذمها القرآن، لأن التوجه الى الكعبة في جميع العبادات كالصلاة والحج والطواف لا يتم إلا بصلّتهم، والصلة لا تتم إلا بالهوي إليهم ومحبتهم وبالوفادة الجسمانية لهم، وهذا إنما يتم بزيارتهم ﷺ، كما يقول الإمام الباقر (عليه السلام): (فيخبرونا بولايتهم)، وهو نوع من تجديد العهد بهم، وهذا لا يتم إلا بزيارة قبورهم.

**البرهان الثالث:** قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>(١)</sup>.

أن معنى الحج هو القصد الى الله، وفي هذه الآية تبين أن الذي ينطق عن الله كناطق رسمي في الندبة الى حج بيت الله الحرام هو النبي إبراهيم (عليه السلام)، فهو يأمر الناس بحج بيت الله الحرام، كما نصت على ذلك روايات الفريقين.

فقد روي عن الفضل بن موسى الكاتب عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: إن إبراهيم (عليه السلام) لما أسكن أسماعيل (عليه السلام) وهاجر مكة ودعهما لينصرف عنهما بكيا، فقال لهما إبراهيم: ما يبيكما فقد خلفتكما في أحب الأرض الى الله وفي حرم الله؟ فقالت له هاجر: يا إبراهيم ما كنت أرى أن نبياً مثلك يفعل ما فعلت؟ قال: وما فعلت؟ قالت: إنك خلفت امرأة ضعيفة وغلماً ضعيفاً لا حيلة لهما بلا أنيس من بشر ولا ماء يظهر، ولا زرع قد بلغ، ولا ضرع يحلب؟ قال: فرق إبراهيم ودمعت عيناه عندما سمع منها فأقبل حتى أنهى الى باب بيت الله الحرام فأخذ بعضادتي الكعبة ثم قال:

﴿اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ ذُرِّيَّتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

قال أبو الحسن: فأوحى الله الى إبراهيم أن أصعد أبا قيس فناد في الناس: يا معشر الخلائق إن الله يأمركم بحج هذا البيت بمكة محرماً من أستطاع إليه سبيلاً، فريضة من الله،



٢٦..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

قال: فصعد إبراهيم أبا قبيس فنادى في الناس بأعلى صوته يا معشر الخلائق إن الله يأمركم بحج هذا البيت الذي بمكة محرماً من أستطاع إليه سبيلاً فريضة من الله، قال: فمد الله لإبراهيم في صوته حتى أسمع به أهل المشرق والمغرب وما بينهما من جميع ما قدر الله وقضى في أصلاب الرجال من النطف وجميع ما قدر الله وقضى في أرحام النساء الى يوم القيامة، فهناك يا فضل وجب الحج على جميع الخلائق، فالتلبية من الحاج في أيام الحج هي أجابة لنداء إبراهيم عليه السلام يومئذ بالحج عن الله<sup>(١)</sup>.

إذاً الذي أمر بالحج هو النبي إبراهيم عليه السلام لأنه لسان الله الناطق، ومن العاصمة الدينية وهي مكة المكرمة، ولهذا فإن التعبير في الآية بكلمة (يأتوك) ولم يقل (يأتوني) وهذا الأتيان الذي هو أتيان الى بيت الله الحرام هو تلبية لله، ولهذا عندما يعقد الحاج إحرامه فإنه لا ينعقد إلا بالتلبية وهو قوله (لييك اللهم لييك) هذه التلبية التي هي تلبية لله ﷻ أن يجيئوا الى النبي إبراهيم عليه السلام إجابة لندائه لنص الآية الشريفة (يأتوك) وليس (يأتون) إلى بيت الله الحرام فقط، بل المجيء إلى بيت الله الحرام يضم إليه المجيء الى النبي إبراهيم عليه السلام.

ولذلك يُستحب<sup>(٢)</sup> عند الدخول الى بيت الله الحرام أن تُسلم أولاً على سيد الأنبياء ﷺ ثم على النبي إبراهيم عليه السلام فالإتيان الى بيت الله ليس هو الإتيان الى بناء مبني من الأحجار، بل الإتيان هو إتيان الى إبراهيم عليه السلام وهو الإتيان الى الله ﷻ بطبيعة الحال، ففرق كبير بين أن نجعل الكعبة هي مجرد أحجار - وهذا هو الوثن بعينه - وبين أن نجعل الكعبة هي بيت الله وبيت لأولياء الله، وزيارتهم في بيت الله هي زيارة الله ﷻ.

(١) تفسير العياشي ج ٢: ٢٤٩.

(٢) الحج فضائله، أحكامه وآدابه: ٥٥.

فالوفادة إذاً هي وفادة إلى نسك إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وزيارتهم وبالتالي هي زيارة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته فإنه صلى الله عليه وسلم من ذرية إبراهيم عليه السلام. فقد روي عن زيد الشحام قال: قال أبو جعفر عليه السلام لقتادة<sup>(١)</sup>:

من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يروم هذا البيت عارفاً بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾، ولم يعن البيت فيقول إليه، فنحن والله دعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم التي من هوانا قلبه قبلت حجته، وإلا فلا، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم إلى يوم القيامة...<sup>(٢)</sup>.

وهم عليهم السلام أهل البيت بنص القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(٣)</sup>، ومن هنا فإن الروايات التي يرونها أهل البيت عليهم السلام في ثواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأن من زاره كمن زار الله في عرشه<sup>(٤)</sup>، هي من نفس هذه الآية.

## الترابط بين الآيات:

إذاً هذه الآية تدل على نفس النعمة ونفس النظرة ونفس المفاد الذي أعطته الآية في سورة إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

(١) قتادة بن دعامة من مشاهير محدثي العامة ومفسريهم روى عن أنس بن مالك وأبي طفيل وسعيد بن المسيب والحسن البصري وغيرهم.

(٢) نور الثقلين ج ٢: ٥٥٠.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) فعن صاحب كامل الزيارات عن بشير الدهان، قال: كنت أحج في كل سنة فأبطأت سنة عن الحج، فلما كان من قابل حججت ودخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال لي: يا بشير ما أبطأك عن الحج في عامنا الماضي، قال: قلت: جعلت فداك مال كان لي على الناس خفت ذهابه، غير أنني عرفت عند قبر الحسين (عليه السلام)، قال: فقال لي: ما فاتك شيء مما كان فيه أهل الموقف، يا بشير من زار قبر الحسين (عليه السلام) عارفاً بحقه كان كمن زار الله في عرشه. كامل الزيارات: ٢٨١.

٢٨ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴿١﴾، واللطيف أن الآية التي قبلها: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ...﴾<sup>(١)</sup> هي متناظرة ومتناسبة ومتلائمة مع هذا المعنى في هذه الآية التي نحن بصدددها، ومع المعنى الذي مضى في سورة إبراهيم (آية ٣٥-٣٧) المتقدمة في البرهان الأول.

وهذا نظير ما ذكر في وصف القرآن الكريم من سورتي الواقعة والبروج، ففي الأولى تصف القرآن الكريم بـ: ﴿كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي الثانية: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾<sup>(٣)</sup>، فالمجد وصف للدرجة من درجات القرآن الكريم الغيبية، وهو مجد تكويني، وبهاء قدرة، واللوح المحفوظ هو نفس كلمة مكنون، فهو مترادف في اللفظ وأتحد في المعنى، وهنا أيضاً نشاهد نفس الموازات في التعبير بين الآيتين من سورة الحج وبين الآية (٣٧) من سورة إبراهيم، فوجوب توبة إبراهيم عليه السلام للبيت وأسكان ذرية إبراهيم عليه السلام في البيت، هو جعل من البيت مكاناً يقصد لإقامة العبادة.

**البرهان الرابع:** قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾<sup>(٤)</sup>.

وردت كلمة (مقام إبراهيم) في القرآن مرتين، الأولى في هذه السورة، الثانية في سورة آل عمران، والتعبير في كلا الآيتين للدلالة على التفخيم والتعظيم لذلك المكان وهو حجر من الأحجار.

(١) الحج: ٢٦.

(٢) الواقعة: ٧٨.

(٣) البروج: ٢١-٢٢.

(٤) البقرة: ١٢٥.

وهذا المقام هو موضع قدم إبراهيم ﷺ، حيث أمرنا الله تعالى باتخاذ مصلى أي قبله، يعني نجعل الكعبة ومقام إبراهيم قبله قبله في صلاة طواف الحج والعمرة، فأصبح أحد الاتجاهات التي نتجه بها الى الله تعالى، ومن دون اتخاذ مصلى يكون من الوثنية عند الله ﷻ، فماذا يقول هؤلاء الشذمة في حجر لامس النبي إبراهيم ﷺ جعله الله تعالى أحد المواضع التي نتجه به إليه جل وعلا.

إذاً نفس هذه الآية تفتح لنا الباب لقاعدة دينية شريفة أخرى وهو التبرك بمواضع الأنبياء، ومن هنا يتضح أن نبذ ورفض ذلك هو من صميم الوثن.  
ومن ثم قال الإمام الصادق ﷺ: يا زارة لا تدع مشهداً من مشاهد رسول الله إلا وأشهده وصلي فيه وهو قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

ورب قائل يقول: إن اتخاذ مقام إبراهيم ﷺ مصلى إنما هو خصوص صلاة الطواف ؟ والجواب: نعم، صحيح هذا، ولكن هذا كما يقولون بيان المقاصد الشرعية أو بيان المناسبات الشرعية، فإن الباري تعالى هو في صدد بيان أن يكون مواضع آثار الأنبياء أماكن للقربات فكيف بقبورهم الشريفة التي فيها أبدانهم الطاهرة، وبغض النظر عن الأمر الشرعي باتخاذ مقام إبراهيم مصلى، فنفس أستعمال القرآن الكريم، وإطلاق قوله تعالى على الصخرة أنها مقام إبراهيم فهذا جعل للحقيقة الشرعية، وجعل الباب الشرعي الذي يصب بنفس القاعدة التي نحن في صدها، وهو أنه ليس فقط أن مقاماتهم هي مواطن بركة وقربات لله ﷻ، فالمرور لا يخصص الوارد، وإنما هذا تبيان وتعليم من القرآن الكريم.

وكما يقول علماء الأصول فرض الموضوع متقدم على فرض الحكم، فالموضوع إذاً أخذ في دليل أو نص شرعي أو حكم شرعي يدل على أنه في جعل آخر غير هذا الجعل، فهذا متقرر شرعاً وإلا فكيف أخذ الموضوع صادقاً ليرتب المحمول، لأن المحمول يحمله الموضوع، فلا بد أن يكون الموضوع في رتبة سابقة، ولذلك عندما يقول الباري: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، لا بد أنه مفروغ عنه، فالشارع جعل مقام إبراهيم للعبادة

٣٠ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

والتقرب، حينئذ يأتي المحمول وأتخذوا منه مصلى، فهذا - وأتخذوا من مقام إبراهيم - أتى بعد الفراغ من جعل سابق مقدر دل عليه هذا الدليل وترتب عليه هذا الجعل.  
إذاً هذه الآية المباركة لها دلالات من المعاني، أو معاني من الدلالات أو دلالات ومعاني من الوجوه.

## شواهد قرآنية:

**الأولى:** قال تعالى حكاية عن قول عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أن عيسى عليه السلام جعله الله ﷻ مصدر البركة والتبرك أين ما حل، فما بالك بخاتم الأنبياء ﷺ وأهل بيته الأطهار ومن يصلي عيسى خلفه عند نزوله ويكون وزيراً له؟! فهذه الآية من سورة مريم تناغم ما في سورة البقرة: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

**الثانية:** قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾<sup>(٢)</sup>.

كان السامري على مقدمة قوم موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه فنظر الى جبرائيل وكان على حيوان في صورة رمكة<sup>(٣)</sup> وكانت كلما وضعت حافرها على موضع من الأرض تحرك ذلك الموضع، فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى فأخذ التراب من حافر رمكة جبرائيل وكان يتحرك، ومن خواص هذا التراب أنه لا يلقى على شيء إلا حلت فيه الحياة ودخلت فيه الروح، فصره في صره فكان عنده يفتخر به على بني

(١) مريم: ٣١.

(٢) طه: ٩٥ - ٩٦.

(٣) الفرس تتخذ للنسل.

إسرائيل فلما جائهم إبليس وأتخذوا العجل قال للسامري: هات التراب الذي معك.....<sup>(١)</sup>.

إذاً إذا كان تراب وطأه حافر فرس جبرائيل يكون ينبوع الحياة ببركته، فكيف بخاتم الأنبياء وعترته.

وهناك مواضع عديدة تدل على أن الأنبياء والملائكة بركة في هذه الدار.

### الصحابة تتبرك بالنبى ﷺ:

كان مبعوث مشركي قريش في صلح الحديبية هو عروة بن مسعود الثقفي، ولاحظ عروة خفية مقدار ما يكنه أصحاب رسول الله ﷺ لنيهم من إحترام وإكبار، فرجع عروة إلى أصحابه وقال:

أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمدًا، إذا أمرهم أبتدروا أمره، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له<sup>(٢)</sup>.

ويروى عن أنس قوله: خلق النبي ﷺ شعره، فأجتمع الصحابة على ما تخلف من شعره المقصوص يتخاطفونه حتى وصلت كل شعره منه الى يد أحدهم<sup>(٣)</sup>. فلو لم يكن هذا الفعل من صميم التوحيد وكان هذا التبرك الذي يتبركون به الصحابة شركاً وكفراً لنهى عنه رسول الله ﷺ، وهذه الروايات يرويها الفريقين في مصادرهم.

(١) تفسير الميزان ج ٤: ٢٠٠

(٢) منتهى الآمال ج ١: ١٠٩ .

(٣) نفس المصدر والصفحة.



## فضل التمسك بـ (علي) عليه

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه: والذي نفسي بيده، لولا أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمر بملاً من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة<sup>(١)</sup>.

وهذا قول صريح من الرسول ﷺ إلى الإمام علي عليه بركة تراب قدميه فكيف بأجسادهم الطاهرة.

**البرهان الخامس:** قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ورد في بعض الأخبار عن الإمام العسكري عليه: أن هوى أهل مكة كان في الكعبة فأراد الله أن يبين متبع محمد من مخالفه بأتباع القبلة التي كرهها، ومحمد يأمر بها و.....

ثم قال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ إن كان التوجه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت لكبيرة إلا على من يهدي الله، فعرف أن الله أن يتعبد بخلاف ما يريد المرء ليتبلى طاعته في مخالفة هواه<sup>(٣)</sup>.

إذاً الغرض من استقبال بيت الله الحرام، أو بيت المقدس، هو طاعة وديانة وتدين بولاية النبي ﷺ وليس لأجل الكعبة بما هي هي.

وهذه واقعة قرآنية بينة ناصعة تدل على أن التوحيد في العبادة أو في الاتجاه هو بطاعة النبي ﷺ التي هي تؤدي بدورها إلى طاعة الله وتوحيده.

(١) الإمام علي للهمداني: ٩٢.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) الاحتجاج ج ١: ٤٩.

## الفرق بين العبادتين:

لقد جاء في تاريخ ابن كثير وغيره ممن كتبوا في السيرة النبوية، أن القرشيين تشددوا في تعظيم البيت وتقديسه، وقالوا نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاية البيت، وقطان مكة، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، وتواصوا بينهم أن لا يعظموا شيئاً من الحل كما يعظمون الحرم.

وكان لا يتركون الطواف والسعي وتقبيل الحجر الأسود باعتبار أنها عبادات إبراهيمية وهم حسب أدعائهم كانوا على ملة إبراهيم ﷺ، ولما تحولت القبلة الى بيت المقدس، فكانوا أشد المعارضين لذلك، وكانوا يقولون للمسلمين لِمَ تقولون نحن على ملة إبراهيم وأنتم تتركون قبلته وتصلون الى قبلة اليهود، لأنه لم تعرف مكة ديناً غير دين إبراهيم ﷺ في أول عهدها بالدين، فكانوا يحجون البيت ويقىمون المناسك، ويعظمون الأشهر الحرم، ولذلك أعترضوا على رسول الله ﷺ عندما جعل القبلة الى بيت المقدس، وقد بين سبحانه وتعالى سبب ذلك: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، إن هذه الأحكام والتشريعات ليست إلا لأجل مصالح تعود الى تربية الناس وتكميلهم وتمحيص المؤمنين من غيرهم، وتمييز المطيعين من العاصين، والمنقادين من المتمردين.

ولذلك أصبحت كل عباداتهم وثنية، لأنهم لم يدينوا بنبوة وولاية النبي ﷺ ومن ثم خاطبهم الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾<sup>(١)</sup>.

إذا تعظيمهم للكعبة والحجر الأسود اعتبره القرآن من الوثن بل منع من دخولهم الى المسجد الحرام لأنهم نبذوا التسليم والإقرار بولاية خاتم الأنبياء، وبالتالي كل من ليس لديه واسطة بينه وبين ربه في إستحلال أوامر ربه يكون من الوثن، لأن السلطة التشريعية



**الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ وهذا يدل على أن القرية مكان عبادة وتعظيم حيث يتعبد فيها لله تعالى، ويغفر فيها الذنوب، ولذلك أمر الله تعالى بالدخول سجداً.

ومن خلال هذين الأمرين يتضح أن هناك بقاع معظمة ومقدسة، ﴿وَادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وفيها من البركات الدنيوية العظيمة ويندب عبادة الله فيها لغفران الذنوب.

إن الدخول الى هذه القرية أو البقاع المقدسة له آداب خاصة وهي:

أ - ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾، وهذا أمر وتكليف كما ذهب الى ذلك الفخر الرازي<sup>(٢)</sup> وأستدل بوجهين على ذلك.

ب - ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، وهو الاستغفار والخضوع والتذلل لله تعالى، أي حط عنا ذنوبنا، فطلب الاستغفار والتوبة مشروط بدخول تلك القرية لما لها من بركات وقداسية.

فإذا ألتمزوا بهذين الشرطين فسوف يزيد أحسانهم أحساناً: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَسنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وأما إذا لم يلتزم بتلك الآداب الخاصة التي أمر الله بها: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ نَبَأًا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، وهذا تأكيد على ارتكابهم للمعاصي.

(١) البقرة: ٥٧.

(٢) المائدة: ٢١.

(٣) التفسير الكبير ج ٣: ٨٨.

(٤) الأعراف: ١٦٠-١٦١.

إن أحد مصاديق هذه الآية هي مكة المكرمة، لأنه فيها آداب خاصة لدخولها، فإن الداخل لمكة المكرمة تحرم عليه عدة أمور عدها الفقهاء بخمسة وعشرين أمراً.

وقد بينا في البرهان الثاني والثالث أن غاية كل ما قام به إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿فَأَجْعَلْ أَقْدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾، والأذان بالحج هو الأتيان لإبراهيم عليه السلام ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾، وقد مر ذلك مفصلاً فراجع.

### من هم باب حطة:

هناك عدة روايات تؤكد أن باب حطة هم محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم)، وهذه الروايات روتها العامة والخاصة، ومن تلك الروايات نذكر ما يلي:

#### الرواية الأولى:

أخرج ابن أبي شنية عن علي بن أبي طالب قال: إنما مثلنا في هذه الأمة كسفينة نوح وكباب حطة في بني إسرائيل<sup>(١)</sup>.

#### الرواية الثانية:

عن الرضا علي بن موسى عن أبيه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لكل أمة صديق وفاروق، وصديق هذه الأمة وفاروقها علي بن أبي طالب، إن علياً سفينة نجاتها وباب حطتها<sup>(٢)</sup>.

#### الرواية الثالثة:

في كتاب الخصال في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها قال علي عليه السلام: وأما العشرون فأني سمعت رسول الله ﷺ يقول لي: مثلك في أمتي مثل باب حطة في بني إسرائيل، فمن دخل في ولايتك فقد دخل الباب كما أمره الله ﷻ<sup>(٣)</sup>.

(١) الدر المنثور للسيوطي ج ١: ١٦٠.

(٢) نور الثقلين ج ١: ٨٢.

(٣) المصدر السابق.

### الرواية الرابعة:

وفيه<sup>(١)</sup> يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل: ونحن باب حطة.

### الرواية الخامسة:

روي عن الباقر (عليه السلام) أنه قال: نحن باب حطتكم<sup>(٢)</sup>.

### الرواية السادسة:

في خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) وهي خطبة الوسيلة قال فيها (عليه السلام): ألا وإني فيكم أيها الناس كهارون في آل فرعون، وكباب حطة في بني إسرائيل<sup>(٣)</sup>.

### الرواية السابعة:

عن الأعمش عن أسحاق عن حنش بن المعتمر قال: رأيت أبا ذر الغفاري أخذ بعضادتي باب الكعبة وهو يقول: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله ﷺ قال: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قوم نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ومثل باب حطة في بني إسرائيل<sup>(٤)</sup>.

### الرواية الثامنة:

علي باب حطة: من دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً<sup>(٥)</sup>.  
وقال المناوي في شرح هذا الحديث:

(علي باب حطة) أي طريق حط الخطايا (من دخل منه) على الوجه المأمور به كما يشير إليه قوله سبحانه في قصة بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾.

(كان مؤمناً ومن خرج كان كافراً) يعني أنه سبحانه وتعالى كما جعل لنبي إسرائيل دخولهم الباب متواضعين خاشعين سبباً للغفران جعل لهذه الأمة مودة علي والاهتداء

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مجمع البيان، ج: ١، ٢٣٥.

(٣) نور الثقلين ج: ١، ٨٣.

(٤) المعجم الأوسط للطبراني ج: ١، ١٣٩، ج: ٤، ١٠.

(٥) الجامع الصغير للسيوطي، ج: ٦، ١٧٦، كنز العمال ج: ١١، ٦٠٣ فضائل علي (رض).

٢٨ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

بهديه وسلوك سبيله وتوليه للغفران ودخول الجنان ونجاتهم من النيران والمراد (يخرج منه) خرج عليه<sup>(١)</sup>.

وغير تلك الروايات التي ذكرت في مصادر العامة<sup>(٢)</sup> والخاصة.

وكم هو قريب مضمون هذه الآية باب حطة والروايات الواردة من الفريقين في تفسير باب حطة في هذه الأمة وأنه علي بن أبي طالب عليه.

وكم هو قريب هذا المضمون من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

حيث جعلت الآية سيد الأنبياء هو الباب الذي تخط بالمجيء إليه كل الذنوب وهذا المضمون نظير قوله تعالى - أيضاً -: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومن خلال هذا كله يتضح أن باب حطة هم محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم) وبالتالي تكون مراقدهم هي من القرى التي بارك الله تعالى فيها وجعل لها تلك الآداب كالسجود والاستغفار حيث تمحى الذنوب بزيارتهم فضلاً عن ولايتهم.

يقول الفيض الكاشاني: وأعتقدنا الولاية حطة لذنوبنا ومحو لسيئاتنا، نغفر لكم خطاياكم السالفة ونزيل عنكم آثامكم الماضية<sup>(٥)</sup>.

ومن قديم التاريخ وإلى يومنا هذا من يلج ويصر في العصيان في هذه البقاع يعاجل بأنواع العقوبات إذا عصى الله تعالى في هذه الأماكن المقدسة، سواء كان ساكناً أو قاطناً

(١) فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٤: (٥٥٩٢).

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج ٢: ٤٣٤، مجمع الزوائد للهيتمي ج ٩: ١٦٨، المصنف لأبن أبي شيبة الكوفي ج ٧: ٥٠٣.

(٣) النساء: ٦٤.

(٤) المناقنون: ٥.

(٥) تفسير الصافي للفيض الكاشاني ج ١: ١٣٥.

فيها، أو ماراً زائراً من حيث لا يشعر، وما يؤكد أن رسول الله ﷺ هو باب حطة ما قاله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾<sup>(٢)</sup>، حيث اشترطت هذه الآية ثلاث شروط وبنحو الترتب الشرطي:

**الأول:** التوجه واللواذ بحضرة النبي ﷺ .

**الثاني:** وقوعاً وترتيباً هو أستغفار المذنب.

**الثالث:** وقوعاً وترتيباً أمضاء النبي ﷺ وشفاعته في توبة مذنب الأمة عند الله.

**الرابع:** نفس هذا الترتيب هو شرط مثل أفعال الصلاة فإن من أتى بالركوع قبل القراءة فإنه يبطل الصلاة.

وهذه الآية سنة إلهية الى يوم القيامة شأنها شأن بقية الآيات والفرائض المتعلقة بالنبي ﷺ، أو ذات الارتباط بالنبي ﷺ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فهل الإطاعة مرتبطة بحياته فقط، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فهذه الآيات الصريحة تدل على أن رسول الله ﷺ هو باب حطة، وبما أن دخول القرية لها آداب خاصة من السجود وطلب الاستغفار من رسول الله ﷺ له آداب خاصة قد بينها تعالى في كتابه الكريم، وهي:

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) النساء: ٦٤.

(٣) المنافقون: ٥.



٤..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ

وَأَطْهَرُ﴾<sup>(٣)</sup>.

فإذا رسول ﷺ هو باب حطة، وبما أن أمير المؤمنين علي عليه هو نفس رسول الله

ﷺ كما صرح بذلك القرآن الكريم: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ

وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فعلي أيضاً هو باب حطة فضلاً عن الأحاديث التي مرت سابقاً وبنص آية

التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(٥)</sup>.

فأهل البيت عليه هم باب حطة، وكما أشارت النصوص بذلك، ومن ثم يتبين من

كل هذا أن مراقدهم الشريفة هي باب حطة فلا بد أن يدخل الى قبورهم بتذل وخشوع

وأن لا يعصى الله فيها.

البرهان السابع: قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾<sup>(٦)</sup>،

وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) الحجرات: ٢.

(٣) المجادلة: ١٢.

(٤) آل عمران: ٦١.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

(٦) طه: ١٢.

(٧) النازعات: ١٦.

إن الوادي المقدس ليس هو بيت المقدس، وليس هو من المساجد الثلاثة - مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس - فإذن منشأ التقديس الوادي المقدس وهو المكان الذي تكلم فيه الباري تعالى مع موسى عليه السلام، فإن أول لقاء حدث فيه تكليم مع الباري ﷻ في وادي طوى، فجعل الله تبارك وتعالى هذا المكان مباركاً كما في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

إذاً توجد هناك بقع أو أرض مقدسة ومباركة وهذا التقديس والتبريك والتعظيم لها لم يأتي من أي أحد كان، بل الله تعالى هو الذي عظمها وقدها وبارك فيها، ولعظمتها قسم الله تعالى بهذه البقعة كما في سورة التين (وطور سيناء) كما مر ذكر هذا مفصلاً. والمهم أن طور سيناء هو تلك البقعة المباركة والوادي المقدس الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وهذا ما ذهب إليه جمع من المفسرين من الخاصة والعامة.

وقد فسرت (طوى) لأنه طوي بالبركة مرتين<sup>(٢)</sup>، فهذه البقعة المباركة شَعَرُهَا الباري تعالى وقدها لورود موسى عليه السلام إليها: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولم تكن تلك البقعة من المساجد التي أوقفها سبحانه وتعالى وليس كل ما يشعر من قبل الله يكون مسجداً. فقد شعر الله تعالى منى في الحج وجعل المبيت فيها من العبادات الواجبة، وكذلك الوقوف في عرفة كما يقول النبي ﷺ: (إنما الحج عرفة) وهي أيضاً ليس بمسجد، وكذلك الوقوف في المزدلفة، حتى قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾<sup>(٤)</sup>. وأيضاً شعر تعالى الصفا والمروة: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ

(١) القصص: ٣٠.

(٢) الدر المنثور ج ٥: ٤٩٢

(٣) علل الشرائع ج ٢: ١٤٢.

(٤) البقرة: ١٩٨.

٤٢..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

اللَّهُ<sup>(١)</sup>. فكل هذه الأماكن لم تكن من المساجد ومع ذلك شعرها الله تعالى وجعلها أماكن مقدسة لأن بعض الأنبياء ﷺ وطؤوها ونزلوا فيها وإليك نص الروايات التي تشير إلى ذلك:

١- مني: عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن جبرئيل أتى إبراهيم ﷺ فقال تمن يا إبراهيم فكانت تسمى مني<sup>(٢)</sup>.

٢- عرفات: أيضاً عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن عرفات لم سميت عرفات؟ فقال إن جبرئيل ﷺ خرج بإبراهيم (صلوات الله عليه) يوم عرفة فلما زالت الشمس قال له جبرئيل يا إبراهيم أعترف بذنبك وأعرف مناسكك فسميت عرفات لقول جبرئيل ﷺ إعترف فأعترف<sup>(٣)</sup>.

٣- الصفا والمروة: عن أبي عبد الله ﷺ قال: سمي الصفا صفاً لأن المصطفى آدم هبط عليه فقطع للجبل أسم فمن أسم آدم ﷺ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وهبطت حواء على المروة وإنما سميت المروة لأن المرأة هبطت عليها فقطع للجبل أسم من أسم المرأة<sup>(٥)</sup> وهكذا سائر أفعال الحج كلها لمناسبات خاصة ولأفعال قام بها الأنبياء ﷺ فشعرها الله تعالى.

إذن التشعير لا يلزم المسجدية، والبركة ليس للأماكن فقط بل لنفس الشخص أيضاً تكون هناك بركة خاصة كما في عيسى ابن: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾<sup>(٦)</sup>. فكيف

(١) البقرة: ١٥٨.

(٢) علل الشرائع، ج ٢: ١٤٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) آل عمران: ٣٣.

(٥) علل الشرائع ج ٢: ١٣٧.

(٦) مريم: ٣١.

بخاتم النبيين وأشرف المرسلين ﷺ الذي توسل به آدم عليه السلام لقبول توبته، بل وكل نبي من الأنبياء لم يبعث إلا بعد إقراره بنبوته محمد ﷺ كما سيأتي هذا مفصلاً إن شاء الله تعالى.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: أستأذنت زليخا على يوسف، فقيل لها: أأنا نكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه، قالت: أني لا أخاف من يخاف الله، فلما دخلت قال لها: يا زليخا مالي أراك قد تغير لونك؟ قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً. قال لها: ما الذي دعاك يا زليخا إلى ما كان منك؟ قالت: حسن وجهك يا يوسف، فقال: كيف لو رأيت نبياً يُقال له محمد يكون في آخر الزمان أحسن مني وجهاً وأحسن مني خلقاً، وأسمح مني كفاً، قالت: صدقت، قال: وكيف علمت إنني صادق، قالت: لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي، فأوحى الله ﷻ إلى يوسف أنها قد صدقت وإني قد أحببتها لحبها محمداً فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوجها<sup>(١)</sup>.

فإذا كان الله تعالى يحب من يحب خاتم الأنبياء ﷺ فكيف يكون حبه سبحانه وتعالى لشخص النبي ﷺ وذريته، وهذا يدل على أن مقام النبي ﷺ أعظم من مقامات الأنبياء عليهم السلام فكم من موقف وقف فيه رسول الله ﷺ وكلمه فيه الوحي في أرض الحجاز، وهذه الشريعة تريد طمس تلك البقاع المقدسة والمباركة حتى وصل الأمر بهم أن جعلوا مكان ولادة النبي ﷺ مكتبة عامة لطمس آثار النبوة، الذي أوحى حقيقة القرآن وليس المصحف بل حقيقة القرآن، القرآن الذي يقول عنه تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان القرآن بهذه البركة فكيف من أوحى إليه القرآن، فالعبادة التوحيدية مقترنة بالتوجه بالأنبياء وبمشاهدتهم بمقاماتهم إلى الله ﷻ، فالمعصوم أينما كان هو حرم ولكن هناك بقاع يحب الله تعالى أن يعبد ويدعى فيها، ولهذا عندما أراد الإمام الحسين عليه السلام الخروج من مكة أخذ يطوف في البيت إلى منتصف الليل ثم ذهب إلى مقبرة المعلى فصلى

(١) علل الشرائع ج ١: ٧٣.

(٢) الرعد: ٣١.

٤٤..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

صلاة الليل عند قبر جدته السيدة خديجة (عليها السلام)، فكيف بقبر جده المصطفى ﷺ وقبر أبيه وأمه وأخيه ﷺ.

ذكر الشيخ السهمودي رواية وهذه نصها:

وروى يحيى وأبن النجار عن كعب الأحبار قال: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر، يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي ﷺ، حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا إنشقت الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة.

وفي صحيح الدارمي نحوه من رواية عائشة، وقال فيه: سبعون ألفاً بالليل وسبعون ألفاً بالنهار، ذكره في باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ بعد موته، رواه البيهقي في شعبه<sup>(١)</sup>.

فإذا كان الله تعالى يبعث الملائكة إلى قبر النبي ﷺ وبدون أقطاع على حد تعبير كعب الأحبار وعائشة فلماذا لا نزوره نحن كما تزوره الملائكة، كما هو الحال في سنة الملائكة في خضوعهم لآدم عندما أمرهم الله تعالى بذلك بخلاف سنة إبليس أبي وأستكبر. وهذه الرواية في كتبهم وليس في كتبنا، ولماذا إذا زرنا قبره ﷺ وقبور أهل بيته ﷺ يرموننا بالكفر والشرك والزندقة، بل الكافر والمشرك هو من يريد أن يفرق بين النبي ﷺ وأمته، ويريد أن يطمس آثار النبوة، فلو كان الأمر بيدهم لرفعوا حتى الشهادة الثانية من الآذان لأنهم من أتباع مشركي قريش بلا ريب.

(١) وفاء الوفاء للسهمودي ج ٢: ١٢٢.

الفصل الثاني  
البحث القرآني  
الأدلة الخاصة



## كلمة قبل البحث:

بعد ما ذكرنا البراهين من الطائفة العامة نشير ونتحدث الآن الى الطائفة الخاصة، وهذه الطائفة - كما ستوضح - هي من روايات أهل بيت النبوة والعصمة والتي وصلت إلينا بدليل معتبر وبسند صحيح لتفسير بعض آيات الكتاب الكريم، فهي - الطائفة الخاصة - آيات مفسرة بتفسير خلفاء الرسول الشرعيين والذي نصبهم رسول الله ﷺ وبأمر من الله ﷻ، وهذه الأحاديث مدعومة ببعض القرآئن والشواهد القرآنية والنبوية، وإنما سمينها بالخاصة لأنها من أحاديث الأئمة الاثنى عشر حدثوا بها خواص شيعتهم ومواليهم، لأنهم كانوا في تقية شديدة بسبب حكام الظلم والجور من كلا الدولتين الأموية والعباسية، حيث منع تدوين أحاديث السنة الشريفة لطمس مناقبهم وآثارهم بكل وسيلة.

ولعل أهم وأبرز حدث أثر في السُّنة النبوية - نصاً ومعنى - هو منع الشيخين التدوين والتحديث عن رسول الله ﷺ ودورهما في تطبيق هذه الرؤية واستمراره في عهد عثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان، ثم اتَّخذ الخلفاء من بعد منهجاً يعمل به حتى أوقفه عمر بن عبد العزيز وأمر بتدوين الحديث<sup>(١)</sup>. ورغم كون هذه الأحاديث من طرق أهل

---

(١) فقد روي عن يحيى بن جعدة: (إن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السُّنة ثم بدا له أن لا يكتبها. ثم كتب في الأمصار: من كان عنده منها شيء فليمحها)(١).

وفي حديث آخر عن القاسم بن محمد بن أبي بكر: أن عمر بن الخطاب بلغه أنه قد ظهرت في أيدي الناس كتب، فاستكرها وكرهها، وقال: أيها الناس إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبها الى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتاباً إلا أتاني به، فأرى فيه رأيي=



قال: فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه إختلاف، فأتوا بكتبهم، فأحرقها بالنار ١١. ثم قال: أمنية كأمية أهل الكتاب (١). إن النهي جاء للحد من نشر فضائل أهل البيت، وتخوفاً من أشتها أحاديث الرسول في فضل علي وأبنائه، وما دل الدليل على إمامتهم، وقد أشتد هذا الأمر على عهد معاوية الذي كان يأمر الناس بلعن الإمام علي (عليه السلام) في خطب الجمعة على منابر المسلمين (٢). وقام أكثر حكام الظلم والجور من بني العباس بمنع الناس من زيارتهم (عليهم السلام) ولم يكتفوا بذلك بل أشخصوهم الى البلاد التي يحكموا فيها كما حدث هذا مع الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وباقي الإئمة من ولده حتى تكون مراقبتهم مباشرة وشديدة ودقيقة، بل وصل الأمر الى أنه لا يمكن ذكر أسمائهم فضلاً عن زيارتهم.

وقد روي أكثر الأحاديث النبوية والخاصة من الإمام الصادق (عليه السلام)، حيث كانت في تلك الفترة الصراعات السياسية بين بني أمية وبني العباس متأزمة جداً بحيث وصلت إلى الأقتال بينهم وأستغل الإمام (عليه السلام) تلك الفترة وربى جيلاً كبيراً من جميع الطوائف والأديان. فقد نقل السيد الأمين: (أن الحافظ ابن عقدة الزيدي جمع في كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر ابن محمد فضلاً عن غيرهم، وذكر مصنفاتهم) (٣). ونقل أيضاً: (روي النجاشي في رجاله بسنده عن الحسن بن علي الوشاء في حديث أنه قال: أدركت في هذا المسجد - يعني في مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد).

وعن مالك بن أنس قال: (ما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشرأ أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادةً وورعاً) (٤). ووصفه المؤرخ الشهير يعقوبي بقوله: (وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رووا عنه قالوا أخبرنا العالم) (٥). فكانوا (سلام الله عليهم) هم حفظة السنة النبوية، وكل ما جاء من عندهم فهو من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي ذلك يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث أبيه، وحديث أبيه حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) قول الله ﷻ) (٦). إذن ما نقله هنا هو في الحقيقة من السنة النبوية الشريفة، وإنما (عليهم السلام) حدثوا أصحابهم بذلك لأنهم يتحملون ما يسمعون منهم (عليهم السلام) بخلاف المبعوض والمناق الذي لا يريد أن يسمع فضيلة من فضائلهم، بل لا يريد أن يسمع بهم أصلاً لأنهم من ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما يقول (صلى الله عليه وآله): (إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا، يعني علياً) (٧).

١- أهل البيت مقامهم منهجهم مسارهم: ٨٣.

٢- الطبري، ذخائر العقبى: ٦٧.

٣- حجية السنة: ٣٩٥، للشيخ عبد الغني عبد الخالق.

٤- منع تدوين الحديث: ٦٣.

٥- أعيان الشيعة ج: ١: ٦٦١.

٦- المناقب لأبن شهر آشوب ج: ٤: ٢٤٧.

٧- تاريخ يعقوبي ج: ٢: ٣٨.

البيت عليه السلام إلا أن مضامين هذه الأحاديث متطابقة مع ما ورد في طرقهم من الخلقة النورية للرسول ﷺ والخلقة النورية لعلي عليه السلام وما ورد عندهم في تفسير آية النور عندهم ببيوت الأنبياء وبيت علي وفاطمة من أفاضلها كما سيأتي.

مضافاً إلى ما ورد من أن الله تاب على آدم بتوسله بأسم خاتم الأنبياء وهي أولى الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، مما يشير كل ذلك إلى إرادة عترة النبي ﷺ أيضاً.

مضافاً إلى أن ما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أيضاً من مضامين متضمنة إلى بيان ذلك عبر دلالات قرآنية مستبينة بالتدبر وأمعان النظر من ظواهر الآيات.

#### البرهان الأول: آية النور:

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فِي بُيُوتٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾<sup>(١)</sup>.

إن النور المذكور في الآية المباركة متعدد ومنشعب إلى خمسة أنوار، مستقل بعضها عن البعض الآخر، والأنوار الخمسة التي ضربت مثلاً هي:

١- المشكاة.

٢- المصباح.

٣- الزجاج.

٤- الكوكب الدري.

٥- الشجرة المباركة.

فهذا النور المخلوق ذو الأقسام الخمسة يحيط بالسموات والأرض: ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأن لها مدد إلهي. وبعد هذه الأنوار الخمسة هناك أنوار متعاقبة: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ نور على أثر نور، فالأنوار الخمسة هم أصحاب الكساء، والأنوار المتعاقبة هم الإئمة التسعة من ذرية الإمام الحسين ﷺ.

فهناك خمسة تشبيهات في الآية يعني إنه تقسيم للأنوار الإلهية وكل نور من هذه الأنوار فيه شبه للنور الأول، مثل نوره كمشكاة، ومثل نوره كمصباح، ومثل نوره كالزجاجة ومثل نوره كأنه كوكب.

وبعد أن تستعرض الآية هذا التشبيه تبين المدد الإلهي لهذه الأنوار الخمسة: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ وهو العلم اللدني لمحمد وآل محمد (صلوات الله عليهم).

فعن صالح بن سهل الهمداني قال: قال أبو عبد الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ فاطمة (عليها السلام) ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الحسن ﴿المصباح في زجاجة﴾ الحسين ﴿الزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ إبراهيم ﷺ ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يكاد العلم ينفجر بها ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يهدي الله للإئمة من يشاء...<sup>(١)</sup>.

وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول الله ﷻ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ فقال: هو مثل ضربه الله لنا، فالنبي ﷺ والإئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) من دلالات الله وآياته التي يهتدى بها الى التوحيد ومصالح الدين وشرائع الإسلام والفرائض والسنن، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم<sup>(١)</sup>.

وروايات متعددة تشير الى هذا المعنى وإن كان بعضها فيها تقديم وتأخير إلا أن المعنى واحد، فالله ﷻ جعلهم كنور واحد ومثلهم بالنور، فعن أسحق بن جرير قال: سألتني امرأة أن أدخلها على أبي عبد الله عليه السلام فاستأذنت لها، فأذن لها فدخلت ومعها مولاة لها، فقالت له: يا أبا عبد الله قول الله ﴿زَيْنُوبَةُ لَا شَرِيفَةَ وَلَا غَرَبَةَ﴾ ما عني بهذا ؟ فقال لها: أيتها المرأة إن الله لم يضرب الأمثال للشجر إنما ضرب الأمثال لبني آدم<sup>(٢)</sup>.

### تفسير ابن عربي:

يقول ابن عربي في تفسيره: ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: فشبه نوره بالمصباح، فلم يكن أقرب إليه قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد ﷺ المسماة بالعقل الأول، فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود، فكان ظهوره من ذلك النور الإلهي من الهباء ومن الحقيقة الكلية، وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه، وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب إمام العالم بأسره والجامع لأسرار الأنبياء أجمعين<sup>(٣)</sup>.

وإذا قالوا من أين تأتون بالخلقة النورية أو أين ذكرت الأنوار الخمسة !!، فنقول لهم من هذه الآية الشريفة، نعم أنهم يقولون هذه نزعة باطنية فمثل هذه التهافتات في الكتب كثيرة في الساحة الإسلامية، وكأنهم لا يقرأون القرآن.

(١) التوحيد: ١٥٢.

(٢) نور الثقلين ج ٣: ٦٠٤.

(٣) الفتوحات المكية وحجة الخصام ج ٣: ٢٥٨.

ذكر صاحب غاية المرام<sup>(١)</sup> حديثين حول تفسير هذه الآية تحت عنوان (من طريق العامة وفيه حديثان):

### الحديث الأول:

ما رواه ابن المغازلي الشافعي في كتاب (المناقب) يرفعه الى علي بن جعفر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿كَمْشَكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحُ الْمِصْبَاحِ﴾ قال: المشكاة فاطمة (عليها السلام) والمصباح الحسن والحسين عليه السلام: ﴿الرَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قال: كانت فاطمة كوكباً درياً بين نساء العالمين: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ الشجرة المباركة إبراهيم ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ﴾ قال: يكاد العلم ينطق منها ولو: ﴿لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ قال: فيها إمام بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال: يهدي الله لولايتنا من يشاء<sup>(٢)</sup>.

### الحديث الثاني:

أيضاً ذكره بنفس الأسناد ولكن قال: المصباح الحسن والزجاجة الحسين<sup>(٣)</sup>، وللأختصار ذكرنا هذا فقط وإلا فالحديث ذكره صاحب غاية المرام نصاً.

نعم ان الحديثين موجودان في كتبنا وهما عن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) ولكن هناك أكثر من مصدر من مصادرهم يفسرون هذه الآية المباركة بنور النبي ﷺ من غير أهل بيته وهذا يعني أنها فسرت عندهم بتلك النزعة الباطنية ١٩.

فقد ذكر صاحب تفسير السلمى إنه: قال أبو سعيد الخراز: في قوله ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمْشَكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحُ الْمِصْبَاحِ﴾ المشكاة جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبه

(١) غاية المرام ج ٣: ٢٥٨.

(٢) مناقب ابن المغازلي: ١٩٥ ح ٣٦١.

(٣) الصراط المستقيم ١: ٢٩٦، البحار ٢٣: ٣١٥.

والمصباح النور الذي قد جعل الله فيه: ﴿كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ... مُبَارَكَةٌ﴾ إبراهيم (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل الله في قلبه النور ما جعل في قلب محمد<sup>(١)</sup>.

وذكر صاحب تفسير الثعلبي والقرطبي والبغوي في تفسير: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ قول شمر بن عطية حيث قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال له حدثني عن قوله سبحانه: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ فقال كعب: هذا مثل ضربه الله سبحانه لمحمد (صلى الله عليه وسلم) فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة، توقد من شجرة مباركة وهي شجرة النبوة يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي.....<sup>(٢)</sup>.

إذن فليس الشيعة فقط تفسر هذه الآية بهكذا تفاسير، وإن التفسير يختلف عما نفسه نحن، والرواية التي ذكروها عن كعب الأحبار ليست هي الوحيدة، بل هناك رواية أخرى ذكرها السيوطي في الدر المنثور<sup>(٣)</sup> عن ابن عمر، وكذلك ذكرها الصالح الشامي<sup>(٤)</sup> في سبل الهدى والرشاد أيضاً.

### آيات أخرى:

والمهم أن هذه الآية ليست هي الآية الوحيدة التي تفسر بأهل البيت بل هناك آيات أخرى متعددة تتحدث عن ذلك النور الإلهي، فعن أبي الجارود قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: لقد أتى الله أهل الكتاب خيراً كثيراً، قال: وما ذاك؟ قلت: قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَّا هُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ أُولَئِكَ يُتَوَنَّ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾<sup>(٥)</sup> قال: فقال:

(١) تفسير السلمي ج ٢: ٤٤.

(٢) تفسير الثعلبي ج ٧: ١٠٥، تفسير البغوي ج ٣: ٣٤٦، تفسير القرطبي ج ١٢: ٢٥٩.

(٣) الدر المنثور للسيوطي ج ٦: ١٨٢.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ١: ٥٣٠.

(٥) القصص: ٥٤.

لقد آتاكم الله كما آتاهم ثم تلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup>، يعني إماماً تاتمون به<sup>(٢)</sup>.

وعن علي بن أسباط والحسن بن محبوب عن أبي أيوب، عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾<sup>(٣)</sup> فقال: يا أبا خالد النور والله الإئمة يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضئية بالنهار وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عن من يشاء فتظلم قلوبهم ويغشاهم بها<sup>(٤)</sup>.

وغير ذلك من الآيات التي تؤكد على أن النور هم الإئمة عليه السلام المذكورة في أكثر من آية أو مصدر.

حيث أن هذه الأنوار الخمسة هي نفس عدد آية المباهلة ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٥)</sup> ونفس آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٦)</sup> على تفسير كلا الفريقين.

إذن هذا النور المخلوق ذو الأقسام الخمسة يحيط بالسموات والأرض: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهناك كنوز من المعارف والمعاني في هذه الآيات، قوله تعالى في سورة

(١) الحديد: ٢٩.

(٢) أصول الكافي ج ١: ١٩٤.

(٣) التغابن: ٨.

(٤) أصول الكافي ج ١: ١٩٥.

(٥) آل عمران: ٦١.

(٦) الأحزاب: ٣٤.

البقرة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> فقال: عرضهم وليس عرضها وهذا يعني أنها موجودات حية شاعرة عاقلة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> فالملائكة التي ملئت السماوات والأرض لم تكن تعلم بتلك الموجودات الحية الشاعرة العاقلة، إذن تلك الموجودات الحية الشاعرة العاقلة ليس ظرفها السماوات والأرض وإلا لعلمت بها الملائكة بل هي محيطة ومهيمنة بالسماوات والأرض، فهذا الجمع من الموجودات نشأتها وراء السماوات و ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ مجموعة أيضاً. وهم أسماء أهل البيت عليه السلام ولم يبين عددهم أو أسمائهم إلا أنها بينت مجموعة: ومن هنا يظهر التشاهد في الآيات القرآنية، وهذه الأنوار في أرواح والأرواح في الأبدان والتي هي أسماء والأرواح في الأبدان والتي هي أسماء إلهية، والأسم الإلهي من العلامة أي الآية قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾<sup>(٣)</sup>. فيسى عليه السلام علامة إلهية، أسم إلهي، لأن الأسم من السمة وكذلك هو حجة من حجج الله فإذا الأسماء التي علم بها آدم وبها شرف وبها فاق مقام الملائكة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾<sup>(٤)</sup> هي الأنوار الخمسة كما في بعض الروايات<sup>(٥)</sup>. وبعد هذه الأنوار الخمسة هناك أنوار متعاقبة: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ نور على أثر نور. وهذه الأنوار في بيوت يعني لها إرتباط وتعلق ببيوت وإلا فالبيوت ليس متعلقة بما تأخر عليها من كلام في الآية فقط بل بما تقدم أيضاً: ﴿أَذِنَ اللَّهُ﴾ فهذا وصف

(١) البقرة: ٣٤.

(٢) البقرة: ٣٢-٣٣.

(٣) المؤمنون: ٥٠.

(٤) البقرة: ٣٤.

(٥) نور الثقلين ج: ١، ٥٤.



آخر له، فإذا كان السابق على الظرف والمظروف والجار والمجرور يصلح للعمل في الجار والمجرور، فلا يجعل حينئذ الجار والمجرور معمول للعامل المتأخر، فلا ريب أن العامل السابق هو مؤثر.

إذن هذه الأنوار الخمسة والأنوار المتعاقبة: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أي تعظم وتبجل، في آيات أمر الله تعالى تعظيم النبي ﷺ والتي أشار إليها الإمام زين العابدين (عليه السلام) في صلوات خاصة من الصحيفة السجادية، المهم أن هذه الآيات التي تبين النور الذي أنزل على النبي ﷺ ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فقد أوحى إلى النبي كلام، وأوحى إلى النبي قرآن، هنا أوحى إلى النبي ﷺ روح، لا أن الروح توحى إلى النبي كلاماً بل الروح هو الموحى إلى النبي ﷺ، أي جعل هذا الروح مغروساً في روح النبي ﷺ وهو نور، فهذا النور في آيات عديدة هو ذات النبي وبدنه.

﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾. وفي قراءة أهل البيت (عليهم السلام) وفي إحدى القراءات العشرة ﴿يُسَبِّحُ﴾ بفتح الباء وفي القرآن بكسر الباء، فإذا قال ﴿يُسَبِّحُ﴾ بكسر الباء فلها إرتباط بالآية اللاحقة كي تكون فاعلاً لـ (رجالاً) أما إذا قيل ﴿يُسَبِّحُ﴾ بفتح الباء يعني هذا صيغة المبني للمجهول وتكون هذه صفة للبيوت.

(١) التغابن: ٨.

(٢) الشورى: ٥٢.

ذكر الشيخ الكليني رواية نأخذ منها موضع الشاهد للأختصار: في حوار بين الإمام الباقر عليه السلام و فقيه أهل البصرة قتادة.

(.... فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة ؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن الله ﷻ خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، أصطفاهم قبل خلقه أضلة عن يمين عرشه، قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك. قال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك أتدري أين أنت، أنت بين يدي ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ فأنت ثم نحن أولئك فقال قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين..<sup>(١)</sup>).

إن كثيراً من المفسرين فسروا البيوت بالمساجد في حين إن الآية لم تذكر لفظ المساجد، قال صاحب الكشف ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يتعلق بما قبله مثل نوره كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد<sup>(٢)</sup>.

ولكن الظاهر أن التفسير غير صحيح كما مر من الحوار الذي دار بين قتادة فقيه البصرة وأبي جعفر الباقر عليه السلام، بل ورد في رواياتهم أيضاً كما روى ذلك السيوطي والكلوسي والحسكاني وإليك نص الرواية:

(١) الكافي ج ٦: ٢٥٦.

(٢) الكشف ج ٢: ٣٨٩.

٥٨ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

عن أنس بن مالك وبريدة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ﴾ فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله ؟ قال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر فقال:

هذا البيت منها ؟ بيت علي وفاطمة، قال: نعم. ومن أفاضلها<sup>(١)</sup> ، قال تعالى إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ.....﴿ فالنبي ﷺ فسر البيوت ببيوت الأنبياء. وليس بالمساجد كما ذكر جماعة من المفسرين.

إذن هذه البيوت والتي من أفاضلها بيت علي وفاطمة يجب أن تشيد وتعمر وبما أن النور مستمر حتى في القبر فكذلك قبر علي وفاطمة (عليهما السلام) يجب أن يشيدا و يعمر ، لأنه يجب أن ترفع وتعظم بأمر من الله جل وعلا ﴿أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بل تكون محل عبادة ليتقرب بها العبد الى الله سبحانه وتعالى. لأن معنى الرفع هو التعظيم أما التعظيم لهذه البيوت أو لأصحابها (سلام الله عليهم) وفي كلا الحالتين المعنى واحد لأنه أما أن يكون التعظيم مادي - أي الرفع - والذي يتحقق بإقامة الجدار والبناء وتعميرها ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾<sup>(٢)</sup> وبهذا لا يتم الرفع إلا بعمارة قبورهم.

أو يكون الرفع - التعظيم - رفع معنوي وهنا لا بد من تكريم وتعظيم ورفع بيوتهم التي هي محل قبورهم.

إذاً هذه الفئة التكفيرية لم تعمل بقول الله ﷻ ولا بقول رسوله ﷺ والذي لا يعمل بذلك هل هو مشرك وكافر أم لا ؟.

قالت السيدة زينب (عليها السلام) لأبن أخيها الإمام السجاد عليه السلام:

(١) الدر المنثور ج ٦: ١٨٦، روح المعاني ج ١٨: ٤٩، شواهد التنزيل ج ١: ٤٠٩، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨.

(٢) البقرة: ١٢٧.

(وليجتهدن إئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً)<sup>(١)</sup>.

ويؤيد هذا المعنى من الرفع حديث أبي عامر البناني - واعظ أهل الحجاز - قال: أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: يا بن رسول ما لمن زار قبره - يعني أمير المؤمنين - وعمر تربته ؟

قال: يا أبا عامر حدثني أبي عن أبيه عن جده الحسين بن علي عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: والله لتقتلن بأرض العراق، وتدفن بها. قلت يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها ؟

فقال لي: يا أبا الحسن إن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة وعرصه من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحن إليكم وتحمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله مودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصصون بشفاعتي والواردون حوضي، وهم زواري غداً في الجنة.

يا علي ! من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فأبشر وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها، أولئك شرار أمتي، لا نالتهم شفاعتي، ولا يردون حوضي<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الأنوار ج ٤٥: ١٨٠.

(٢) الوهابيون والبيوت المرفوعة: ٦٨ للسنقرى نقلاً عن شفا السقام للسبكي، تهذيب الأحكام: ٥٠/٢٥/٦، فرحة الغري: ٧٧، عن أبي عامر التبانى، المزار للمفيد: ١٢/٢٢٨.

٦٠ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

ثم قالت الآية ﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾.

والرجال هنا ليس مقابل النساء أو جنس الذكر، بل من عنده الصلابة وعدم الضعف: ﴿رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فهي لا تختص بالرجال دون النساء، بل توجد كثير من النساء عاهدن الله وكن صادقات في عهدهن مع الله تعالى.

فهذا النور في بيوت وهذه البيوت فيها رجال خاصيتها هكذا، إنها لا تغفل عن ذكر الله وإقامة الصلاة، وهذه صفات فوق عصمة الجوارح بل الجوانح فالرجال ليس مطلق الرجال بل الرجال الذين لهم هذه العصمة.

فإذاً وحدة السياق وعمل الآية الأولى في الثانية له نور متعلق بالبيوت فيدل على أن هذه البيوت ليست بيوت مدر ولا حجر كما قال الباقر (عليه السلام)، وإنما هي بيوت ظرف للنور والنور مستمر حتى في القبر.

ذكر السهمودي في وفاء الوفاء: وفي كلام بعض الشافعية: ينبغي أن تكون الصلاة بالمسجد خلف الحجرة الشريفة أو شرقيها، وأتمس مني الكتابة في ذلك، فكتبت بما حاصله: إن الله تعالى قد أوجب على هذه الأمة تعظيم نبيها ﷺ وتوقيره وسلوك الأدب التام معه...<sup>(١)</sup>.

وهذا دليل على أن النور مستمر حتى في قبورهم، وهذا هو الشعور بحد ذاته لأن الشعور هو التعظيم.

وقد شعر مقام إبراهيم ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وهو ليس بمسجد بل هو مجرد حجر ولكن شعرها الله تعالى للصلاة، وسبل من قبله تعالى للصلاة لتكون إحياء لذكرى إبراهيم (عليه السلام).

وفي بعض الروايات عن النبي ﷺ: إن قبر إسماعيل في الحجر<sup>(١)</sup>.  
وقال عبد الله بن ضمرة السلولي: ما بين الركن والمقام إلى زمزم قبور تسعة وتسعين نبياً جاءوا حجاجاً فقبروا هنالك (صلوات الله عليهم أجمعين)<sup>(٢)</sup>.  
وجاء في السيرة الحلبية<sup>(٣)</sup> إن بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين نبياً وجاء إن حول الكعبة لقبور ثلاثمائة نبي وإن بين الركن اليماني إلى الركن الأسود لقبور سبعين نبياً.  
وعن مجاهد عن بن عمر قال، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مسجد الخيف قبر سبعين نبياً<sup>(٤)</sup>.

ومن خلال هذه الأحاديث يتضح أن الطواف حول البيت وحول القبور والقبلة التي هي الكعبة المشرفة نستقبل معها قبور الأنبياء ﷺ ونعمل كل ذلك بأمر منه تعالى. والحال على زعمهم أن يكون التوجه إلى بيت الله فقط، ولا يجوز التوجه بالبدن إلى القبور.

إذا فصلاتهم باطلة، ويقولون أيضاً إنه في عبادتك يجب أن لا تدخل أسماً غير الله تعالى فماذا يقولون إذا كان من شرط الشهادة الأولى في الأذان والإقامة هو الشهادة للنبي ﷺ بالرسالة (أشهد أن محمداً رسول الله) فإن عبادة القلب وعبادة العقل هو أن لا يحدد ولا يعصي بل يؤمن وهذا هو الأيمان الذي من أفضل العبادات لله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٥)</sup>، أي ليعرفون، لأن معرفة القلب والعقل هي عبادته، فيسلم ويخضع ويتضرع ويحبت وإلا فيستكبر، فالشهادة الأولى والثانية بأسم عبده

(١) الجامع الصغير للسيوطي ج: ١ ص ٣٥٦ ح ٢٣٣٨، كنز العمال ج: ١١ ص ٤٩٠، ح ٣٢٣١٢، الدر المنثور ج: ٣ ص ١٠٣، السيرة الحلبية ج: ١ ص ٢٥١، تفسير الألويسي ج: ٩ ص ٨، تاريخ دمشق ج: ٢٣ ص ٧٩.

(٢) تفسير القرطبي، ج: ١٣ ص ٢.

(٣) السيرة الحلبية ج: ١ ص ٢٥٠.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ج: ١٢ ص ٣١٦، الجامع الصغير للسيوطي ج: ٢ ص ٢٢٩ / ٥٩٦٥.

(٥) الروايات: ٥٦.

ورسوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾<sup>(١)</sup> من العبادات التوحيدية لله تعالى فإذا لم يقرأوا بالرسالة والأذعان بها فهم لم يعبدوا الله طرفة عين أبداً، فإذا كانت في دعواهم أن أي أسم في توجه العبادة بالقلب فضلاً عن البدن إذا لم تكن لغير الله فهو شرك، فإذا لم تذكر أسم النبي ﷺ في توجهكم إلى الله، أليس (السلام عليك أيها النبي) زيارة للنبي ﷺ، فالسلام مشروع بضرورة المسلمين في الصلاة وبأجمعهم. أوليس (السلام عليك أيها النبي) هذا نداء، إذن صلاتكم باطلة لأن هذا لغير الله وهو شرك ١٢.

فإن (أيها) للقريب وليس للبعيد، والإسلام منتشر في كل بقاع العالم وهم ينادون النبي عن قرب فالآذان عبادة وهو بوابة ومفتاح الصلاة، وكذلك الإقامة فلماذا البارئ تعالى قرن أسم نبيه بأسمه تعالى والتي هي مفتاح باب التوحيد وكل هذا لأجل أن يعلم أن الصلاة التي هي الركن الركين في العبادة (عمود الدين) فيها بصمات لباب الله الأعظم وهو النبي ﷺ، فلو كان إقحام أسم النبي ﷺ وذكره والتوجه إليه من أن ذلك شرك لما كانت الشريعة بهذا الحال وهذا المنوال.

فالفارق إذن بين صلاة المسلمين الموحدين وبين صلاة المشركين بات واضحاً من خلال ما تقدم، وهذا الفرق نفس الفرق الذي مر بين حج المشركين وحج المسلمين، لأنهم في فلسفة عبادتهم لا يقرنون بين الشهادة الأولى والثانية ولا تداعياتها، لأنهم يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ﷺ، فإن حقيقة العبادة والعبادات هي النية القربية وهي نية السبب المؤدي للقربة، والقربة غاية ومسببة تحصل بالطاعة التي هي طاعة الله ورسوله وأولي الأمر كما أمر هو تعالى بذلك.

فهذه العبادة التوحيدية التي لم يهضمها هؤلاء والذي أبى وأستكبر وجحد عنها أبلّيس اللعين، فهي سنة كسنة أبلّيس، فأبلّيس أراد أن يفرق بين طاعة الله وطاعة خليفة الله:

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(١)</sup>،  
بينما الملائكة تم نورهم وتوحيدهم بطاعتهم لله وخليفة الله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### الفرق بين الهجرتين:

فالهجرة من العبادات العظيمة ولكن ليس كل من هاجر فهو مهاجر ومن المهاجرين لأنه يوجد فرق بين من هاجر إلى الله ورسوله ﷺ ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(٣)</sup> وبين من هاجر لأجل النفوذ في السلطة وأستثمار مواقع ومناصب، والتغلغل في ذلك، فهؤلاء ليس إلى الله وليس إلى رسوله.  
والأمر الآخر هو أن الكلام من مبطلات الصلاة فكيف نتكلم مع النبي ﷺ في الصلاة؟!.

فإننا نذكر النبي ﷺ في أول ووسط وآخر الصلاة وهذا ذكر من أذكار الله تعالى، لأن الصلاة كلها ذكر الله والله، فذكر النبي ﷺ من ذكر الله ﷻ، وإذا ذكرت النبي ﷺ فأنتك ذكرت أهل بيته بنص القرآن الكريم كما في آية المباهلة وآية التطهير.

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) ص: ٧٢ - ٧٣.

(٣) النساء: ١٠٠.



## ذكر الإئمة في التسليم:

ذهب جملة من العلماء بجواز السلام على الإئمة الهادين المهديين بعد السلام على النبي ﷺ في الصلاة.

وذهب الى ذلك الشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي في النهاية، والشيخ المفيد في المقنعة وغيرهم من المتقدمين.

فقد ورد في الفقيه للشيخ الصدوق حيث قال (ثم سلم وقل: اللهم أنت السلام ومنك السلام ولك السلام وإليك يعود السلام، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام على الإئمة الراشدين المهديين...) (١).

وقد أفتى الشيخ الطوسي في النهاية بذلك حيث قال في صيغة التسليم: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام على جميع أنبياء الله وملائكته ورسله السلام على الإئمة الهادين المهديين السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يسلم على حسب ما قدمناه) (٢).

وبعين هذه الألفاظ أفتى ابن براج في التسليم في كتابه المذهب (٣).

وأفتى سلالر في التسليم بقوله: (ويوميء بوجهه إلى القبلة فيقول: السلام على الإئمة الراشدين السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) (٤).

وأفتى المفيد في المقنعة بذلك في التسليم حيث قال: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ويوميء بوجهه إلى القبلة ويقول: السلام على الإئمة الراشدين السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وينحرف بعينه إلى يمينه وإذا فعل ذلك فقد فرغ من صلاته وخرج منها بهذا التسليم) (٥).

(١) الفقيه ج ١: ٣١٩، ح: ٩٤٤.

(٢) النهاية ج ١: ٣١١.

(٣) المذهب ج ١: ٩٥.

(٤) المراسم العلوية: ٧٣.

(٥) الشهادة الثالثة: ٧٢.

إذن فطاعة من لم يؤمر الله بطاعته وثن وصنم، وترك من أمر الله بطاعته هي من الوثن أيضاً فطاعة رسول الله هي طاعة الله تعالى والదال على أوامر الله هو رسول الله ﷺ والదال على أوامر الله وعبدته ورسوله هم أولي الأمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

### طاعة أهل البيت عليه السلام:

فقد صرحت الكثير من الأحاديث الواردة في كتب الفريقين بأن المراد من أولي الأمر الذين أوجب الله تعالى طاعتهم في هذه الآية هم أهل البيت المعصومون عليه السلام، ومنها:

١- أخرج الحاكم الحسكاني بسنده إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (قال رسول الله ﷺ: شركائي الذين قرنهم الله بنفسي وبني وأنزل الله فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ الآية، فإن خفتم تنازعاً في أمر فأرجعوه إلى الله والرسول وأولي الأمر. قلت: يا نبي الله، ومن هم؟ قال: أنت أولهم)<sup>(٢)</sup>.

٢- وأخرج أيضاً بسنده إلى مجاهد، قال....: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام حين خلفه رسول الله ﷺ في المدينة فقال: (أتخلفني على النساء والصبيان؟، فقال: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى حين قال له: اخلفني في قومي وأصلح؟)).

فقال الله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: هو علي بن أبي طالب، ولله الأمر بعد محمد ﷺ في حياته حين خلفه رسول الله ﷺ بالمدينة، فأمر الله العباد بطاعته وترك خلافه<sup>(٣)</sup>.

(١) النساء: ٥٩

(٢) شواهد التنزيل ج: ١: ٢٠٢.

(٣) المصدر السابق.

٦٦ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

٣- وأخرج أيضاً بسنده إلى أبي بصير عن الإمام الباقر عليه أنه سأله عن قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: نزلت في علي بن أبي طالب . قلت: إن الناس يقولون: فما منعه أن يسمي علياً وأهل بيته في كتابه ؟ فقال أبو جعفر: (قولوا لهم: إن الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله هو الذي فسر ذلك، وأنزل الحج فلم ينزل طوفوا سبعاً حتى فسر ذلك لهم رسول الله، وأنزل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فنزلت في علي والحسن والحسين، وقال رسول الله ﷺ: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، إني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما علي الحوض، فاعطاني ذلك)<sup>(١)</sup>.

وفي ذلك كثير من الروايات التي تؤكد هذا، فهذه العبادات كالصلاة والصيام والحج والزكاة هي فرائض من الله وسنن من الرسول ﷺ وسنن من أهل بيته عليه لأن الله أعطاهم هذا المقام الكبير: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

## الشهادة الثالثة:

ولذلك أفتى جمع من الفقهاء بجواز أو استحباب الشهادة الثالثة لأمر المؤمنين عليه، فرفع الله تلك البيوت والتي هي رجال معصومون من الرجس مطهرون، كما رفع ذكر نبه، فقرن الشهادة بولايتهم بالشهادتين. فجعل حقيقة التشهد في شريعة الإيمان هي الشهادات الثلاث ونعت أهل الإيمان بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ فجاء بلفظ الجمع ليدل على زيادة الشهادات على الأثنين وقد تواترت الروايات الواردة عن أهل

(١) المصدر السابق، أصول الكافي ج ١: ١/١٨٦.

البيت ﷺ بل وعن جملة من مصادر العامة على أن التشهد حقيقة شرعية في الشهادات الثلاث بل وفي مجمل العقائد الحقّة وذلك بلسان أقران الشهادات الثلاث في كل مراحل نواميس الخلقة الإلهية<sup>(١)</sup>، فلا ينفع الإقرار بالشهادة الأولى من دون الشهادة الثانية، ولا بالشهادتين من دون الإقرار بالشهادة الثالثة، وهي إمامة أمير المؤمنين والإمامة المعصومين ﷺ.

فقد روى فرات الكوفي في تفسيره عن علي بن عتاب معنعناً عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي إلى السماء صرت إلى سدرة المنتهى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأبصرته بقلبي، ولم أره بعيني فسمعت أذاناً مثني مثني، وإقامة وترأ وترأ، فسمعت منادياً ينادي يا سكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي أن محمداً عبدي ورسولي، قالوا: أشهدنا وأقررنا، قال: أشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي أن علياً وليي وولي رسول، وولي المؤمنين بعد رسول، قالوا: شهدنا وأقررنا...<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما روى الكليني في الصحيح الأعلائي عن ابن أذينة عن أبي عبد الله في حديث المعراج: (أن جبرئيل أذن فقال: اشهد أن محمداً رسول الله فأجتمعت الملائكة فقالت مرحباً بالحشر ومرحباً بالناشر ومرحباً بالأول ومرحباً بالآخر، محمد خير النبيين وعلي خير الوصيين)<sup>(٣)</sup>.

وكثير من الروايات التي تؤكد ذلك وأن الأذان والإقامة في المعراج كانتا في نفس الموطن من المعراج الذي سمع فيه النبي ﷺ للشهادات الثلاثة، وروايات المعراج حافلة بأن بدء التشريع للأذان والصلاة كان في المعراج.

وأن كثيراً من الفقهاء المتقدمين أفتى بالشهادة الثالثة في دعاء التوجه إلى الصلاة والذي يؤتى به بعد تكبيرة الإحرام كالشيخ الطوسي والحلي في الكافي والمفيد في المقنعة والشيخ

(١) راجع كتاب الشهادة الثالثة لسماحة الاستاذ الشيخ السند ففيه التفصيل على ذلك.

(٢) الشهادة الثالثة: ١٨١ نقلاً عن تفسير الكوفي.

(٣) المصدر السابق.

الصدوق في المقنع وأبن زهرة وسلار وغيرهم فقد أفتى الشيخ الطوسي في كتاب الاقتصاد، قال في فصل فيما يقارن حال الصلاة وأول ما يجب من أفعال الصلاة المقارنة لها النية... ويستفتح الصلاة بقوله (الله أكبر)... فإن أراد السنة في الفضيلة كبر ثلاث مرات... ثم يكبر تكبيرتين آخرين مثلما قدمناه ويقول... ثم يكبر تكبيرتين آخرين ويقول بعدهما: (وجهي وجهي للذي فطر السماوات والأرض على ملة إبراهيم ودين محمد ﷺ وولاية أمير المؤمنين وما أنا من المشركين، قل إن صلاتي ونسكي ومحياي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين)<sup>(١)</sup>.

بل الحلبي في الكافي أفتى بذكر أسمائهم (صلوات الله عليهم)، حيث قال في الكافي: (فأما التوجه فهو ما يفتح به الصلاة من التكبير والدعاء وصفته أن يقول المتوجه بعد الفراغ من الإقامة ويداه مبسوطتان تجاه وجهه: اللهم إني أتوجه إليك وأتقرب إليك بمن أوجبت حقهم علي: آدم ومحمد ومن بينهما من النبيين والأوصياء والحجج والشهداء والصالحين وآل محمد المصطفى: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة بن الحسن اللهم فصلني عليهم أجمعين وأجعلني بهم جيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين اللهم أجعل صلاتي بهم مقبولة وعملي بهم مبروراً وذنبي بهم مغفوراً وعيبي بهم مستوراً ودعائي بهم مستجاباً، مننت اللهم علي بمعرفتهم فأختم لي بطاعتهم وولايتهم وأحشروني عليها وجازني على ذلك الفوز بالجنة والنجاة من النار برحمتك يا أرحم الراحمين ثم يكبر ثلاث تكبيرات... ثم يكبر تكبيرتين ويدعو بعدهما... ثم يكبر تكبيرة ثم ينوي الصلاة ويكبر تكبيرة الافتتاح مصاحبة للنية ويقول بعدها: وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً على ملة إبراهيم ودين محمد وولاية أمير المؤمنين والإئمة من ذريتهم الطاهرين...)<sup>(٢)</sup>. فهذه جملة من فتاوى المتقدمين وهي بطبيعة الحال تستند إلى روايات أهل بيت النبوة والعصمة.

(١) الشهادة الثالثة: ٧٤.

(٢) الشهادة الثالثة: ٧٤.

## التوسل من العبادة:

ومن هنا يتضح أن من شرائط صحة وقبول العبادة هو الولاية بأهل البيت، وإن العبادات من دون التوسل بأهل البيت ليست صحيحة وليست مقبولة، ولذلك جملة من فقهاء العامة من الشافعية والحنبلية والأحناف ردوا على ابن تيمية والسلفية وعلى هؤلاء الشذمة بأن التوسل مشروع وراجح وغير ذلك.

بل أنه ليس مخيراً بل هو - التوسل - أمر لا بدّي حتمي بتي عقلاً وقرآناً.

## التوسل والتوحيد:

لا توحيد إلا بالتوسل، ولا يوحد الموحد ربه إلا بأن يتوسل، وربما يبحث الكثير عن التوسل وإمكانه ومشروعيته، أو يترقى البحث الى ضرورته، لكن كل ذلك ليس وقوفاً على حقيقة ما للتوسل من دور خطير ودعامة كبرى في الإيمان والتوحيد، فإن الأدلة القرآنية والأحاديث الشريفة والبراهين العقلية تطلعننا وتبصرنا على أن معرفة توحيد الذات لا يتحقق إلا بالتوسل، فالإيمان بالواحد الأحد والفرد الصمد لا يتحقق في الحقيقة إلا بابتغاء الوسيلة، فشان التوسل أعظم شأنًا من كونه لقضاء حاجة واستجابة دعاء، بل هو يترقى على ذلك إلى تأثيره في تحقيق وإنجاز أصل العبادة والمعرفة وتوحيد الذات، فخطورته متصاعدة إلى أصل أصول الدين وهو توحيد الذات والصفات والأفعال والأسماء، ولربما كانت هناك مقولة تفسر النبوة والإمامة ((الشهادة الثانية والشهادة الثالثة)) بأنها من أركان التوحيد، وأنها أبواب أخرى للتوحيد ومجال له، فهي بالتالي مراتب للتوحيد وأركان له، وهذه المقولة تعتمد في تبيان ذلك على تقرير أن حاكمية الله في التشريع توحيد في التشريع، وهي مؤدى الشهادة الثانية والأعتقاد بالنبوة، وأن حاكميته تعالى في الطاعة توحيد في الولاية، وهي مؤدى الشهادة الثالثة والأعتقاد بالإمامة، إلا أن التوسل يعمق تفسيراً آخر لذلك ويبين أن الأعتقاد بالنبوة والإمامة يقوم توحيد الذات والصفات لا مجرد أنه يقوم التوحيد في مقام التشريع ومقام الولاية والطاعة، بل إن إقامة معرفة توحيد الذات والصفات لا سبيل له إلا الوسيلة والتوسل بالآيات وأعظم

٧٠..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

المخلوقات وأكرم فعل الله وخلقه، وذلك لأن التوحيد سبيل الخيفية المائلة عن التشبيه والتعطيل.

فإن الذات الإلهية الأزلية السرمدية بعد كونها غير متناهية ولا محدودة، لا بحد عقلي ولا بحد روحي ولا بحد نفساني فضلاً عن الحد الجسماني والمادي، فعلى ضوء ذلك فلا سبيل للمخلوق إلى إدراك الخالق، لأنه بذلك لا يكتنيه أي لا يدرك كنه ذاته، كما إنه لا يجبه لأنه ليس بجسم ليكون في حيز محدود محاط ومحاصر فيقابل ويجابه، بل ليس في البين مجابهة على النمط العقلي أو النفسي فضلاً عن المادي، كما لا يحس ولا يحس ولا يمس، كيف وليس هو محاط كالجسم، وليس بمقهور كي تعمل فيه آلات الحس.

فمع كل ذلك فكيف للعقول أن تناله وأنى للقلوب أن تبصره ولا يصار إلى امتناع معرفته، لأنه تعطيل وهو بمنزلة الإلحاد والإنكار، فمن أنكر المعرفة من رأس فقد قال بالتعطيل والإنكار، ومن أثبت المعرفة بالحس أو المس أو الجس أو بالجه أو بالإكتناء فقد صغر الخالق وحدده ونعته بالمقهورية المحاطة، فلا سبيل إلى معرفة ذاته إلا بآياته، وهي أفعاله من عظام مخلوقاته وكبير بدائعه ودقائق صنعه وتكوينه، فيتجلى لعارفيه بالآيات والأفعال وهي أسماؤه العظمى، إذ قد تسمى بها لأنها أصبحت علامات عليه وسمات لصفاته.

فلا سبيل لمعرفة إلا بأسمائه، وهي آيات خلقه الكبرى، وهي أبواب سماء عزه وحجب نوره، وهي الوسيلة إليه.

ومن ثم أمر عز شأنه وجل جلاله بابتغاء الوسيلة، إذ لا سبيل إلى معرفته إلا بها، وليس الأمر بابتغاء الوسيلة عبثاً حاشى وكلا، بل لضرورة قصدها وانحصار الطريق إليه تعالى بالتوجه إليها.

وبهذه الوجيزة يتبين أن الوسيلة ضرورة في صميم إقامة معرفة الذات والصفات فضلاً عن مقامات التوحيد الأخرى، كيف لا ولم تتعرف العقول على ذاته إلا بمظاهر أفعاله وآياته الكبرى التي هي وجهه الدائم الذي لا يبيد، فإن جل أدلة الحكماء والبراهين التي استرشدوها في معرفة التوحيد هي براهين إنية تنطلق في المعرفة من المعلوم ((المعلوم)) إلى

العلة ((المجهول)) ومن المخلوق إلى الخالق، وإن أسموها برهان الصديقين وأدلة لمية، إلا أن نقوض ونقود بعضهم على بعض شاهدة على كونها معرفة مسيرها من الآية إلى ذي الآية، وقد أعظم القرآن معرفته تعالى بالآيات، فترى الكتاب المجيد يجلجل منادياً بهذا السبيل، وهو سبيل آياته وهو الوسيلة إلى معرفته<sup>(١)</sup>.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): وبِعِظْمَتِهِ وَنُورِهِ أَبْتَغِي مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ<sup>(٢)</sup>.

ولذا قالت الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في إحدى خطبها: (فأحمدوا الله الذي بعظمتته ونوره أبتغي من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة، فنحن وسيلته في خلقه، ونحن آل رسوله، ونحن حجة غيبه وورثة أنبيائه)<sup>(٣)</sup>.

والدليل القرآني قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

يتضح من خلال هذه الآية أن هناك بعداً بين العبد وبين الباري تعالى وإلا لو كان هناك قرب تلقائياً حاصل من طرف العبد إلى الرب فلا حاجة حينئذ إلى الوسيلة وحديث الأقتراب لأنه تحصيل للحاصل، فإذا الأمر بالوسيلة يدل على أنه من طرف العبد هناك بعد حاصل من العبد تجاه مولاه، وإلا لو كان القرب حاصل فلا حاجة إلى الوسيلة حتى بنحو التخيير فلا معنى لها هذا من طرف العبد.

وأما من طرف الرب إلى العبد فهو ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) الإمامة الإلهية ج ٥: ١٧.

(٢) أصول الكافي ج ١: ١٢٩.

(٣) السقيفة وفدك، أبو بكر الجواهري البغدادي: ١٠١.

(٤) المائدة: ٣٥.

(٥) ق: ١٦.



فمن طرف الرب القرب موجود ومهيمن: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي﴾<sup>(١)</sup> ولكن من طرف العبد فيحتاج إلى الوسيلة، فإذا كان قرب البارئ تعالى إلى العبد قرب جسماني فسوف يكون هناك تلازم من الطرفين، لأن القريب لك في الموقع الجغرافي الجسماني لا بد أنت أيضاً قريب منه.

وإذا كان القرب عقلي فأيضاً كذلك فإن هناك تسانخ يعني في الجنس أي من نفس نوع الجنس، وكذلك إذا كان هناك قرب روحي نفسي.

أما في غير قرب التجانس والمكاني بل من قرب يتصور من طرف دون الطرف الآخر، كقرب السلطنة وقرب الهيمنة، فالقريب من الشيء قرب قدرة يعني هو مقتدر، فإذا كان هو مقتدر فيلازم العكس، فبدل أن يلازم القرب فيلازم البعد، فالقوي من الضعيف كلما ازداد نفوذه قدرة فالطرف الآخر لا يمكن نفوذه بل يزداد ضعفاً فلا يقترن الضعيف من القوي قدرة بل يبتعد أكثر فأكثر.

فالخلق قائم بالخالق وليس العكس، فالبارئ من خلقه قريب علماً وهيمنة وسلطنة، والمخلوق بعيد عن خالقه في السلطة يعني عن صفة القدرة وصفة العلم المقترنة بالبارئ ومن ثم هذا الأمر: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أمر حتمي لا بدي وليس هنالك خيار آخر، فإذا كانت الآية تعطي أن بين المخلوق والخالق بعداً فلا بد أن يطوى ذلك البعد، فكلما تكامل المخلوق في الصفات قرب من حضرة الربوبية، وكلما عظم المخلوق كلما عرف وفهم كمالات الخالق، وكلما تجلّت في المخلوق صفات الكمال عرف المخلوق بذلك الكمال صفات الخالق.

ولذلك أكمل المخلوقات كمالاً أعرف للرب، وإذا قلت الكمالات قلتُ بالباري معرفته: ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> فالله تعالى يصف ذلك الكمال النبوي بالعظيم، وبهذا الكمال والخلق أزداد ﷺ قرباً إلى الباري تعالى وكان هو الوسيلة إليه تعالى، أما هو ﷺ فوسيلته نفسه والمراتب العليا من ذاته الشريفة لأنه يستدل بالصفات التي أودعها الله فيه على صفات خالقه: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾، ومن ثم الوسيلة أو الوسائل التي يتوسل بها إلى الله ﷻ هي أعظم المخلوقات فهي آيات وهي أسماء ألوية أيضاً، لأن الأسم من السمة والسمة علامة.

فعن هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله مما هو مشتق؟

فقال: يا هشام الله مشتق من إله وإله يقتضي مألوهاً والأسم غير المسمى، فمن عبد الأسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الأسم والمعنى فقد أشرك وعبد الاثنين، ومن عبد المعنى دون الأسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟! قال: قلت: زدني قال: لله تسعة وتسعون اسماً فلو كان الأسم هو المسمى لكان كل أسم منها إلهاً ولكن الله معنى يُدلُّ عليه بهذه الأسماء وكلها غيره، يا هشام الخبز أسم للمأكل، والماء أسم للمشروب، والثوب أسم للملبوس، والنار أسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعدائنا المتخذين مع الله ﷻ غيره؟ قلت: نعم، فقال: نفعل الله به وثبتك يا هشام، قال: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا<sup>(٢)</sup>.

فالسبيل إلى معرفته هي آياته وأسمائه، فأقامة التوحيد ومعرفة التوحيد هو بطاعتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) القلم: ٤.

(٢) الكافي ج ١: ١١٤.

(٣) النساء: ٥٩.

بل إن من شرائط صحة التوبة هو التوسل بهم: ﴿وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾<sup>(١)</sup> فلا تحصل المغفرة ولا التوبة ولا الإيمان ولا يقبل العمل الصالح إلا بشرط الهداية، والمراد من الهداية في هذه الآية المباركة مقام الإمامة، لأنها تعني الإيصال إلى المطلوب، وهي مرحلة بعد مقام النبوة الذي هو إراءة الطريق فقط<sup>(٢)</sup>.

بل أن أي توجه إلى الحضرة الربوبية وأن لم يكن في العبادة بل لنيل أي مقام لا بد من التوجه بالنبي ﷺ وأهل بيته عليه، وهذا يشمل حتى الأنبياء.

وهذا التوسل لا يخص النبي في حياته بل حتى بعد مماته، فعن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: قدم علينا إعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ....﴾ الآية. وقد ظلمت وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر: قد غفر لك<sup>(٣)</sup>.

فاللواذ بالنبي ﷺ ليس في حياته فقط لأن تشريع التوبة عام حتى بعد وفاته بل وحتى قبل ولادته ﷺ كما توسل آدم عليه السلام بالنبي ﷺ عندما طلب التوبة من الله ﷻ، فقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما أقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمداً رسول الله، فعرفت أنك لم تضيف إلى أسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك)<sup>(٤)</sup>.

(١) طه: ٨٢.

(٢) الإمامة الإلهية ج ٤: ١٠٢.

(٣) وفاء الوفاء ج ٣: ١٨٦.

(٤) وفاء الوفاء ج ٤: ١٩٣.

وهذا مما يدل على أن هذه القاعدة ليست خاصة في زمان معين وإنما هي عامة لكل الأزمنة والأوقات من آدم إلى يوم القيامة، فإن حمى الرسول هو حمى الله تعالى، وحرمة الرسول ﷺ هو حرمة الله تعالى، والمجيء إلى رسول الله ﷺ ليس هو خصوص المجيء الفيزيائي البدني، أي حضور نفس ذلك البدن المذنب في المكان الذي فيه بدن النبي ﷺ، فلربما مذهب يجيء إلى النبي ﷺ، ولكن ليس في قلبه إقرار وتسليم لولاية النبي ﷺ كما في زوجتي نوح ولوط (عليهما السلام): ﴿كَانَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَاتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾<sup>(١)</sup> فقد كانت أحدهما بين أحضان أحد أنبياء أولوا العزم ومع ذلك أدخلها الله النار لأن قلبها كان يعاند نبوة زوجها، فإن المجيء هو تسليم القلب للأجارة، وإن المجيء لأهل بيته ﷺ هو المجيء إلى نفس النبي ﷺ، وآيات القرآن دوماً سائرة إلى يوم القيامة ما عدا المنسوخة منها. يقول السهمودي: أعلم أن الاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ وبجاهه وبركاته إلى ربه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، واقع في كل حال، قبل خلقه ﷺ وبعد خلقه، في حياته الدنيوية ومدة البرزخ وعرصات القيامة<sup>(٢)</sup>.

### إثبات سماع الميت للحي:

إن عمدة المستمسك الذي يستندون إليه هو ما في بعض الآيات: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾<sup>(٤)</sup>: وما شابه ذلك، أو أن تأثير من انتقل إلى الدار الآخرة اقل من تأثير من هو باق في دار الدنيا.

(١) التحريم: ١٠.

(٢) وفاء الوفاء ج ٤: ١٩٣.

(٣) النمل: ٨٠.

(٤) فاطر: ٢٢.

٧٦..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

والحال أن اصطلاح القران واستعمال القران للميت ولمن في القبور لا يراد به - ربما - المعنى المتبادر لدينا، أن الميت هو من انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة، وإن استعمل القران الكريم الموت في هذا المعنى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ﴾<sup>(١)</sup> استعمل الموت والميت والموتان في من انتقل من هذه الدار إلى تلك الدار، لكن في تلك الآيات التي يستشهدون فيها أن الموتى لا يسمعون أو ما شابه ذلك أو لا يضررون أو لا ينفعون.

هناك استخدام الموت في غير هذا المعنى. ليس المراد منه هذا المعنى. الاصطلاح الآخر أو المعنى الآخر الذي أطلق عليه القران الكريم الموت وانه لا يسمع اتفاقا تلك الآيات قد استعملها القران في من هم أحياء في دار الدنيا، أنهم أحياء ولكن موتى، موتى يعني موت القلوب والعقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(٢)</sup> لاحظ مع أن العمى والعميان يستخدم أو يستعمل في الاستعمال الحقيقي للجراحة البدنية، لكن القران يتوسع بل ويجعل المدار الأهم في معنى العمى هو القلب، فإذا كان الإبصار والسمع اللذين هما اظهر مظاهر الحياة، عند القران أن الإبصار والسمع اللذين في القلب أكثر دور وخطورة وأهمية من الإبصار والسمع اللذين في البدن، من الواضح إذاً كلام القران يدور مدار القلب: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾<sup>(٣)</sup> حيث أن قلوبهم ميتة ولا يعون ولا يدركون النور الإلهي فعبر القران الكريم بالميت، بل يوجد في القران استخدام للقبر بمعنى البدن لا يقتصر استخدام القبر فقط في الحفيرة الخاصة بالتراب.

(١) الزمر: ٣٠ - ٣١.

(٢) الحج: ٤٦.

(٣) فاطر: ٢٢.

مضافاً إلى أنهم يروون ويسلمون بما هو نظير مفاد الآية الكريمة: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ بشكل متفق عليه إذا الحياة والسمع والإدراك في نظر القرآن الكريم مداره الأهم والأعظم هو القلب، ولذا ورد عن أهل البيت عليهم السلام في ذيل هذه الآية تفسيراً لها: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup> قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: (من أخرجها من ضلال إلى هدى فقد أحياها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلالة فقد قتلها)<sup>(٢)</sup>، هذه أي حياة؟ الهداية هي حياة - التأويل الأعظم وواضح أن الحياة المؤقتة ربما جاني يجني على بدن الإنسان لكنه لا يجني على بصيرته، حيثئذ لا يخسر حياته الأبدية ولكن إذا جنى جان على الحياة الأبدية للإنسان هذا أكبر وأعظم جناية مما لو جنى على بدنه. إذاً المراد من الحياة والموت أن للإنسان درجات من الممات ودرجات من الموتان، ليس خصوص هذه الحياة الدانية التي هي الحياة البدنية، بل المراد منه الحياة التي هي أعظم، بلحاظ حياة القلوب وحياة الأرواح، مضافاً إلى إنهم رَوَوْا وهم يرونه أنه أمر شرعي وجائز أن تأتي إلى أهل القبور وتقول: (السلام عليكم يا أهل القبور، ويغفر الله لنا ولكم...) أو (السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحت فيه مما أصبح الناس فيه...) <sup>(٣)</sup> على اختلاف تعابيرهم.

كلمة السلام ماذا تعني؟ تعني التحية، التحية بين ماذا؟ بين حي وجامد؟ هذا ليس له معنى. لا بد أن تكون إذن بين حي وحي. إذاً نفس ما أوردوه هم باتفاق الصحاح أجمع أنه يسلم على الموتى ماذا يعني هذا يعني هناك جسر وتخطب بين الأحياء وبين من انتقلوا إلى دار البرزخ.

(١) المائدة: ٣٢.

(٢) تفسير العياشي ج ١: ٣٤٢.

(٣) وفاء الوفاء ج ٣: ٧٨.

كما قد مرت الإشارة أن الشرع ربما يبين لك نافذة كلية ولا يعين لك تفاصيل ونماذج لهذه النافذة الكلية شبيه بالمادة الدستورية مثلاً، مادة كلية تطبيقاتها حينئذ تتولد منها تطبيقات قانونية كثيرة يصادق عليها مثلاً المجلس النيابي، وكذلك المادة القانونية النيابية الكلية تصادق عليها الشعب الوزارية، حينئذ هذه القوانين المتولدة من البرلمان أو التي صادق عليها البرلمان من المادة الدستورية يقال هذه لا مشروعية لها أو لها مستند مشروع، لها مستند مشروع في ضمن وجود القانون الكلي، لماذا ؟ لأن المقنن وظيفته أن يبين لك الكليات ثم يأتي دور من يبين لك التفاصيل إذا كان اتفاق عند المسلمين أن زيارة أهل القبور بالسلام، ماذا يعني السلام ؟ السلام أمر كلي عام أن هناك تحية وتخطب بين الأحياء في دار الدنيا وبين من انتقل، طبعاً الشارع إذا فتح لك مثل هذه النافذة هنا جسر وتخطب بين الأحياء في دار الدنيا والأحياء في دار الآخرة جسر تخطب حينئذ تبقى العلاقة والصلة بين الحيين حي في دار الدنيا وحي في دار الآخرة. بالإضافة إلى ما تعرفونه من الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>(١)</sup>. ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إذاً هذا المروي عند كافة المسلمين نستطيع أن نعبر عنه ضرورة إسلامية أنه نعبر على أهل القبر بالسلام والسلام تخطب وليس لقلقة لسان ولا هذيان ولا تكلم من مجانين تكلم من عقال، السلام يحبه به ويباشر الأحياء في تلك الدار، مضافاً إلى ما في ضرورة المسلمين أن في كل صلاة يسلم على النبي ﷺ، هذا السلام على النبي ﷺ لقلقة لسان ؟ أو هذيان ؟ لا سيما بعد ذكر الله في الصلاة في عمق العبادة الإلهية يخاطب الرسول ﷺ، (يخاطب) ويبدأ معه بالتحية هذا ماذا يعني ؟ يعني أن للنبي ﷺ بعد الله ﷻ ذلك المقام المنيع والذي لا بد أن يكون على منطلق هؤلاء شرك، كيف أنت تشرك حسب مبنائك في صلاتك وهم يمارسون في صلاتهم اليومية لا أدري غافلين أو ملتفتين في صلاتهم قبل

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) البقرة: ١٥٤.

خروجهم من الصلاة أنه بإجماع الفقهاء إذا لم يسلم السلام الأخير فهو لم يخرج من الصلاة، بصرف التحية للنبي لم يخرج من الصلاة، والصلاة هي عبادة مع الله ﷻ، فأنت أيها المسلم بضرورة المسلمين كافة بما فيهم هؤلاء تضمن عبادتك بالتحية للنبي ﷺ وهذا ماذا يعني؟ يعني خطاب حي وحي وإلا أنت لما تذكر الله ﷻ وتعبده هل تعبد من لا حياة له - أعوذ بالله - أو من له حياة. وهذا الأمر المتمثل في برنامج الصلاة هو مفاد الآية: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ هذه الآية تكررت مرتين في سورة البراءة، مرة تقول: ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾<sup>(١)</sup> وفي موضع آخر من سورة البراءة: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ضم لها، والرؤية تعني رؤية العمل لا رؤية صحيفة العمل كيف رؤية الله للأعمال معجلة أو مؤجلة؟ شهادة بشفاعة حية حاضرة أو لاحقة؟ شهادة، التفتوا للآية أن الله خالق الكلام وكل لفظ وعنوان يأتي به القرآن يريد منه ما هو الله ﷻ عالم بمغزاه العميق ليس التعبير في الآية قل اعملوا فسيعلم، يعني علمه متأخر على العمل فسيعلم يوم القيامة وما شابه ذلك وإنما التعبير في الآية: ﴿قُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى﴾ رؤية تعني الشهود.

مضافاً إلى ما ذكر في آيات عديدة في القرآن الكريم من أن النبي ﷺ شاهد على الأمم وعلى هذه الأمة وهو شاهد على الشاهدين في هذه الأمة: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ﴾<sup>(٣)</sup>

والشهادة يقال للشاهدين في المحكمة شاهدين، ليس فقط لأداء الشهادة وإنما لتحمل الشهادة، حظرا الشهادة وكان في محضر ومشهد الشهادة ومن ثم يؤديها، أصل تعبير واستعمال الشهادة، الحضور في واقع الحدث ثم تؤديه أنت للقاضي. وإلا الأداء للقاضي

(١) التوبة: ٩٤

(٢) التوبة: ١٠٥.

(٣) النحل: ٨٩.



٨٠..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

استعمال الشهادة فيه توسع في اللغة العربية أو حتى في اللغات الأخرى، أصل معنى الشهادة هو حضور و شهود مسرح الحدث، أي وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون. هم يروون في البخاري وفي مسند أحمد بن حنبل وفي صحيح مسلم في واقعة بدر أن الرسول ﷺ خطب خطاباً حيثاً مع الكفار القتلى (قتلى القلب) أي الكفار الذين قتلوا قرب البئر في واقعة بدر واعترضه الثاني كالعادة: (لما أمر النبي بإلقاء قتلى المشركين في القلب وقف رسول الله ﷺ عند القلب وأخذ يخاطب القتلى واحداً واحداً ويقول: يا أهل القلب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل (وهكذا عدد من كان منهم في القلب) هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً.

فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله أتنادي قوماً موتى ؟.

فقال ﷺ: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى عن قتادة قال: أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، فقفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان بيدر اليوم الثالث أمر براجلته فشد عليها رحلها، ثم مشى وأتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: (يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟). قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم)<sup>(٢)</sup>.

فإذا الخطاب بين الحي والحي، ونحن أيضاً في دار الدنيا لا حياة من الآخرة وهم أحياء في الآخرة ؟ نحن بلحاظ الآخرة لسنا بأحياء في حياة من الآخرة كما نقول عن الأموات ليسوا أحياء في دار الدنيا ونحن أحياء في هذه النشأة، لكن هذا يعني أنه لهم حياة متميزة،

(١) سيرة سيد النبيين ج ٢: ٨٣.

(٢) صحيح البخاري: ٧٠٤، باب دعاء النبي على كفار قريش، الحديث: ٣٩٧٦.

فهم أحياء في تلك الدار ونحن أحياء في هذه الدار، وهناك من الشواهد القرآنية والروائية الكثيرة الدالة على وجود الاتصال والوصال بين الحين في هاتين النشأتين.

**البرهان الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الميثاق المذكور في هذه الآية المباركة يدل على أن هناك صفقة أو تعاقد بين الله ﷻ وبين الأنبياء وهو أنه يعطي الله تعالى للأنبياء النبوة والمقامات الأخرى الغيبية والتي عبر عنها بـ (الكتاب والحكمة) في مقابل: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ وهو الأقرار بولاية النبي ﷺ، فإن أعطاء النبوة للأنبياء هو في مقابل الأقرار لخاتم الأنبياء ﷺ بالولاية والنبوة، ومن هنا يتضح أن الأنبياء ﷺ كانوا على دين محمد وليس هو على دينهم، فبدین محمد ﷺ بعث سائر الأنبياء، فبعد الإيمان بالله كانوا يؤمنون بدين ونبوة النبي محمد ﷺ ولذلك ورد في دعاء التوجه القول (على ملة إبراهيم ودين محمد).

روي عن علي عليه السلام: أن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا ﷺ أن يخبروا أمهم بمبعثه ونعته، ويشرونهم به، ويأمروهم بتصديقه<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث أيضاً عن النبي الأكرم ﷺ في حديثه لأصحابه قال: ((فأخذ لي العهد والميثاق على جميع النبيين، وهو قوله الذي أكرمني به جلّ من قائل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) نور الثقلين ج ١: ٣٥٩.

وَلَنَصْرُهُ قَالَ أَقَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾ وقد علمتم أن الميثاق أخذ لي على جميع النبيين، وأنا الرسول الذي ختم الله بي الرسل، وهو قوله تعالى: ﴿رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ ﴿٢﴾ فكنت والله قبلهم وبعث بعدهم وأعطيت ما أعطوا وزادني ربي من فضله ما لم يعطه لأحد من خلقه غيري، فمن ذلك إنه أخذ لي الميثاق على سائر النبيين ولم يأخذ ميثاقي لأحد، ومن ذلك ما نبأ نبياً ولا أرسل رسولا إلا أمره بالإقرار بي وأن يشر أمته بمبعثي ورسالتي) ﴿٣﴾.

فهو شاهد والشاهد يطلع على ما عند المشهود أو على المشهود به، فخاتم الأنبياء لا يشرف أو يشهد عليه أحد بينما سائر الأنبياء يشهد عليهم ﷺ.

ثم ﴿قَالَ أَقَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾. والأصر هو الشدة في العهد والميثاق، وهذا يدل على أهمية وخطورة هذا الأمر.

ومن ذلك يتضح أن هذه الآية المباركة نص في المقام الثالث، وأن التوجه إلى الله لنيل أي مقام أو قربى أو زلفى لا يتم إلا بالتوسل بالنبي ﷺ والتشفع به، وبالتشفع به يعطى للعبد أعظم الأرزاق وهو النبوة والكتاب والحكمة، فكيف بك بسائر الأرزاق الأخرى، التي لا تقاس بمقامات الأنبياء.

ثم إن الآية الكريمة رسمت خطورة الأمر في ضمن تأكيدات مغلطة، حيث جاء فيها قوله تعالى: ﴿أَقَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ وبعد أن تم الإقرار والمعاهدة والمعاقدة المشددة أشهدهم الله تعالى على ذلك، حيث قال: ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) الأحزاب: ٤٠.

(٣) الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الحنفي: ص ٣٨٠.

مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ<sup>(١)</sup>، وهذا يعني أن للتوسل والتوجه دوراً مهماً ومحورية رئيسية في رسم معالم الدين.

وإنكار التوسل في المسائل الدنيوية غير الخطيرة ليس إلا تعظيماً لصغائر الأمور وتصغيراً لما عظمه الله ﷻ، وإنكار التوسل في بعض الأمور الدنيوية والحاجات المعاشية ليس له معنى إلا الاستهانة بتلك المقامات الشاخصة وتعظيم وتهويل ما ليس حقه ذلك.

ومرّبنا أن أي نبي من الأنبياء لن ينل النبوة - بنص القرآن الكريم - إلا بعد أن تخاضع وإقرار بنوبة سيد الأنبياء، واعتبر أن أصول دينه الذي بُعث به لأُمته أوله التوحيد وثانيه الإقرار بنوبة سيد الأنبياء. ثم أقر على نفسه بالخضوع والإتباع لسيد الأنبياء بنفس هذه الآية: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ عهد صدق. ماذا يعني عهد صدق؟

يعني النبوة والمقامات الغيبية: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعني خاتم النبيين: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ إن الذين كذبوا بآياتنا، لاحظوا الموازنة في آيات القرآن: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَنَنْصُرُنَّهُ﴾ لتؤمنن به ؛ إيمان لا بد أن تقرّوا وتخضعوا لإتباعه ولنصرته واللجوء إليه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ يعني ليس فقط الإيمان به، ربما أنت مؤمن ولكن لا تخاضع، لا تلتجئ، لا ترمي بنفسك وبفكرك وبمنهجك للنبي ولأهل بيته. فلا يكفي ذلك، لا بد من الإيمان والخضوع، ولذلك الملائكة آمنوا بمقام آدم، ولكن لا يكفي. الله عز وجل قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ قعوا له ساجدين يعني أطيعوا ويكون عندكم مطاع: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ لم يؤمن واستكبر إذاً محوران في توجه عبادتنا ونيل ما نال، بل الأنبياء هكذا لديهم محوران: الإيمان بسيد الأنبياء وعترته كما بيّنا ليس فقط (ليؤمنوا) وبل لا بد أن يخضع ويتبع وينقاد. إذا كانت نبوة الأنبياء لم

٨٤ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

ينالوها إلا بالإقرار بأن يكونوا على دين محمد وأهل بيته لأن دين النبي ﷺ عمدته أصول الدين لأن آدم كان على دين سيدنا خاتم الأنبياء. إبراهيم، نوح، موسى، عيسى، كلهم كانوا على دين خاتم الأنبياء. لا العكس لأن أصول الدين هي عمدة الدين وبنص الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ يعني عمدة الدين الذي دان الله به أنبياءه، وأن الأنبياء لله، وبالتوحيد وبنبوة سيد الأنبياء.

إذا الأنبياء لم ينالوا ما نالوه إلا بالإقرار بنبوة النبي محمد ﷺ، والخضوع له ليس فقط الإقرار، الخضوع يعني (لتنصرنه) اتبعوه يعني كونوا أتباع له. بعد أن أقروا على أنفسهم بالإتباع لسيد الأنبياء نالوا النبوة. خلة إبراهيم الخليل لم ينالها إلا بذلك، وكليمية موسى الكليم لم ينالها إلا بذلك، ومسيحية عيسى المسيح لم ينالها إلا بذلك، وصفوية آدم صفي الله أيضاً لن ينالها إلا بذلك، ونوح شيخ الأنبياء ونبي الله لأن نبوته ربما أطول نبوة قضاها نبي من الأنبياء، هو مع ذلك لن ينالها إلا بذلك، بنص هذه الآية الكريمة.

## هنا يطرح تساؤلان:

**الأول:** لماذا الواسطة بين الله وخلقه، لا سيما مع أنبيائه، فضلاً عنا نحن الواسطة مع أنبيائه، مع إبراهيم الخليل هناك واسطة، بينه وبين الله، هو سيد الأنبياء ؟ ولماذا بين آدم، وعيسى، وموسى، فضلاً عن بقية الأنبياء، وبعد الذين هم في الدرجات الأدنى لماذا بينهم وبين الله واسطة والحال أن الله ﷻ يقول: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ ؟

فهو قريب يجب أقرب من الأنبياء بلا ريب، الله ﷻ في قربه إلى المخلوقات لا تتفاوت المخلوقات لديه وهو تعالى ، في قربه إليها لا تختلف.

إذاً ومع قربه تعالى لماذا يحتاج الأنبياء أولو العزم إلى الواسطة والحال أنه هم أنبياء الله وعلى مستوى عالي رسل، أنبياء، أئمة، أولو عزم، لماذا يحتاجون إلى الإيمان بنبوة سيد الأنبياء والتذلل له يعني يقرون على أنفسهم أنهم تبع. تابعين، ناصرين، هذا ليس بالأمر

الهيّن (لتنصرنه) يعني التناصر، أي ذلك النبي الخاتم منصور، وأنت تابع وذلك متبوع، أنت مأموم وذلك إمام المحور هو سيد الأنبياء. (لتنصرنه) لأنه هو المحور. لماذا الواسطة بين الله ﷻ وخلقه مع أولي العزم وهم عظماء الأنبياء، هذه نكته عقلية لطيفة. أشارت إليها الصديقة وأشار إليها الأئمة أشرحها بعبارات محسوسة لديكم: الاحتجاب: في دعاء كميل (اللهم أغفر لي الذنوب التي تحجب الدعاء) هي تحجب الإنسان عن العالي، الاحتجاب والحجب بين المخلوق مع الخالق لا تعني نقص قدرة وقصور في الخالق وإنما تعني عظمة الخالق، والمغالطة التي يرددها هؤلاء مكانها هنا إذا وعيتموها لن تنطوى عليكم هذه الشبهات التي تسربت في الأوساط المختلفة حتى لهجت بها بعض الأقلام من حيث لا يشعرون. لتأمل مثال أبسط تلفتون إليه: إذا افترضنا رئيساً أو شخصاً ذو مهابة والإنسان تجهّم الحديث معه مباشرة من دون أن يرسل حاجب له، هل حافظ على الأدب أو أخل بالأدب؟ لا ريب أنه أخل بالأدب وبعبارة أخرى دقيقة عقلية من يقر على نفسه لطرف آخر بحيلولة حجاب.

يعني يقر للطرف الآخر بالتعظيم، نظير هذا اللعين الذي داس صدر الحسين. يقول لابن زياد أنا الذي قتلت السيد المحجبا، محجب يعني معظم في اللغة. فالإقرار بالحجاب لله تعالى تعظيم له.

قد يعاود السائل السؤال بصيغة أخرى إذا كان هو قريب، إذا فنحن أيضاً قريبين منه، إذا كنّا نحن قريبين له إذا قربنا نحن كقرب الله إلى مخلوقاته سواء، لأنه مستوي على خلقه، والجواب أن هل يا ترى أن العابد العاصي والكافر هو أيضاً قريب لله كقرب المؤمن؟ طبعاً لا. وإلا لماذا أنت تصلي يومياً قربة إلى الله تريد أن تحصل على اقتراب وقرب أنت حيث تقول أصلي أو أصوم أو أحج قربة إلى الله يعني الزيادة في القربى فالله قريب منك مع أن الله قريب منك، إذن لماذا تجهّد نفسك بالصلوات والصدقات والصيام؟ من بديهيات المسلمين أن العبيد والمخلوقات لا بد أن تقترب شيئاً فشيئاً إلى الله ﷻ مما يعني أن هناك مسافة بينه وبين خالقه. إذا كان الإنسان على مسافة فيجب أن يقترب بالصلاة

٨٦..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

والصوم وبقية الطاعات من العبادات، لا لأجل أن هناك قرب جسماني وجغرافي من الله ﷻ كما أن هناك قرب ليس جسماني بل معنوي.

فالقرب الجسماني الفيزيائي إذا كان على بعد سنتمترين جسم من جسم، لا بد الجسم الآخر يكون على بعد سنتمترين و محال أن يختلف قرب جسم من الآخر عن قرب الآخر من الأول. هذا في الأجسام.

أما إذا لم نقل بالجسمانية للباري تعالى وهي مقولة هؤلاء الذين ينفون الوساطة، وينفون التوسل، ويحاربون التوسل، لم نقل بمقولة هؤلاء أن الله جسم. هل أن قرب الله من خلقه قرب جسماني ؟ لا. بل قرب سيطرة، وقدرة، وعلو، وسلطان، كل شيء قائم به. السماوات والأرضون، وكل شيء في الكون، المكان قائم بالله. فكيف يكون المكان محيط به ! كل مخلوق قائم بالله. فقرب الله من خلقه كما قال صادق آل محمد ﷺ في الأحاديث الواردة: قرب قدرة على الأشياء على نحو سواء منها فقدرة على الذرة الهباء المنشور عين قدرته على السماء وعين قدرته على الكرسي، فأستوائه في القدرة على الأشياء وكذلك في الهيمنة عليها والعلم بها والسيطرة عليها.

وليس استواء جغرافي. إذا كان قرب قدرة فهو ينافي القرب المكاني. أو نظير سيطرة إنسان على غيره كلما أشدّت كان الغير غير مسيطر على الأول، بل على عكس صفة الأول فالأول قريب من الثاني قدرة والثاني بعيد من القدرة على الأول والأول قريب العلم من الثاني الثاني بعيد العلم بالأول وهكذا، قربه إلينا قدرة هو عين بعدنا عنه قدرة. فنحن بعيدين عن الله قدرة وسلطاناً عليه وقاهرة له حتى هؤلاء الذين يجرّمون التوسل ويحاربون الوساطة بين الله وخلقهم. هم يقولون بالتوسل بالأعمال فتخاطبهم لم تتوسل بالعمل. أليس هناك مسافة بين العابد والمعبود ؟ إذن المسافة موجودة إذاً لا بد لك أن تقترب بطريقة ووسيلة. إذاً هذا خلاف ما قلتموه من أن لازم قرب الله من الجميع واستغنائهم عن الوساطة ليس أن الكل مقرب من الله، فإبراهيم الخليل مقرب عند الله، لا كسيد الأنبياء فلا يكون إبراهيم مقرب عند الله بنفى وساطة محمد ﷺ، بل لا بد في

إبراهيم أن يتوسل بمحمد ﷺ لحصوله على النبوة. وذلك بنفس الآية المذكورة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>. بنفس هذه الآية إن نوح وإبراهيم وعيسى وموسى كلهم حصلوا على مرتبة النبوة بإقرارهم بسيد الأنبياء وإلى هذه اللطيفة تشير هذه الآية: ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ كما في نصوص الفريقين إن هذه الكلمات هي اسم النبي محمد ﷺ ووردت نفس اللفظة في شأن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ فإبراهيم الخليل في تعظيمه لله لا بد له أن يتقرب بالنبي ﷺ كي يحصل على المقامات لأن الشفاعة هي الوساطة ليس فقط خروج من سجن الذنوب، الوساطة في الحصول على منصب وأمتياز دنيوي أو أخروي.

إذاً الأنبياء بما فيهم عيسى وموسى كي يعظمون ربهم حق تعظيم يجب أن لا يقولوا كما قال إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ أَسْجُدُ لِمَا خَلَقْتُ طِيناً﴾ لا يكونوا في سوء الأدب كإبليس تعاظمت لديه ذات نفسه وقال من هو آدم، أنا خير منه، وأنا أحاور ربي وأتكلم مع ربي من دون شفيع ومن دون حجاب هذا هو في الواقع متكبر على حضرة الربوبية. فحاشى إبراهيم الخليل وحاشى موسى الكليم، وحاشى عيسى المسيح أن يجحدوا في أنفسهم هذا التعظيم، وهذا الكبر الذي هو عند إبليس.

مثل الآن هذا الذي يحس نفسه حثالة من المجتمع، هل يفد على عظيم مباشرة، هذا هتكاً للحجاب، مثل الإنسان القذر هل يفد على إنسان نظيف.

وتعظيم الباري تعالى هو أن تتوسل بواسطة قريبة، تقرّ على نفسك بأنك بعيد - في صفاتك الحقيرة وحقارة صفاتك - عن صفات الباري العظيمة. فالتوسل واتخاذ الوساطة عين التعظيم لرب العزة وذلك لأن في التوسل أعتراف من العبد بحقارة نفسه ووضاعتها بلحاظ الساحة الألهية ومن ثم يرى نفسه بعيداً عن القرب الإلهي ومحتاجاً إلى طي مسافة



٨٨..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

البعد بوسيلة غير ذاته الوضيعة، ورفض الوساطة كما فعل إبليس هو عين التكبر لله، أو بعبارة أخرى استنقاص عظمة الباري. لأنه ينطوي على نظرة تعظيم الشخص لذات نفسه. وأنه لعظمة ذات نفسه قريب من الساحة الإلهية فلم يدرك بهذه النظرة الخاطئة مدى عظمة الله كي يستصغر لذلك ذات نفسه ويستحقرها ويعرف مدى بعده عن الذات الإلهية.

كما ورد لدينا في الدعاء (ادعوني بلسان لم تذنّب فيه) إذن الإنسان الذي لا يمتلك طهارة كاملة كيف يريد أن يرفض الوساطة الطاهرة التي هي أقرب إلى الباري. هذا إنما يدل على كفر الإنسان بقداسة الباري، وإلا لو أقرّ الإنسان على نفسه بأن الباري مقدس كيف أخذ على الباري بأوصاف نفسه المخلوقة الوضيعة . وإذا كان الباري نور و قدوس فكيف أفد عليه بهذا الوضع فأنا حينئذ في الواقع لم أعظم لم أتهيب لعظمة الباري ولم أتهياً لها بل تكبرت وعتيت وتكبرت في نفسي عتواً، أما إذا كانت نفسي خاضعة للرب فمن ثم أقرّ على نفسي بأنني لن أستطيع التكلم مع ربي بالوفود عليه بهذه الذات الدنيئة لذلك فأن منتهى العباد والزّهاد في أدعيتهم أن يتشفع بالوسائط وذلك لأن العابد الداعي إذا أقر على نفسه بمنتهى العبودية أي بضعة ذاته وحقارتها وزهد عن النظر في أنانية ذاته وفي فرعونية جبل النفس فحينئذ يرى أن ذاته لا أهلية لها في الوفود

على ساحة الباري بلباس ذاتها، بل لا بد أن تتلبس ذات العابد الداعي الزاهد بلباس وحجاب أحد المقربين الوجهاء في الساحة الإلهية.

وهذا ما نشاهده في تعليم السجاد لنا في دعاء عرفة عند قوله أنا أقل وكما في دعاء عرفة لزين العابدين أيضاً حيث تضمّن شرح أن التوبة والندم يأتي بعد توجهك إلى الله بالنبي وآله عين الآية الكريم: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك﴾ جاؤك يعني قبل أن تتكلم أنت مع الباري قبل أن تندم أنت مع الباري، قبل أن تخاطب الباري، أطرق الحجاب تأدباً.

## أهل البيت عليهم السلام شركاء النبي ﷺ في الميثاق تابعون له:

ثم إن أهل البيت عليهم السلام يشتركون مع النبي الأكرم ﷺ في دائرة الميثاق والدين الخفيف، الذي أخذ على الأنبياء الإيمان به ونصرته والدعوة إليه، وإن كان أهل البيت عليهم السلام تابعين للنبي الأكرم ﷺ وهم يتوجهون به إلى الله تعالى، وبشفاعته يكونون معه ﷺ في مقامه، وهو مقام الشفاعة الكبرى والوسيلة العظمى.

ويدلّ على اشتراك أهل البيت عليهم السلام مع النبي الأكرم ﷺ في دائرة الميثاق الذي أخذ على الأنبياء وجوه عديده، وإليك بعضها:

١- إن نصرة الأنبياء للرسول ﷺ لم تتحقق إلى يومنا هذا وإنما تتحقق بالنصرة لأهل بيته عند ظهور المهدي من آل محمد، وعند رجعة الأئمة عليهم السلام، كما نصّت على ذلك الروايات المتضافرة، حيث جاء فيها أن عيسى عليه السلام وإدريس وغيرهما من الأنبياء سوف يقاتلون بين يدي الإمام المهدي عليه السلام عند قيامه بدولة الحق والعدل، هذا من طرق الفريقين، وأما من طرقنا فقد دلّت الروايات المتضافرة أيضاً على أن جميع الأنبياء والمرسلين سوف يقاتلون مع الأئمة عليهم السلام عند رجوعهم وكرّتهم في دولتهم العالمية المباركة.

بل إن بعض الأنبياء كإلياس والخضر (عليهما السلام) على القول بنبوّة الخضر عليه السلام الآن هم وزراء في حكومة الإمام المهدي عليه السلام الحقيّة، وهي حكومة خليفة الله في أرضه، التي لا يمكن أن تفتقدها البشرية في لحظة من اللحظات، وإلا لساخت الأرض بأهلها.

## مشروع الإمام المهدي (عجل الله فرجه):

إذاً لابد أن يبارك النبي ﷺ وهو في عالم البرزخ وغيره، وكذا ولده المهدي لابد أن يوصل مشروعك بالمشروع العام الذي هو الآن يقوم به، وإلا إذا هو لم يُصل مشروعك سواء الفردي العبادي في روحك وتقربك إلى الله، إذا لم يصل الإنترنت الخاص بك بالإنترنت الإلهي لا يفتح لك، وكل ما تفتح الموقع تجده مسدود.

لابد أنه (عجل الله فرجه) يوصل لك الإنترنت حتى في عبادتك وطقوسك الروحية، وحتى عملك الاجتماعي، فإذا هو لم يصل برنامجك ومشروعك بالمشروع العام الجبار

٩٠..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

الذي يقوم به هو في كل سنة وفي كل يوم وفي كل ساعة فلا يرتفع ولا يتصل بالقرب الإلهي.

نقرأ في دعاء الندبة (بأبي وأمي من نازح ما نزع عنا) ما معنى نازح ما نزع، ما نزع يعنى موجود حاضر لكن خفي، يدير ويدبر الأمور، متصدي وليس فقط متفرج، هو قابض بأزمة النظام البشري، (بأبي أنت وأمي من مغيب لم يغيب عنا) كيف يكون مغيباً لم يغيب ؟ مغيب يعني مخفي، وليس معنى مغيب نازح، مغيب يعني مستتر عليه أمنياً في خفاء، في ستر هوية.

تقرؤون دعاء الندبة تأملوا مضامينه (بأبي وأمي من مغيب لم يغيب عنا) إذن حاضر لكن خفي، مغيب ليس معناه أزيل أو أقصى، وإنما بمعنى أخفي، الغيبة بمعنى الخفاء، ليس الغيبة بمعنى النزوح والإقصاء والنأي والابتعاد، فأى إمام الذي يتعد عن مجريات الأحداث.

حينئذ كل مشروع عندنا لابد أن يقترن بمشروعه (عجل الله فرجه) و هو عنده مشروع ضخم، مسؤولية ضخمة، يدير بها النظام البشري، إذا لم نوصل مشاريعنا بمشروعه — كما قلنا — لن تقبل.

ونشير فيما يلي إلى بعض تلك الروايات التي وردت في هذا المجال: منها: طوائف الروايات التي دلت على أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ينزل لنصرة المهدي عليه السلام، وإليك فيما يلي هذه الرواية، ننقلها بطولها لارتباطها بالبحث الذي نحن فيه، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: ((أتى يهودي النبي ﷺ، فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال: يا يهودي ما حاجتك ؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله، وأنزل عليه التوراة والعصا وقلق له البحر وأظله بالغمام ؟

فقال له النبي ﷺ إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه، ولكنني أقول: إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي فغفرها الله له، وإن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة وخاف الغرق، قال: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما نجيتني من الغرق، فنجّاه الله منه، وإن إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار قال:

اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما نَجَّيتني منها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وإن موسى (عليه السلام) لما ألقى عصاه أوجس في نفسه خيفة، قال اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني منها، فقال الله جلّ جلاله: ﴿لَا تُخَفُ إِنْكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾<sup>(١)</sup> يا يهودي: إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته نبوته. يا يهودي ومن ذريتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدّمه وصلّي خلفه<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث آخر: ((فيلتفت المهدي فينظر عيسى (عليه السلام) فيقول لعيسى: يا ابن البتول صلّ بالناس، فيقول: لك أقيمت الصلاة، فيتقدّم المهدي فيصلّي بالناس ويصلّي عيسى خلفه ويبايعه<sup>(٣)</sup>)).

ولا شك أن المبايعة لأجل نصرته (عليه السلام) لإقامة دولة الحق، بقرينة تتمّة الرواية حيث ورد فيها أن المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) بعد المبايعة يكون من وزراء المهدي (عليه السلام) ويخرج لقتال الدجال.

## وزراء الإمام المهدي (عجل الله فرجه):

دولته عندما تنكشف (عجل الله فرجه) الأنبياء يكونوا وزراء فيها، هذا معناه (لتنصرته) وزراء في دولة نموذجية إلهية للبشر، الأنبياء كلهم وزراء فيها، النبي عيسى والخضر وإلياس وإدريس وزراء في الدولة التي ستكشف للمهدي (عجل الله فرجه)، الخضر هو نبي من الأنبياء، إلياس هو الآن حي حاضر موجود، حتى في روايات الفريقين، الآن هو وزير فاعل لدور دولة المهدي، دولة المهدي غير ظاهرة خفية.

(١) طه: ٦٨.

(٢) الآمال للشيخ الصدوق: ٢٢٨، روضة الواعظين للنيسابوري: ٢٧٢.

(٣) عقد الدرر للشافعي: ٢٧٥.

٩٢..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

إذاً ليس عبط لما يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ أعطىكم النبوة بشرط أنكم أتباع لهؤلاء، تدخلون في دولتهم، تنقادون في دولتهم، تنقادون لدستورهم، لقانونهم، وليس لكم برنامج مستقل، بل يصير برنامجكم تابع لبرنامجهم.

وردت رواية عن علي عليه أنه عندما يرجع في - إن شاء الله - تطور البشرية في دولة علي بن أبي طالب عليه كل الأنبياء سوف يرجعون وزراء في دولته فإذا كان المهدي عنده أربعة أنبياء وزراء، فجده علي ابن أبي طالب في دولة الرجعة يكون كل الأنبياء مما دون خاتم النبيين وزراء له.

المهدي الآن عنده أربعة وزراء ؛ اثنين على الكرة الأرضية إلياس والخضر، واثنين سينزلان من السماء عيسى وإدريس.

قد يقال هذا غلو وخرافات. لا.. هذا برنامج ناظم دولي إلهي للبشرية وبنص الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ لما أتيتكم من نبوة، لما أتيتكم من كتاب وحكمة، يعني النبوة والمقامات الغيبية، هذه أعطىكم إياها ولكن بشرط أن تؤمنوا. هذا لا يكفي، الإيمان بولاية أهل البيت لا يكفي لقبول التوبة ولا لقبول الأعمال، سواء عمل اجتماعي برنامج اجتماعي شرق وغرب وسواء عندك مبرات خيرية، أو عمل عبادي، أو فردي إذا لم يكن متشعباً ذاتياً في خط أهل البيت، في تيار أهل البيت، في أجواء أهل البيت، في تعاليم أهل البيت، في أفكار أهل البيت، في عقائد أهل البيت، الموروثة والموجودة. اعرف أن هذا عملك يزيد فتنة البشر والعدوان على البشر لا يزيد صلاح البشر. كلما تباعد عن منهاج أهل البيت عملك هذا لا يصب في الصلاح، يصب في الفساد في الأرض، إذا قل و ضعف انتماءك إلى أهل البيت من حيث لا تشعر أنت تزيد في الفساد في الأرض، تلمس أولاً تلمس سواء. مشروعك العبادي حملات حج أو غيرها، مشروعك الاجتماعي الأسري، أو مشروعك السياسي، أي مشروع تقوم به أخلاقي... الخ إذا لم يكن متشعباً ببرنامج أهل البيت فانت تزيد في الفساد من حيث تشعر

أولا تشعر ببحث وإن لم تحص بذلك إحصائيات، لا تعرف ولكن يوم القيامة تحاسب وتدين.

## الانتماء للنبي وأهل بيته بأنواعه:

إذا نظر للآية الكريمة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ جاءوك أولاً يعني توسلوا بك، فالتوسل ليس فقط بدعاء التوسل، تتوسل يعني ترتبط تنتمي: أولاً: تنتمي كمواطن أولاً، مواطنتك الأولى لأهل البيت. ثانياً: تنتمي انتماء وظيفي أولاً، انتماءك الوظيفي لأهل البيت. ثالثاً: تنتمي انتماء أسري عشائري أولاً، انتماءك لأهل البيت. رابعاً: تنتمي انتماء حزبي تنظيمي أولاً، انتماءك إلى نظام الأتباع والموالين لأهل البيت.

لا تفكر قضية (جاؤك) فقط المجيء فيزيائي بالبدن. لا.. جاؤك يعني أن تترامى في مشروع أهل البيت بكله هذا معنى جاؤك.

فأنت في الواقع تحقق الأوبة إلى الله، ومباركة الله على مشروعك.

ومنها الروايات التي دلّت على أن نصرة الأنبياء للرسول الأكرم ﷺ إنما تحصل بالنصرة لوصيّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والقتال بين يديه عند الكرّة والرجعة في دولة الحقّ، وذلك نظير ما أخرجه سعد بن عبدالله القمي عن فيض بن أبي شيبة، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول، وتلا هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾: ((لتؤمننّ برسول الله ﷺ ولتنصرنّ علياً أمير المؤمنين عليه السلام، قال: نعم والله من لدن آدم وهلمّ جراً، فلم يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلا ردّ جميعهم إلى الدنيا حتّى يقاتلوا بين يدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام)).<sup>(١)</sup>

ومن الواضح أن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام نصرة لرسول الله ﷺ وللدّين الذي جاء به.

(١) مختصر بصائر الدرجات، للحسن بن سليمان الحلبي: ٢٥.

٩٤ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

وحاصل هذه النقطة: هو اشتراك أهل البيت عليه مع النبي ﷺ في الميثاق الذي أخذ على الأنبياء، إذ أن إيفاءهم بالعهد إنما يكون بنصرتهم لأهل بيت النبي ﷺ.

٢- مرّ بنا أن الدين عند الله الإسلام وهو واحد لا تعدّد فيه، وأن جميع المخلوقات بما فيهم سائر الأنبياء عجزوا عن تحمّل الدين والسبق في فتح سبله وبلوغ مقاماته الرفيعة، سوى الذات النبويّة المباركة التي لها الأهلية والاستعداد لتلقّي ذلك عن الله ﷻ، فكان خاتم الأنبياء ﷺ الأسبقية في الإسلام والتسليم لله تعالى؛ ولذا كان الدين دين محمد ﷺ، إذن دين الإسلام الواحد عبارة عن تلك المقامات السامية والنور الأعظم الذي لم يتحمّله مخلوق عن الله تعالى سوى خاتم الرسل ﷺ، فأسكن الله ﷻ ذلك النور في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وكان بدن النبي الأكرم ونفسه وروحه مسكناً لذلك النور، لأنه أوّل من قال بلى عندما قال الله تعالى للبشر: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.

ومن هنا يتّضح أن الميثاق والعهد الذي أخذه الله على أنبيائه هو الإيمان بعد ذات الله رب العالمين بذات الرسول أنه عبده الأول ورسوله ﷺ، والإيمان بمقامه ﷺ هو الدين الذي بعث به جميع الأنبياء، وهو بدرجاته العالية غيب الله وسره المكنون الذي أمر الأنبياء بالإيمان به والتسليم له، وكان نيل مقامات النبوة على قدر درجة التسليم لذلك الدين، وقد مدح الله تعالى أنبياءه لكونهم مسلمين، قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقد أمر الله تعالى أنبياءه باتخاذ الإسلام ديناً، كما في قوله لإبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إذن الدين الواحد هو الميثاق الذي أخذ على جميع الأنبياء التسليم له والإيمان به ونصرته، وهو دين النبي الأكرم ﷺ المتمثّل برسالاته ووساطته بين الله وخلقته، فهو دين الله الناطق.

(١) آل عمران: ٦٧.

(٢) البقرة: ١٣١.

وإذا كان الأمر كذلك فكل ما هو داخل في دائرة الدين يكون من الميثاق الذي أخذ على الأنبياء الأيمان به ونصرته والتسليم له، ومن الدين ولاية أهل البيت عليهم السلام بنص القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup> حيث نصت روايات الفريقين على أن هذا المقطع من الآية المباركة نزل عند تنصيب الله ﷻ أمير المؤمنين عليه السلام لمقام الخلافة والإمامة بعد رسول الله ﷺ وذلك في واقعة الغدير<sup>(٢)</sup>.

إذن الولاية والخلافة بعد رسول الله ﷺ من الدين الذي بعث جميع الأنبياء، وقد أكمل بتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام بعد حجة الوداع مضافاً إلى أن جملة من الآيات والأدلة القائمة على إمامة أهل البيت عليهم السلام دالة على أن إمامتهم وولايتهم من أصول الدين تتلوا أصل النبوة، سيما وأن الأنبياء مخاطبون بآيات الولاية والقربى والمودة عند رجوعهم للنصرة، فهم مأمورون بطاعة أولي الأمر والمودة للقربى والتوجه بهم إلى الله تعالى.

**والحاصل:** إنه لم يبعث نبي من الأنبياء إلا بعد أن آمن وسلّم بالدين الذي هو ولاية الله وولاية النبي ﷺ وأهل بيته، فالولاية دين الله الذي بتسليمه استحق الأنبياء مقام النبوة كلّ بحسب ما بلغه من درجة التسليم، فإن للولاية والتسليم درجات وبحسب درجة التسليم لكلّ نبي يعطى ذلك النبي مقام الخطوة عند الله تعالى ويستحقّ مقام النبوة، وإذا ازدادت درجة التسليم كان ذلك النبي من أولي العزم، فتفضيل الأنبياء الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(٣)</sup>، كذلك تفضيل الرسل، كما في قوله

(١) المائدة: ٣.

(٢) لاحظ كتاب الغدير للأميني وشرح أحقاق الحق، حيث تبعا الروايات في هذا المجال. وقد ذكر في كتاب الإمامة الإلهية الجزء الثاني أربع قراءات بديعة جديدة لآية أكمال الدين وحديث الغدير تدلل على أن الآية نازلة في الولاية بينات مفعمة في منطوق الفاظ الآية.

(٣) الإسراء: ٥٥.



تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(١)</sup>، كل ذلك التفضيل بحسب درجة التسليم والتولي لدين الله ﷻ، وذلك بالولاية للنبي الأكرم ﷺ وأهل بيته، فالتسليم للنبي وأهل بيته والإيمان بولايتهم نوع توجه قلبي إلى الله ﷻ بهم، وهو شرط لنيل المقامات العظيمة عند الله تعالى كالنبوة والرسالة، فضلاً عن غيرها من العبادات وقبول التوبة واستدرار الأرزاق الإلهية.

٣- لقد بين الله ﷻ حقيقة الميثاق الذي أخذه على الأنبياء وكيفية إقرارهم وإيمانهم به وثباتهم عليه، كما في قصة آدم ﷺ، حيث جاء فيها أن الأمانة والميثاق الذي أقر به آدم وتحمله لنيل منصب الخلافة الإلهية عبارة عن الأسماء الحية العاقلة الشاعرة، التي علمها الله ﷻ آدم وليست هي من السماوات والأرض، بل هي ملكوتها وباطنها ومحيطها بها ومهيمنة عليها، والأسماء هم الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ، كما تقدم في الأبحاث السابقة كما نصت عليه روايات الفريقين، وعليه فيكون الميثاق الذي تحمله آدم وآمن به ونال بواسطته مقام الخلافة هو الولاية للنبي الأكرم ﷺ وأهل البيت ﷺ.

كذلك الحال في الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم ﷺ، فلما أتمهن نال مقام الإمامة، فهذه الكلمات هي ميثاق إبراهيم ﷺ لما أتمها وآمن بها وأسلم بواسطتها لله رب العالمين استحق مقام الإمامة الإلهية، وسبق أيضاً أن تلك الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم وكان إتمامها سبباً لنيل المقامات العالية هم محمد ﷺ وآله الطاهرين ﷺ.

إذن الميثاق عبارة عن أمتحان وابتلاء لنيل المقامات الرفيعة كالنبوة والإمامة، والميثاق هو ولاية أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

نعم النبي الأكرم ﷺ أعلى مقاماً من أهل بيته ﷺ وهم يتوجهون بالنبي ﷺ إلى الله ﷻ وبشفاعته ينالون درجة مقامه عند الله.

٤- إن ولاية أمير المؤمنين ﷺ وأهل البيت ﷺ ذكرت تلو ولاية النبي الأكرم ﷺ في جملة من آيات الطاعة والولاية، التي تقدم ذكرها، مما يدل على أن ولاية المعصومين

ﷺ من الدين الذي بعث به الأنبياء، إذ الدين دائرته موحدة بين الأنبياء والذي هو عبارة عن أصول العقائد وأصول الواجبات والمحرمات، التي هي أركان الفروع كأصل وجوب الصلاة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه كلها من دائرة الدين لا الشريعة المختلفة من نبي إلى آخر، وولاية أمير المؤمنين ﷺ من الدين الذي بعث به جميع الأنبياء والرسل.

كذلك من الآيات التي قرنت الرسول الأكرم بأهل بيته ﷺ كآيات الفياء والخمس، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾<sup>(١)</sup> فإن الآية المباركة تبين أن أولياء الخمس الذين لهم الولاية على اقتصاد الدولة الإسلامية هم الله تعالى ورسوله وذوي القربى، بقرينة الاشتراك بـ (اللام) الدالة على ملكية التصرف في أموال الدولة الإسلامية، وأما اليتامى والمساكين وابن السبيل فهم موارد مصرف الخمس ؛ ولذا تغير التعبير فيهم بحذف اللام.

كذلك بنفس البيان ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فلإقامة العدالة المالية والاقتصادية على الأرض لا بد أن تدار الأموال العامة التي ترجع إلى بلاد الإسلام بولاية الله ورسوله وذوي القربى، وهم قريى الرسول الأكرم الذين جعلت مودتهم أجراً وعدلاً لما جاء به النبي الأكرم من الدين الحنيف، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الأنفال: ٤١

(٢) الحشر: ٧.

(٣) الشورى: ٢٣.

وهذا يكشف عن أهمية تولي ذوي القربى وأن ولايتهم مفتاح لسائر أبواب الدين ومن دون التوسل بها يخطأ الشخص ويضلّ طريق التوحيد، فيقع في مثل الجبر أو التفويض أو غير ذلك، فلا بدّ من الولوج إلى الدين عن الطريق والباب الذي نصبه الله ﷻ لخلقه، ولا يمكن الوقوف على حقيقة الدين إلا بالإمامة.

فمودّة ذوي القربى أمر عظيم إذا سلم سلمت بقيّة أصول الدين، ولا يوجد قربي للنبي الأكرم ﷺ بهذا الشأن الخطير سوى المعصومين من أهل بيته، فولايتهم عاصمة عن الضلال وهي ركن ركين في الدين الذي بعث به الأنبياء كافة.

ولا شك أن الدين عام - كما ستأتي الإشارة إلى ذلك - لا يستثنى منه أحد في جميع النشآت بنحو الأبد وعدم الانقطاع، ومن ثمّ يكون وجوب الطاعة والولاية مكلف به جميع المخلوقات بنحو من التأيد والخلود، فخلافة وولاية أولي الأمر ووجوب طاعتهم لا تختصّ بالجنّ أو الإنس ولا بالأمور السياسية الدنيوية وليس لأمرها حدّ ولا انقطاع.

وهناك أيضاً آيات أخرى ستأتي لاحقاً قرنت بين النبي ﷺ وأهل بيته، مما يكشف عن أن مقامات الأنبياء ونيل الحضوة الإلهية لا يتم إلا بالتوسل والتوجّه بهم إلى الله تعالى، وأن توليهم واسطة للفيض الإلهي، ولولاهم لما بعث الأنبياء والمرسلون، فهم الوسيلة إلى الله تعالى في عظام الأمور، فكيف بالقضايا الأخرى التي هي أقلّ شأناً مما يرتبط بالأمور الحياتية والمعيشية للناس؟

وهذا كلّ يصلح بياناً بذاته لتبعية الأنبياء جميعاً لخاتم الأنبياء وأهل بيته عليه السلام مع سبقهم الزمني عليهم<sup>(١)</sup>.

**البرهان الثالث:** قوله تعالى: ﴿لِإِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الإمامة الإلهية ج ٤: ١٩٧، بتصرف.

(٢) الأعراف: ٤٠.

إن التكذيب في هذه الآية المباركة ليس في الله ﷻ بل التكذيب بآيات الله تعالى، فإن التكذيب لا يطلق على الآيات الخلقية كالسماوات أو الأرض وغيرهما وإن كانت تطلق الآيات على الخلق العظيم كالسماوات والأرض: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

والآية هنا تعني التدبر فيها لعظمة الخالق، فالتكذيب إذن للآية البشرية وليس لكل البشر بل الحجة من البشر الذي جعله الله بينه وبين عباده، وهذا ما دل عليه القرآن الكريم لعدة آيات ذكرها الباري تعالى، فقد ذكرت ثلاث آيات تدل على أن الآية هو عيسى عليه السلام: ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾<sup>(٤)</sup>.

فإذا كان النبي عيسى عليه السلام وأمه آية من آيات الله تعالى فمن باب أولى أن يكون خاتم الأنبياء ﷺ وأهل بيته عليه السلام آية من آيات الله وكيف لا وعيسى عليه السلام يكون وزيراً للإمام المهدي (عجل الله فرجه)، فإن النبي محمد ﷺ وأهل بيته من أعظم الآيات الإلهية وكما قرن الله تعالى عيسى عليه السلام مع أمه، فقد قرن الله تعالى محمد ﷺ وأهل بيته عليه السلام في كثير من الآيات كآية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) يونس: ٦.

(٢) مريم: ٢١.

(٣) الأنبياء: ٩١.

(٤) المؤمنون: ٥٠.

(٥) الأحزاب: ٣٣.

١٠٠ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

وآية المباهلة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.  
وآية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إذن المراد من الآيات في هذه الآية الذين يتعلق بهم التصديق أو التكذيب وهم الحجج الإلهية، مضافاً إلى أن أسناد التكذيب للآية في مقابل التصديق بها يدل على أن المراد من الآية هم الحجج المصطفون، لأنهم هم الذين يصدق بهم ويتعلق الإيمان بحجتهم ومقاماتهم في مقابل تكذيبهم، بخلاف الآيات التكوينية فإنها لا تتعلق بها التصديق والتكذيب بذاتها، بل الإعراض أو النظر إليها وإلى دلالتها.

فالذين كذبوا وأستكبروا عن آيات الله أي الذين صدوا، فالمحذور ليس في التكذيب بل حتى في الصد، وهذا نفس التعبير الذي أستعمل في آية السجود لآدم: ﴿فَأَبَىٰ وَأَسْتَكْبَرَ﴾. فهؤلاء لم تفتح لهم أبواب السماء: ﴿لَا تَفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾، وهذا يدل على أن السماء لها مفاتيح لأنه لم تفتح لهم أي أنها مخلقة، فلا تصعد إليه الأعمال بل حتى العقيدة: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾<sup>(٣)</sup>، فإذا كانت العقيدة لا تقبل ولا ترفع في مقابل التكذيب والصد لآيات الله فكيف تقبل الأعمال التي ترفض ليس في الدنيا فقط بل حتى في الآخرة لا يدخلون الجنة كما صرحت بهذا الآية المباركة.

فشرائط قبول الأعمال ليس التولي فقط بل لا بد من التوسل أيضاً، لأنه من شرائط صحة قبول التوبة وقبول الأعمال كي ترفع إلى السماء وتفتح لهم الأبواب: ﴿وَالَّذِينَ

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) فاطر: ١٠.

يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿١﴾ وهم الإئمة الذي أمر الله به أن يوصل، فلا جفاء وقطع بل بالوصول إليهم وزياراتهم، والتوصل بهم. فعن ابن أبي عمير عن ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما بعث الله نبياً من لدن آدم فهلهم جرأ إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين، وهو قوله: ﴿تُؤْمِنُ بِهِ﴾ يعني برسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَلَتَنْصُرُنَّ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال لهم في: ﴿أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي عهدي: ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ قال الله للملائكة: ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال لنا علي بن الحسين عليه السلام: أي البقاع أفضل ؟ فقلنا: الله ورسوله وأبن رسوله أعلم، فقال لنا: أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقي (لقي) الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً <sup>(٣)</sup>.

## خلاصة الكلام:

أن الآية أشارت إلى كل من محذور التكذيب ومحذور الأستكبار والصد عنها وإن كلاً منها موبقة برأسه والمقصود من الآيات التي يكذب بها في قبال التصديق بها هم الحجج الناطقين عن السماء من الأنبياء والأوصياء كما ورد إطلاق الآية على النبي عيسى ابن مريم: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ <sup>(٤)</sup> كما أن التعبير في الآية: ﴿اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ هو تضمين للاستكبار والصد عنها وهذا التعبير بعينه قد استعمله القرآن الكريم في قصة

(١) الرعد: ٢١.

(٢) نور الثقلين ج: ١: ٣٥٩.

(٣) وسائل الشيعة ج: ١: ١٢٢.

(٤) المؤمنون: ٥٠.

إبليس مع آدم كما ورد: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ كما سيأتي التعبير من موقف المنافقين مع سيد الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فهذه الآية تُنذر بالتهديد كلاً من التهديد الذي يقابل التصديق وتُنذر بالاستكبار الذي يقابل الخضوع والتوجه.

إن كلاً من هذين الفعلين يسد أبواب السماء عن صعود إيمان العبد وعمله إلى الله وأن المفتاح لأبواب السماء ولوفود عقيدة العبد وعمله إلى الله (الحضرة الإلهية) هو ليس صرف الإيمان بالحجج الإلهية بل لا بد من الخضوع إليها والتوجه بها والأقبال عليها وبالتالي التوسل بها إلى الله.

إذ قد بينت الآيات إن كلاً من العقيدة والعمل الصالح لا بد من ارتفاعه إلى الله في مقام القبول كما في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾<sup>(٢)</sup>.  
فهذه الآية مبينة بكون الصد عن حجج الله وعدم التوجه إليهم وعدم اللواذ بهم إلى الله يحبط ويخل بالإيمان فضلاً عن العبادات والأعمال.

وعلماء الإمامية (رضوان الله تعالى عليهم) وإن كانوا قد نبهوا على شرطية ولاية أهل البيت عليه في الإيمان والعبادات والأعمال إلا أن المنسب من هذا التعبير هو خصوص الإيمان بأهل البيت عليه ولكن الصحيح عدم الأقتصار على شرطية الإيمان بل لا بد أن ينظم إليه شرطية ولايتهم بدرجة التوسل بهم والتوجه بهم إلى الله ﷻ فلو فرض الأقتصار على صرف الإيمان بهم من دون توليهم في أنحاء الولاء الأخرى ومن دون الارتباط بهم والتوسل بهم والأتباع والانتهاج بهم لما تحقق الشرط من ولايتهم الذي هو ركن الإيمان وصحة الأعمال والعبادات هذا فضلاً عن الأقتصار عن المعرفة.

ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى في صفة المنافقين في الآية السابقة بأن سلب الإيمان عن المنافقين بصددهم عن التوجه برسول الله ﷺ في مقام التوبة. فهذه الآية مبينة لركنية التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به إلى الله في تحقق الإيمان مضافاً إلى بيانها لشرطية حصول التوسل بالنبي ﷺ والاستشفاع به في حصول التوبة والإنابة إلى الله.

ومنه يتضح دلالة الآيات الواردة في أبلّيس فإنها دالة على كون إباء وجحود أبلّيس عن التوجه بآدم إلى الله أوجب حط إيمان أبلّيس بالله واليوم الآخر عن القبول. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾<sup>(١)</sup>.

حيث اشترطت الآية ثلاثة شروط وبنحو الترتيب الشرطي وجُعِلَتْ:

**الشرط الأول:** منها التوجه واللواذ بحضرة النبي ﷺ.

**الشرط الثاني:** وقوعاً وترتيباً هو أستغفار المذنب.

**والشرط الثالث:** وقوعاً وترتيباً أمضاء النبي ﷺ وشفاعته في توبة مذنب الأمة عند الله.

**الشرط الرابع:** نفس هذا الترتيب هو شرط مثل أفعال الصلاة أن أتى بالركوع قبل القراءة فإنه يبطل الصلاة.

نريد أن نقرأها الآن بعمق. إن الآية الكريمة ليست مخصوصة بزمن النبي ﷺ لماذا ؟ لأنها أولاً تشترط شرائط ثلاثة - هذه الأجزاء الثلاثة التي نحن بصددها - لتحقيق: ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ لوجدوا الله يعود علينا بالمغفرة بحل مشكلتنا الراهنة لحل ما يعصف لنا بقبول عبادتنا. إذن لا يمكن أن تكون الآية خاصة بزمان النبي ﷺ ، والحال هي تشترط شرائط ثلاثة، بعبارة أخرى الآيات القرآنية خالدة ودائمة وسيما في الآيات التي تشرح بالتوبة أكبر علاقة ورمز بين العبد وربّه رابطة التوبة والإنابة. لأن



التوبة مأخوذة من الأوبة، آب يؤب والأوبة هي الرجوع إلى الله (إنا لله وإنا إليه راجعون) أي الاقتراب والزلقى إلى الله. لذلك التوبة عمل عبادي ضخم. يطلق على صلاة النوافل لصلاة الظهر صلاة الأوابين، لأن فيها أوبة. المقصود بالتوبة ليس عمل منحاز ومنفصل عن بقية العبادات والصلاة والحج. الحج نوع من التوبة لأنها نوع من الأوبة إلى الله ﷻ فإذا نحن في ضمن أعمال الحج في ضمن أعمال التوبة.

الآية الكريمة تشترط ثلاثة أمور: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ الذي نقوم به نحن إنا استغفرنا الله ؛ طفنا حول البيت إنابة إلى الله، يصب في نفس مضمار استغفارنا الله، أما الآية فتقول لابد من شرطين آخرين يجب أن تقوموا بهما، وهما: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ قبل أن نحج، قبل أن ندعوا بدعاء التوبة، قبل أن ندعوا بالأدعية الأخرى، الآية تقول يجب أن تهيئوا أنفسكم لشرط مقدم (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك).

### الشرط الأول:

المجيء إلى رسول الله ﷺ الوفود على الحضرة النبوية، وحيث تبين لنا أن الآية غير مخصوصة بزمان النبي، لماذا ؟ لأن الآية تتعرض لأمر خالد أبدي وأعظم أمر يختص بالعبد في العلاقة بينه وبين ربه. فلذا الآية سنة إلهية أبدية تشترط في التوبة

المجيء إلى النبي وبصراحة أقول لكم هذا الشرط فقهاءنا الإمامية أغفلوه في كتبهم الفقهية وفي كتبهم الكلامية قالوا أن من شرائط التوبة: الإيمان بولاية النبي وأهل بيته ولكن هم أغفلوا هذا الشرط، لأن الآية تقول أن من شرائط التوبة بالإضافة إلى الإيمان بالنبي وأهل بيته التوسل بالنبي، جاءوك يعني علاوة على أنهم يؤمنون بك لابد من أن يلجؤا إلى محضرك.

هم يقولون اللواذ أو العياذ والاستعاذة واللجوء والالتجاء إلى النبي شرك. بينما الآية الكريمة تقول شرط التوبة والأوبة أي العبادة شرطها الإلتجاء بالنبي التوسل بالنبي ليس فقط الإيمان به وبأهل بيته بل لابد من التوسل والتوجه بالنبي.

ففي دعاء التوجه: (بالله أستنجح وبالله استفتح وبمحمد الرسول وآله أتوجه) يعني الطاقة التي يمكن أن تتوجه بها الطائرة الوسيطة التي تعرج بها أنت أيها المصلي في الصلاة إلى الله هي التوجه بالنبي، ليس فقط الإيمان بالنبي وبأهل بيته.

فقهاؤنا الإمامية ذكروا هذا المطلب أن ولاية أهل البيت شرط في صحة العبادات، وشرط في قبول العبادات. هذه الآية الكريمة تفيد زيادة على ذلك لا الأقتصار فقط على الإيمان والتولي بولايتهم يكفي في صحة العبادة وقبول العبادة بل لا بد من التوجه بهم كعمل القلب القصد التوسل بهم: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ لم تقل الآية لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ندموا ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم استغفروا وبكوا، ولم تقل ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم آمنوا بك وبنبتك وبولايتك وبولاية عترتك، لا.. لا تكتفي بذلك، الآية الكريمة تقول: أول شيء يفعلوه الالتجاء العملي.

### الإيمان بالمهدي عليه السلام

إن حس معايشة الاضطراب للمهدي هذا تمام الإيمان، إذا لم نعيش بأنفسنا أننا مضطرين لقيادة المهدي (عجل الله فرجه) للبشرية لا يتحقق تمام الإيمان، لا أنه نعيشه كنظرية وكفكرة، بل نلمسه وجداناً. كيف نتعطش نحن إلى حاجاتنا؟ إذا احتجت إلى بيت، أو إلى سيارة، أو إلى وظيفة، أو إلى مال، أو إلى سمعة، أو إلى شهرة، كل واحد وحسب رغبته، تحس أنك ملجأ إلى هذه الحاجة إذا أحسنا وعاشنا هذا الهم وبالتالي تشبعنا بالإيمان بهذه الفكرة أننا ملجئين وملتجئين إلى وجوده، إلى رعايته، إلى إدارته، إلى تخطيطه، إلى قيادته، إلى دوره الفاعل حينئذ سوف يكون التجاء ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ التجأ إليك.

الآن من هو الذي يجسد النبي ﷺ من الذي يحل محل هذا الركن في النبي ﷺ؟ هو المهدي (عجل الله فرجه).

١٠٦ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

إنه يوجد هناك تفاعل روحي إن لم يكن اقتراب جسدي وبدني بين الإنسان وبين أرحامه وأوليائه وذويه ومن له تعلق حبي بهم. فنحن لا نتخيل إذا شاطرنا وشاركنا المهدي (عجل الله فرجه) أو سيد الشهداء الآن في مصيبة أو الزهراء أو النبي أو أهل البيت في مصابهم بسيد الشهداء أو مصابهم بظلامه ابنهم المهدي (عجل الله فرجه) نحن لن نشاركهم في التحسس الروحي، لنثق أن هناك نوع من التجاذب الروحي هم يعلمون به طبعاً: (أشهد أنك تسمع كلامي وترى مقامي وترد سلامي) ؛ يوجد تجاذب يوجد اتصال يوجد ارتباط روحي، وكونها لا تُرى بالبصر هذا بحث آخر، لكن لا أنه ليس هناك نوع من الانجذاب، والتفاعل الروحي، والمغنطة الروحية. لذا أنت إذا شاطرت المهدي في بليته خفت مما على قلبه المقدس الشريف، لا تفكر أن هذه ليست إعانة، هذه إعانة، هذه تسلية، لنثق بتمام الحقيقة أنها تسلية، كأنما ذهبت إليه وسليته، وخفت من همومه، ألا تحب أن تكون هكذا؟ طبعاً كل واحد منا يحب أن يكون هكذا. كما أن الرزايا والمصائب الراجعة على أهل البيت عندما نشاطرهم بها، لنطمئن بأن ذلك بمثابة ذهابنا مجلسهم ومحضرهم وشاطرتهم وسلوتهم عن المصيبة التي أصابتهم، يعني خفت شيء من العبء الذي تتحمله أرواحهم.

وأي شرف أكبر من هذا الشرف ؟.

أحد علمائنا يدعى الميرزا القمي (رحمه الله) هو من تلاميذ صاحب الحقائق الشيخ يوسف، ومن تلاميذ الوحيد البهبهاني. معاصر للشيخ جعفر كاشف الغطاء والعلامة بحر العلوم الذين كانوا من تلاميذ الوحيد البهبهاني.

يشاهد في الرؤية أنه دخل صحن سيد الشهداء للزيارة، فيتصافح مع حبيب بن مظاهر الأسدي بحفاوة وبكاء وفرح لرؤيته ولقاء حبيب بن مظاهر، ويقول: ما أناكم ناصرتم الحسين وبلغتم ما بلغتم من مراتب. قال: ما أناكم أنتم الآن ونحن في حسرة نغبطكم مما أنتم فيه. قال له: كيف ؟ على ماذا فعلنا. قال له: هذه مجالس العزاء والمشاطرة لأهل البيت سلوى لهم.

سلوى ؛ كأنما أنت تذهب وتسلي عن النبي ﷺ ، ما قدر هذا المقام الشريف العظيم؟ إنك تذهب إلى مجلس عزاء تعزي وتسلي فيه النبي ﷺ ، هذا شرف عظيم. تظن أنك لم تذهب بيدنك ؟ بل ذهبت بروحك، إذن هي النية. النية هي كائن موجود أثري ترتبط به أنت. لذلك أحياناً يمر عليك في يومك شعور بحزن من غير سبب في نفسك أو تشعر بفرح وانبساط روحي لا ترى سبباً واضحاً له. ثم تسمع أن أحد أرحامك انتابته مصيبة أو فرح.

هذه مسألة ثابتة عند علماء الروح الغربيين ؛ قضية الشاطر الروحي الأثري. إذا كان بين أرواح الأقرباء هكذا- يوجد لدينا روايات مفادها أن صديق مؤمن لصديق يتتابه جزع أو مصاب الله يخفف ﷻ عنه، بأن يكيل كيلة ويضعها على الطرف الآخر، يرى نفسه مهموم يا ربي ما الذي صنعتته حتى حل أو وقع هذا الهم على قلبي ؟.

نعم أنت ما دمت واليته وواددته، الله يجعلك شريكه في المناصرة والمؤازرة، فكيف بإنسان شدة حبه وشدة ولائه وشدة ارتباطه بأناس هم فوق البقية في علائق الإنسان وارتباطاته.

لا ريب أن هذه الأرواح جنود مجنده. الآن نحن مجندون في صف علي بن أبي طالب - الحمد لله - الآن ككتلة روحية واحدة، معسكر علي (عليه السلام) في الحياة في الأرض الآن، معسكر علي (عليه السلام) في البرزخ وفي عوالم أخرى. نحن متآزرون - والحمد لله - بهذه الروحية.

لذلك أنت إذا تنظر ما صار على شيعة العراق، وشيعة باكستان، والشيعة في كل مكان، وعلى عموم المسلمين المستضعفين، من غير ناصبين العداوة لأهل البيت تحس أنه يؤرقك. بل كل إنسان مستضعف ليس عدواني، وإنما فطري وجداني، تحس أنك تربطك به مؤازرة فطرية. لماذا ؟ لأن كل هذه الأرواح ترجع إلى نوع من التلاحم. الآن كيف هذه في عالم الأرواح، الاتصالات هناك كيف هي ؟ قنوات الاتصال هناك كيف هي ؟ وسائل

١٠٨ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

الاتصال كيف هي ؟ البرنامج كيف هو ؟ هذا بحث آخر لا نعلمه لا لأنه غير موجود، بل آثاره موجودة (١).

فإذن الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، ظلم اجتماعي، ظلم مالي، ظلم اقتصادي، ظلم أخلاقي، أي ظلم. لا نتصور الظلم يعني الذنوب التي هي ما بين الإنسان وربه كظواهر اجتماعية آية حالة تخلف عندنا في النظام المعاشي والنظام الاجتماعي هذا ظلم لأن فيه تعدي على الحقوق ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ يعني التجئوا إليك، من الذي نلتجئ إليه الآن ؟ نلتجئ إلى النبي ﷺ لكل العترة من أهل البيت لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

فشرط الآية تقول قبل أن تندموا، قبل أن تقرأوا دعاء التوبة قبل أن تقرأوا دعاء التوسل، قبل أن تأتوا إلى الحج الحرم والميقات لييك اللهم لييك - لأن كل هذه عبادة أليس كذلك - وفيها توبة وأوبة إلى الله، قبل ذلك.

أول شي تحققونه إلى أنفسكم هو الالتجاء إلى النبي ﷺ وأهل البيت عليه السلام يخاطبنا الأمام الباقر عليه السلام حول القيام بالحج أنه: (فعال كفعال الجاهلية) هذه الأعمال تكون وثنية كحج المشركين قبل الإسلام أنت الذي تقوم به وثن من حيث لا تشعر. نعظم أحجاراً حتى الذي في الهند يعظمون أحجار. يدعون الله عندها، ونحن أيضاً كذلك نعظم أحجاراً وندعو الله عندها وإن كان يوجد فرق وهو إن الله أمر هنا وهناك لم يأمر. ولكن هنا أمر الله لا يقتصر على (فاستغفروا الله)، قبل (فاستغفروا الله) ماذا أمر الله ﷻ ؟ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ ليس فقط التوجه إلى الكعبة والبيت الحرام والمشاعر والتوجه إلى الله لا يصح بدون التوجه بالنبي ﷺ وأهل بيته، بل كل عبادة تتعبد بها بأنك إذا لم تتوجه في تلك العبادة، صيامك صلاتك، حجك إذا لم تتوجه فيها بدءاً بالنبي تابعتهم وجاريتهم بالكوثر في معسكرهم ومواقفهم في الترامي في أحضانهم في بيئتهم في أفكارهم

(١) وهناك مزيد من التفصيل في كتاب (عوالم الإنسان ومنازله) الذي هو في طريقه إلى الطباعة إنشاء الله تعالى

في عقائدهم، أنت تشيع بهم وترمي نفسك في أحظانهم وبيئتهم، إذا لم يكن كذلك حينئذ ستكون العبادة غير مقبولة، يعني لم تطرق باب الله الذي منه يؤتى، أنت تطرق باب وثن. إذن نريد باب عبادة الله تعالى، ما الذي يطرق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ بعد ذلك يقيمون الصلاة، العبادة، الحج (فاستغفروا الله).

### الشرط الثاني: الاستغفار:

بعد ذلك يقيمون الصلاة، العبادة، الحج (فاستغفروا الله) هذا كله نقيمه من أعمال فردية في المرحلة الثانية.

### الشرط الثالث: استغفار الرسول لهم:

هل يكفي حينئذ لصحة العبادة وقبول الله لها كوننا قد توسلنا بأهل البيت والتجأنا بهم فقط ونقتصر على ذلك، قرأنا دعاء التوسل أو زرناهم أو أظهرنا محبتهم، أو أقمنا المجلس لهم.

الالتجاء يحمل معاني وصور عديدة، لو أقمنا كل صور الالتجاء والتوجه بأهل البيت والترامي في بيئة أهل البيت عليه السلام، ثم أقمنا العبادة (استغفروا الله) أقمنا البرنامج الإلهي، الأمر الإلهي الموجود، هل حينئذ سوف نحظى بالغاية والقبول؟ لا... الآية تقول هناك شرط آخر لكن ليس بيدكم، ما هو؟ الشرط الآخر هو: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ استغفر لهم الرسول يعني لابد أن يشفع يقوم بالشفاعة بالواسطة، يعني إذا الرسول لا يقوم بالشفاعة لا يقبل الله ﷻ عمل عامل منا.

### سؤال وجواب:

وقد يسأل سائل أن الآية في البداية مخاطب النبي ﷺ (جاؤك) ثم تقول (واستغفروا الله). فكيف التوافق بينهما؟

والجواب: يسمى التعبير الأدبي بـ (الالتفات) في القرآن كثير، تارة القرآن يخاطب شخص ويلتفت عنه ويخاطب آخر، يتكلم عن الشخص بالغايب، يسمى في علم البلاغة في اللغة العربية (براعة الالتفات) يعني يدير ندوة خطابية حوارية بألوان مختلفة لكي يشري

حيوية الندوة أو الحوار هذه طبيعه الخطاب القرآني، كما يقول أمير المؤمنين إذا لم ينتبه القارئ للقرآن أو المفسر أو الفقيه أو المجتهد أو المثقف أياً ما كان إذا لم يعرف هذه القاعدة الإستعمالية في ألفاظ وتركيب الجمل في القرآن أو لا يستطيع أن يتدبر فيها. الإستعمال القرآني طبيعته الالتفات يعني كأنما يدير ندوة، يخاطب هذا، يعرض ثم يخاطب آخر، يعرض فيخاطب آخرين ثم يرجع وهلم جرى...

من باب حيوية الحوار والخطاب في الخطاب القرآني يسمى في اللغة العربية الالتفات، يعني التفت إليه، يعود فيلتفت للآخر يعرض عنه يعود فيلتفت لثالث وهلم جرأ... لينتبه الجميع إلى حوارهِ وخطابه - القرآن الكريم -.

المهم. في الآية القرآنية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ جأؤك يعني تجيئون تتوسلون أولاً. تستعلمون دينكم منهم تستعلمون نظامكم الاجتماعي منهم، يعني تلتجئون إليهم في كل شيء تتوجهون بهم في كل مجال لا مجال بخصوصه دون آخر. بعد ذلك تقومون بما أمرتم من عبادة من قوانين اجتماعية قوانين سياسية...

، هؤلاء الجاحدون للتوسل أصلاً لا يفهمون هذه الآية القرآنية، يقول الله ﷻ لو استغفرت أنت أيها العبد ما لا نهاية وأهلك نفسك في الاستغفار والبكاء والندم بعد أن توسلت بالنبي ﷺ والتجأت إليه و لم يشفع لك النبي لن يقبل الله التوبة.

ما هذا المقام للنبي ﷺ ما هذا الباب إلى الله تعالى فلو أني توسلت وتوجهت والتجأت واسترشدت للنبي وأهل بيته وتوليتهم وأظهرت ولأني لهم وتشبث بهم واستغفرت وأقمت البرنامج الإلهي سوف لن يتوب الله عليّ ومفاد الآية يقول الباري تعالى لن أتوب عليك إلا أن يشفع لك الحبيب المصطفى ﷺ. إذا لم يمض لك المصطفى ﷺ لا أمضي. ما هذا المقام الكبير للنبي ﷺ.

لنلتفت إلى الآية الكريمة الأخرى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الرحمة هو سيد الأنبياء، النافذة الباب للرحمة، ليغفر الله الذنوب التي هي على كل الأمة إلى يوم القيامة لا بد من شفاعته النبي ﷺ ومفاد الآية ليس فقط التوبة بل عبادتنا صلاتنا صومنا حجنا

خدماتنا الخيرية الميراث... كل شيء نقوم به إذا لم يشفع له النبي إذا لم يقبله لا يقبله الله ﷻ.

هذا ليس فقط خاص بهذه الأمة في آخر الزمان: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ بل عام لكل الأمم بما فيها الأنبياء السابقين.

هذه الآية مع الإمعان فيها تدل ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ على أن الرسول له دور مهيمن على الأنبياء فضلاً عن غيرهم. شفاعته، الشفاعة يعني واسطة ماذا تعني الوساطة، يعني مثلاً عندك واسطة لهذه الوظيفة في هذه الوزارة -، الوساطة ليس فقط للإغضاء عن العقوبة، لإخراج سجين من السجن قد لا يكون سجين، الوساطة من أجل الحصول على أرباح، تحصل إنجازات أليس كذلك الشفاعة يعني واسطة، الشفاعة إما لترفع درجات أو لغفران ذنوب.

شفاعة النبي تعني واسطته، يعني بوابته للرحمة الإلهية، ليس خاصاً بالأمة الإسلامية بل لجميع الأمم، بل ليس خاصاً بالأمم بل يشمل الأنبياء، أي نبي من الأنبياء إذا لم يشفع له النبي ويتدخل كواسطة لم يعط النبوة. النبي إبراهيم الخليل لا يعطى النبوة النبي نوح لا يعطى النبوة كما ذكرنا سابقاً.

وهذه الآية سنّة إلهية إلى يوم القيامة شأنها شأن بقية الآيات والفرائض المتعلقة بالنبي ﷺ أو ذات الارتباط بالنبي ﷺ نظير: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾<sup>(١)</sup> فهل الإطاعة فقط في حياته.

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الحشر: ٧.



إلى غير ذلك من الآيات وكما هو الحال في الشهادة الثانية فإنه ركن في التوحيد والدخول في حضرة الإسلام إلى يوم القيامة وليس مختصاً بحياة النبي ﷺ في دار الدنيا بل هو دين بعث به سائر الأنبياء السابقين وقد مرّ في بحث الآيات كلاماً مبسوطاً في بيان ركنية التوسل والتوجه والاستشفاع في الدين الخفيف وإن من جحد هذا الركن العظيم يستهدف التكرار عن عدم الالتزام بالشهادة الثانية بنحو مبطن ومن ثم لا ترون في أدبيات الجاحدين للتوسل بيان مؤديات الشهادة الثانية وتداعياتها.

## لولاك ما خلقت الأفلاك:

هناك كتاب يوزّع بين الحجاج من قبل الوهابية يحمل أسم (حقوق النبي بين الإجلال والإضلال) وكل ما في الكتاب إزرار بالنبي ﷺ تحت شعار آيات قرآنية، وتكرر عن آيات أخرى، وتعامى عنها، وهذا الكتاب يوزّع بكثرة.

يقول إن التشفع بالنبي ﷺ بدعة، أو أن: (لولاك ما خلقت الأفلاك، لولاك ما خلقت الجنة ولا النار)<sup>(١)</sup> هذا غلو، ومن وضع الغلاة، عجيب. الرواية صحيحة السند لماذا تتعاملون عنها؟ لم تعبثون بالدين؟ الدين لا يكمل لكم ولا إلينا بمجرد (لا إله إلا الله). إن لم تضم إليها (محمد رسول الله) لا تدخل في التوحيد. هل استطاعوا أن يفسروا هذا الشيء لماذا لا يكمل التوحيد بـ (لا إله إلا الله)، الذوبان في التوحيد لماذا لا يكمل بـ (لا إله إلا الله)، لماذا لا بد أن نضم إليها (محمد رسول الله)، لذلك قال الإمام الرضا عليه السلام: (لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي) حديث قدسي عن الله، لكن (بشرطها وشروطها).

هم أصلاً ساروا على نفس سياسة قريش العدائية السابقة مع خاتم الأنبياء، يريدون أن يخذلوا ويميتوا ركنية النبوة في التوحيد، كيف يمكن؟ هو الله عز وجل يأمرنا، التوبة ليست مغايرة للصلاة وللحج وللأعمال والأمور الأخرى.

**البرهان الرابع:** قوله تعالى: ﴿إِذِ يَتَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾<sup>(١)</sup>.

### قصة أصحاب الكهف:

في حوار دار بين الإمام علي عليه السلام وبعض أحبار اليهود في زمن خلافة الثاني، فسأل أحدهم عن قصة أصحاب الكهف فأجابه الإمام علي عليه السلام:

((... يا أبا اليهود حدثني محمد ﷺ أنه كان بأرض الروم... وأستعرض عليه قصة أصحاب الكهف إلى أن بعثهم الله مرة أخرى وبعثوا بواحد يسمى تملixa منهم يشترى لهم طعاماً كما تقص علينا الآيات فعرف الناس الذين في الأجيال اللاحقة أن هذا الشخص من أصحاب الكهف من زمن دقيانوس - إلى أن قال عليه السلام -: فوقف الناس فأقبل تملixa حتى دخل الكهف فلما نظروا إليه اعتنقوا وقالوا: الحمد لله الذي نجاك من دقيوس، قال تملixa: دعوني عنكم وعن دقيوسكم، قال: كم لبثتم؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم! قال تملixa: بل لبثتم ثلاث مائة وتسع سنين، وقد مات دقيوس وانقرض قرن بعد قرن، وبعث الله نبياً يقال له المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ورفع الله إليه، وقد أقبل إلينا الملك والناس معه قالوا: يا تملixa أتريد أن تجعلنا فتنة للعالمين؟ قال تملixa: فما تريدون؟ قالوا: ادع الله جل ذكره وندعوه معك حتى يقبض أرواحنا، فرفعوا أيديهم، فأمر الله تعالى بقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف على الناس، فأقبل الملكان يطوفان على باب الكهف سبعة أيام لا يجدان للكهف باباً، فقال الملك المسلم: ماتوا على ديننا، أبني على باب الكهف مسجداً، وقال اليهودي: لا بل ماتوا على ديني، أبني على باب الكهف كنيسة، فاقتلا فغلب المسلم وبنى مسجداً عليه، يا يهودي أوافق هذا ما في توراتكم؟ قال: ما زدت حرفاً ولا نقصت، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله<sup>(٢)</sup>.

(١) الكهف: ٢١.

(٢) بحار الأنوار ج ١٤ ٤٩٩.

١١٤ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

إن الملك المسلم أو الموحد الذي أقترح بناء المسجد كان على ملة إبراهيم عليه السلام، وهذا يدل على أنه كان من سنن الملة الإبراهيمية اتخاذ المسجد على قبور الصالحين وهم الموحدون، فلو كان في شرع الله أن بناء المسجد على قبور الصالحين هو عين الوثنية كما تدعي هذه الشريعة، وهي من عبادة الأصنام أو الشرك وغير ذلك من التفاهات لكان يذم ويخطيء القرآن على فعلهم هذا فأغضاء القرآن عن ذلك وذكره لبناء المسجد عليهم في سياق المديح والأشادة ومن صلاح العاقبة لأهل الكهف وأنه لسان صدق مديح لأصحاب الكهف في الأجيال والقرون اللاحقة وهذا يدل على كونه مقبولاً عند منزل الوحي.

والحال أنه في الآية الكريمة أعتبرت أن بناء المسجد على القبور من الغايات الحميدة التي ترتبت على فعل الله تعالى، فإن بناء القبور إشادة لصلاح الصالحين وإشادة للآية الإلهية التي صنعها الله تعالى بأصحاب الكهف، وبعبارة أخرى إن ذلك البناء لو لم ينوه عليهم لما بقيت تلك الآية الإلهية وحكمته للبشر.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن عمارة قبر النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ هو من أحياء شعائر الله، وأبقاء الدين مشيداً إلى يوم القيامة، فإن مقامات الأنبياء والأصفياء والحجج حري بها أن تشعر، وقد مر سابقاً أن التشعير هو لمضاعفة الأجر والثواب، مع أنهم يقولون أن العبادة من دعاء وصلاة وغير ذلك لا يجوز إلا في المسجد، وهذا خلاف لضرورة فقه كل المسلمين، لأن نفس الحرم المكي ليس كله مسجد وكذلك الحرم المدني ليس كله مسجد، ولكنها شعرت لعظمتها وحرمتها فإن التشعير أعم من المسجدية كما مر ذلك مفصلاً في البراهين السابقين.

إذن بناء القبور وتشعيرها يصب في ركنية معالم الدين: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(١)</sup>. فتعظيم عمارة قبر النبي ﷺ وتشعيره هو نفس عظمة الاعتقاد بنبوة خاتم الأنبياء ﷺ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾<sup>(٢)</sup>.

فإن الأنشداد إلى آيات الله هو أنشداد إلى الله تعالى، والإيمان بولاية أهل البيت عليهم السلام ليس وحدها منجية بل لا بد من الخضوع لهم والتوسل بهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>. فإن نفس رفع الصوت هو الخروج عن العقيدة، فإن الاستخفاف بالنبي حياً وميتاً هو أستخفاف بالله تعالى.

والحال أتفقت المذاهب الإسلامية على أن المشي على قبر المؤمن والإتكاء والجلوس عليه هتك لحرمة وأذية لصاحبة وقد رأى النبي ﷺ رجلاً متكئاً على قبر فقال ﷺ: لا تؤذ صاحب القبر.

فما بالك بقبر أحب الناس إلى رسول الله ﷺ !!؟

(١) نوح: ١٣.

(٢) الحجرات: ٢.



الفصل الثالث  
البحث الروائي  
أدلة القول بحرمة بناء القبور  
وعمارتها



## أدلة القول بحرمة بناء القبور وعمارته

في هذا الفصل سوف نستعرض الأدلة التي أستدلوا بها على حرمة بناء القبور وعمارته ومن ثم جحد شعيرة زيارة قبر النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام، وقبور الأنبياء والأوصياء بشكل عام، وبعد أستعراض هذه الأدلة سوف نناقشها ونرد عليها بأدلة أخرى من نفس الكتاب والسنة:

### الدليل الأول:

أستدلوا من الكتاب الكريم بأيتين كريمتين:

**الأولى:** قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾<sup>(١)</sup>.

**الثانية:** قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئْسُوا مِنْ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) فاطر: ٢٢.

(٢) المتحة: ١٣.



## تقريب الدلالة:

أن الظاهر والمتبادر من الآية الأولى أن من في القبور لا يسمعون ولا يمكن للحي أن يخاطبهم ولا يكلمهم فطريق الاتصال بين الأحياء والأموات منقطع فلا معنى حينئذٍ يتحصل لزيارتهم.

### ويظهر من الآية الثانية:

أن الكفار قد انقطعوا عن أصحاب القبور فلا يرجونهم في نفع ولا ضرر وتعطل فعلهم فلا يكثرئون بهم فمن ثم شبه انقطاع المغضوب عليهم الذين حل عليهم الغضب الإلهي عن الآخرة ويؤسهم منها لعدم ادخارهم العمل الصالح لها وعدم رجائهم ثواب الآخرة فلا يرجون منها رحمة ولا مغفرة ولا نعيماً ولا نفعاً، شبه ذلك بعدم جدوى من في القبور للكفار من الأحياء.

وضم إلى الاستدلال بهاتين الآيتين الاستدلال بما ورد في الحديث النبوي الشريف: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث) ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به أو صدقة جارية بتقريب أن زيارة الزائر للميت لا تنفعه بشئ لانقطاع العمل فلا يستزيد عملاً من الحي الزائر ولا يستزيد الحي من الميت كذلك لأن الميت لا يقوى ولا يستطيع أن يأتي بعمل ينفع به نفسه ولا عملاً ينفع به الآخرين من الأحياء.

## الحياة في الآخرة والبرزخ أشد قوة من الدنيا:

والجواب: أن دلالة الآيتين على عكس ما قرر تماماً فإن الآية الأولى تبين أن الذي يكذب برسالة الرسل وبرسالة الرسول ﷺ وبالبشارة والنذير الإلهي هو ميت وإن كان يحيا في دار الدنيا وإن من يصدق ويؤمن بالإيمان فهو حي وهو الذي يسمعه الله دينه وأما الذي يكذب فهو في صمم وعمى بمثابة الميت الذي غطلت أعضائه عن الحركة نظير ما

ورد في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(١)</sup>.

ونظيره قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾<sup>(٢)</sup> فإن المراد ليس موتان البدن وحياته ليتخيل أن المراد من الآية هو خروج الجنين الميت من المرأة الحامل الحي، أو العكس وهو خروج الجنين الحي من المرأة الحامل الميت بل المراد هو حياة القلوب وموتانها فإن العلم والإيمان بالحقيقة والحق حياة والجهل والكفر والجحود بهما موت.

حيث ركز القرآن الكريم على أعضاء جوانح الروح وأنها أهم من صفة الحياة والموت من أعضاء جوارح البدن الدنيوي فإن للروح أعضاء وقوى كما أن للبدن أعضاء.

ونظير ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ

سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فإن المراد ليس هو عمي العين كعضو للبدن بل عمي القلب.

ومن ثم ورد أن الجاهل بين العلماء كالميت بين الأحياء وأن العالم بين الجهال كالحي بين الأموات فالحياة والموت بلحاظ الروح تختلف عن الحياة والموت بلحاظ البدن، فالإدراك والشعور حياة والجهل والغفلة موت والإيمان حياة فاعلة والكفر والتكذيب بالحق موت، وهذا نظير اصطلاح القرآن الكريم في لفظة القرية والقرى ولفظة المدينة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الحج: ٤٦.

(٢) الروم: ١٩.

(٣) الإسراء: ٧٢.

(٤) يس: ١٣.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(١)</sup> فإن المرسلين الثلاثة أرسلوا إلى المدينة العامرة ومع ذلك سماها القرآن قرية وذلك لكون أهلها كفار، والمكان الذي منه أتى المؤمن (حبيب النجار) هو في العمران والبناء وذلك لكون أهلها مؤمنين والتمدن في القرآن هي بلحاظ الإيمان الذي هو كمال وتطور للبشرية، والكفر تخلف وانحطاط لها.

ونظير ذلك الأمية والعلم والتعلم في القرآن، فإنه أطلق على أهل مكة بالأميين لأنه لم يبعث فيهم رسولا من قبل ولم ينزل عليهم كتاب فليسوا بأهل الكتاب في مقابل أهل الكتاب فإنهم أهل العلم، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> حيث دلت على أن الدار المقعنة بالحوية والحياة ذات النفع الحيوي هي دار الآخرة وكأنما دار الدنيا والحياة فيها أقرب إلى الموت منها إلى الحياة، والدار الآخرة أقرب إلى الحياة منها إلى الموت.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾<sup>(٣)</sup>، وكما في قوله ﷺ: (الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا) أي أن في دار الدنيا حالة منامية والبعث إلى البرزخ والآخرة حالة اليقظة، فشعور وأدراك وسمع وأبصار من انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة اشد بمراتب من الكائن في دار الدنيا. كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

فتشير الآية إلى أن البصر في دار الدنيا محجوب بغطاء ولا حدة فيه ليبصر الحقائق والواقع، ونظير ذلك ما ورد عن سيد الشهداء الحسين (عليه السلام): (أن الدنيا حلوها ومرها

(١) يس: ٢٠.

(٢) النكبت: ٦٤.

(٣) الأعلى: ١٧.

(٤) ق: ٢٢.

حلم) فيتحصل من مجموع الآيات والروايات أن شعور وأبصار وسماع أهل الآخرة أشد وأقوى واحد من أدراك أهل دار الدنيا.

والياس من الموتى وأصحاب القبور من صفة الكفار والمنافقين، كما في الآية المتقدمة والإيمان بأصحاب القبور وانتقال وجودهم إلى البرزخ وإنما نقلوا من دار إلى دار فإنهم وإن عدموا من دار الدنيا ورحلوا عنها إلا أنهم موجودون في دار الآخرة من البرزخ فلم يعدموا تماماً كما يعتقد الدهرية وأصحاب الفلسفة المادية الذين يجحدون كل شيء وراء الحس الدنيوي المادي ويقولون: ﴿مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾<sup>(١)</sup> ويحسبون أن الموتى أصبحوا رميم وعظام بالية لا غير، ولا يستيقنون بالبرزخ: ﴿وَمَنْ وَّرَاهُمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُعْثُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وأن أهل البرزخ من الموتى على ارتباط بمواضع قبورهم وبمن يزورهم فيها. فمن صفات المؤمنين بالغيب بالغيب والآخرة.

وأما الآية الثانية: فدلالتها صريحة في خطأ الكفار وتغليطهم فيما يعتقدون اتجاه أصحاب القبور نظير خطأ المغضوب عليهم في اليأس من الآخرة، فإن المغضوب عليهم لعدم إيمانهم بالآخرة لا يعولون ولا يطمثون إلى وجود الآخرة وما فيها من ثواب الله ورضوانه ودار أنعامه، مع أن الدار الآخرة هي حقيقة واقعة وموجودة وهي دار أعظم شأناً وسعة وفسحة وجمالاً وجلالاً وبهاءً من دار الدنيا إلا أن المغضوب عليهم بسبب عدم إيمانهم أخطئوا وجهلوا هذا الأمر، نظير جهل الكفار بشأن أصحاب القبور وأنهم موجودون في دار البرزخ منعمون إن كانوا من أهل النجاة ومعذبون إن كانوا من أهل الهلاك، فالياس من أصحاب القبور هي من صفات الكفار والمنافقين لعدم أيمانهم بالآخرة والبرزخ، بينما الأمل في أصحاب القبور بوجودهم والتواصل معهم والصلة بهم والارتباط هي من صفات المؤمنين بالبرزخ وبالآخرة والمعاد فلا غرو ولا عجب في تشديد التكير على زيارة أهل القبور والأولياء والأصفياء والصالحين من قبل الوهابية، فإن هذا

(١) الجاثية: ٢٤.

(٢) المؤمنون: ١٠٠.

١٢٤..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

لا يصب إلا في مواجهة الإيمان بالبرزخ وبالآخرة والمعاد والحساب وأنه نظير مقولة الكفار في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فحصروا الحياة بدار الدنيا وأنكروا الحياة الآخرة والبرزخ وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾<sup>(٢)</sup>.  
وقوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

## الصد عن زيارة القبور صدٌّ عن الآخرة ودعوة للعكوف على الدنيا:

حيث تدل الآية على أن الموت انتقالٌ من دار إلى دار ويريد الميت أن يرجع كما ورد في الحديث النبوي: (وإنما تنقلون من دار إلى دار)، ويقولها الإنسان المحتضر عند سوقه إلى الممر الذي يؤدي به إلى البرزخ، والآيات والروايات الدالة على الحياة البرزخية أكثر من أن تحصى. فالصد عن زيارة القبور صدٌّ عن التوجه إلى الآخرة ودعوة إلى العكوف على الدار الدنيا الذي هي مرام الدهريين، وقد تكرر في القرآن الكريم التعبير عن الموت بأنه وفاة وتوفي والوفاء هو التمام والإتمام واستيفاء التمام كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الجاثية: ٢٤.

(٢) الفجر: ٢٤.

(٣) المؤمنون: ١٠٠.

(٤) الأعراف: ٣٧.

فالتعبير بتوفته أي أنهم يستوفون تمام ذات الإنسان من دون نقص، أي أن تمام حقيقة ذاته تستوفيها ملائكة الموت ولا يبقى منها شئ في دار الدنيا بل ينتقل بتمامه إلى البرزخ ومن ثم فذات الإنسان لا تتبدد ولا تفتنى كما يزعم هؤلاء المنكرون للدار الآخرة، وقد أطلق على نفس هذا الفعل أنه نزْع أي نزْعُ للروح عن البدن وانتقال بها إلى بدن برزخي كما في قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾<sup>(١)</sup>.

وأطلق على السَّوْق الانتقال والحركة أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَالْفَتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِي﴾<sup>(٣)</sup>، فيشير إلى نزاع الروح وبلوغها التراقي حين الموت وأنه حيثُ تساق ذات الإنسان وروحه إلى الله فلا تفتنى ولا تتبدد، ولو أردنا أن نخص الآيات في ذلك لطال بنا المقام فهؤلاء في دعوتهم للصد عن زيارة القبور يصدون عن سبيل الآخرة ويزعجهم ويؤرقهم تذكر الآخرة فجحودهم لزيارة القبور بمثابة أنكار عملي للبرزخ والآخرة، فيريدون من الناس العكوف على دار الدنيا والالتهاؤ بها والغفلة عن دار الجزاء والغفلة عن الموت والانشغال بمتاع الدنيا فكهم هي دعوة هدامة يُروج لها أبناء الدنيا لمحاربة أبناء الآخرة وقد أشير في الحديث النبوي المتقدم إلى الحكمة من زيارة القبور أنها تذكر الآخرة أي تذكر البرزخ وانتقال الموتى إليه وأن القبور بمثابة نوافذ وأبواب وطرق وقنوات تربط بالبرزخ فهؤلاء في صددهم من زيارة القبور يصدون عن تذكر الآخرة وعن التفكير فيها.

وأما الحديث فدلالته على عكس مطلوبهم، فإن دعاء الولد الصالح للأب الميت يفيد الميت وهذا لا يختص بدعاء الولد بل بكل صالح يستجاب دعائه في حق الميت بل بكل صالح يدعو للميت كما ورد في الرواية النبوية عن أبي هريرة عنه رضي الله عنه: (إن هذه القبور

(١) النازعات: ١.

(٢) القيامة: ٣٠.

(٣) القيامة: ٢٦.

١٢٦ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله عز وجل ينورها بصلاتي عليها). فهذا أصل وبابٌ يدل الحديث الشريف على انتفاع الميت بدعاء الصالحين بل أن الإنسان قد يستفيد من عمل الأموات إذا كانوا صالحين كما دلت عليه الآية الشريفة: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾<sup>(١)</sup>.

### الدليل الثاني والثالث والرابع لاشتغاله على ثلاثة السن:

**اللسان الأول:** هو هدم القبور: ومنها رواية أبي الهياج الأسدي رواها أحمد بن حنبل في مسنده: (حدثنا وكيعٌ حدثنا سُفيان، عن حبيب، عن أبي وائل، عن أبي الهياج الأسدي، قال قال لي علي أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)<sup>(٢)</sup>.

رواه أيضاً مسلم<sup>(٣)</sup>.

والنسائي<sup>(٤)</sup>.

والحاكم النيسابوري<sup>(٥)</sup>.

**التقريب:** الاستدلال الذي ذكره هو أن النهي ورد في سياق واحد مع النهي عن التماثيل التي تتخذ كأصنام وأوثان مما يدل على أن مناط النهي هو الشرك الموجود في كلا موردَي النهي فاستدل بهذا الاستدلال ابن تيمية في كتاب منهج السنة ومحمد عبد الوهاب في كتابه كشف الشبهات.

(١) الكهف: ٨٢.

(٢) أحمد بن حنبل: المجلد ١ مسند علي بن أبي طالب.

(٣) صحيح مسلم ج ٣: في باب الأمر بتسوية القبر.

(٤) النسائي: كتاب الجنائز: باب الساعات التي نهى عنها أقبار الموتى.

(٥) الحاكم في المستدرک ج ١: في باب صفة قبر النبي ﷺ.

كما ورد في كُتُبنا ومصادرنا شبيه لهذه الرواية كما هو في كتاب الوسائل:

محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (بعثني رسول الله ﷺ إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلا محوتها، ولا قبراً إلا سويته، ولا كلباً إلا قتلته<sup>(١)</sup>).

قال صاحب الوسائل: وتقدم الأمر بالترجيع القبر<sup>(٢)</sup>.

**اللسان الثاني والثالث:** هو لعن زائري القبور والمتخذينها مساجد:

منها: ومن أدلتهم على الحرمة هذا الحديث رواه ابن داود في سننه باب زيارة النساء القبور: (حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا شعبة، عن محمد بن جُحادة، قال سمعتُ أبا صالح، يُحدث عن ابن عباس قال لعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زائراتِ القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)<sup>(٣)</sup>.

وقال الحاكم النيسابوري في المستدرك بعد روايته لهذه الرواية ( لعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)<sup>(٤)</sup>.

وما رواه أحمد في مسنده بأكثر من طرق ( قال سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول ان مَنْ اليان لسحرا وشرار الناس الذين تدركهم الساعة أحياء والذين يتخذون قبورهم مساجد)<sup>(٥)</sup>.

وما رواه مسلم والبخاري ( ألا وأن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد أني أنهاكم عن ذلك)<sup>(٦)</sup>.

(١) الكافي ٦: ١٤/٥٢٨، أورد أيضاً في الحديث ٨ الباب ٣ من المساكن.

(٢) تقدم ما يدل عليه في الحديث ٥ الباب ٩ من صلاة الجنائز وعلى حكم التسوية في الحديث ٢٢ الباب ٥ منها والحديث ٥ الباب ٢١ من هذه الأبواب وعلى حكم التريع في الباب ٣١ من هذه الأبواب.

(٣) سنن ابن داود: باب في زيارة النساء القبور ج ٢.

(٤) المستدرك ج ١: باب الأمر بخلع النعال في القبور.

(٥) مسند أحمد ج ١: مسند عبدالله بن مسعود (رض).

(٦) صحيح مسلم ج ٢: باب فضل بناء المساجد والحث عليها.



ثم قال (الترمذي) فقد رأى بعض أهل العلم أن يرخص النبي ﷺ فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء وقال بعضهم : إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن. باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء<sup>(١)</sup>. ثم عقد باب ما جاء في زيارة القبور للنساء وروي في زيارة عائشة لأخيها عبد الرحمن.

### الجواب على الاستدلال بهذه الأحاديث:

أن هذا الاستدلال عجيبٌ وغريبٌ لأنه مبني على مقدمات مزعومة في ظهور الحديث خلافة غير مسلم بها فإن الحديث له وجوه متعددة من الدلالة ذكرت عند علماء الفريقين أضعفها ما ذكروه وما استدلوا به.

فكيف ينون عقيدة يكفرون بها طوائف المسلمين مبنية على مثل هذه الدلالة الاحتمالية والهلوسة في الاستظهار وعلى تخربات ظنية ما أنزل الله بها من سلطان مع أن التكفير لا ينشأ على دليل ظني تام فضلاً عن دلالة احتمالية وهمية بل ولا على الدليل القطعي النظري بل ولا على القطعي الضروري ما لم يكن ضرورياً تنتفي معه الشبهة فهم يخرجون عن ميزان الملة في منهج الاستدلال في الشريعة وقواعد الدين.

### أزمة منهج الاستظهار عند السلفية:

أولاً: أن مورد النهي والأمر بطمس التماثيل والصور كما في رواية النسائي ( ولا صورة في بيت إلا طمسها ) ليس خاصاً بالأصنام والأوثان بل الظاهر عدم إرادة الأصنام والأوثان لأنه البعث الحاصل لأبي الهياج كان في خلافة علي عليه السلام ولم يكن بعثه إلى ديار المشركين إذ لو كان البعث إلى ديار المشركين لكان أمر رسول الله ﷺ بقتال المشركين أولاً حتى يقرأوا بالشهادتين، بينما لم يتضمن أمر النبي ﷺ لعلي ذلك ولا أمر علي لأبي الهياج كذلك، وهذا مما يعزز أن الأمر بطمس التماثيل في البيوت هو لكراهتها

(١) سنن الترمذي ج ٢: باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء.

ولحرمة صنع التماثيل والصور لذوات الأرواح والأمر بالطمس والنهي عن الصور والتماثيل بعيدان كل البعد عن بحث الشرك.

**ثانياً:** لو سلمنا أن النهي عن الصور والتماثيل بطمسها وارد في مورد الأصنام والأوثان فما هو صلة الأمر بتسوية القبور بذلك، إذ وحدة السياق لا تدل على وحدة المتعلق في النهي بل غاية ما يتثبت في الوحدة هو بالسياق الذي هو أضعف القرائن وهو لأجل تحديد مفاد الحكم من كون الحكم الإلزامي أو النذبي أو الكراهتي في الجمل المتعاقبة، وأما أن متعلق النهي والأمر أن سببهما واحد فهذا مما لا سبيل إلى استفادته من وحدة السياق وهي مغايرة لوحدة المتعلق ومن ثم لا صلة بين النهين والأمرين، ألا ترى في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(١)</sup>.

فهل لأحد أن يستظهر أن الأمر بالإحسان إلى الوالدين من أحكام العقيدة والاعتقاد فضلاً أن يكون من أركان التوحيد كي يكفر به العاق لوالديه، بل ليس الأمر بالإحسان إلى الوالدين حكماً وجوباً بل أن الإحسان للوالدين محمول على النذب، نعم عقوق الوالدين محرم من الكبائر ولكن ليس من أحكام مسائل العقيدة.

فالمحرم في الوالدين هو جهة العقوق لهما لا وجوب كافة درجات الإحسان لهما ومن ثم أستظهر في الحديث أن بتسوية القبر المشرف ذي الشرفة محمول على الكراهة إلى غير ذلك من موارد الاستعمال الكثيرة المعطوف فيها الأمر الفرعي على الأمر الإعتقادي في موارد استخدام القرآن الكريم.

**ثالثاً:** أن الأمر بتسوية القبور في مقابل إشرافها قد استظهر منه الكثير إرادة تسطیح القبور في مقابل تسويمها وقد حكاه ذلك ابن تيمية نفسه في كتابه منهاج السنة عن جملة من علماء السنة<sup>(٢)</sup> وقد ألترم ابن تيمية بذلك.

(١) الإسراء: ٢٣.

(٢) منهاج السنة لأبن تيمية ج ٢: ١٤٣.

١٣٠..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

كما أنه قد حكى النووي في شرح مسلم<sup>(١)</sup> قوله ( يأمرُ بتسويتها ) وفي رواية الأخرى (ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) فيه أن السنة أن القبر لا يرفع على الأرض رفعا كثيرا ولا يسنم بل يرفع نحو شبر ويسطح وهذا مذهب الشافعي ومن وافقه، ونقل القاضي عياض عن أكثر العلماء على أن الأفضل عندهم تسنيمها وهو مذهب مالك قوله (أن لا تدع تمثالا الا طمسته) فيه الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح.

### **كراهة ارتفاع القبور عند جمهور علماء السنة لا الحرمة: ومن كلامه يتقرر جملة من الأمور:**

**منها:** أن جمهور علماء سنة الجماعة لم يحملوا الأمر بالتسوية على اللزوم بل حملوه على الندب لذلك ذهب أكثرهم إلى القول بالتسليم مخالفة للروافض من أتباع أهل البيت عليه، فمن الغريب بعد ذلك أدعاء السلفية والوهابية أن الأمة مجمعة على بدعية رفع القبور ولزوم تسويتها وقد مر في

كلام النووي أيضاً أنه الأفضل لا اللزوم وكذلك عند مذهب الشافعي رفع القبر على نحو شبر وهو حمل التسوية على التسطیح.

**ومنها:** أن صريح كلام النووي أن الأمر بطمس التمثال هو في الصور ذوات الأرواح لا في الأوثان والأصنام<sup>(٢)</sup>.

وقال العيني في عمدة القارئ في شرح البخاري في مسألة تسنيم القبر وتسطيحه وقبر أبي بكر وعمر مسنمين، ورواه أبو نعيم في (المستخرج): (وقبر أبي بكر وعمر كذلك)<sup>(٣)</sup>.

وقال إبراهيم النخعي: أخبرني من رأى قبر النبي ﷺ وصاحبيه مسنمة ناشزة من الأرض عليها مرمر أبيض، وقال الشعبي رأيت قبور شهداء أحد مسنمة وكذلك فعل بقبر عمر وابن عباس وقال الليث حدثني يزيد أبي حبيب أنه يستحب أن تسنم القبور

(١) شرح صحيح مسلم للنووي باب (اللحد ونصب اللين على الميت) ج ٧.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي باب (اللحد ونصب اللين على الميت) ج ٧ ص ٣٦.

(٣) تحفة الأحوذى المباركفوري باب ما جاء في تسوية القبر ج ٤: ١٣٠، عمدة القارئ للعيني ج ٨: ٢٢٤.

ولا ترفع ولا يكون عليها تراب كثير، وهو قول الكوفيين والثوري ومالك وأحمد واختاره جماعة من الشافعية منهم المزني فقال: أن القبور تسنم لأنها أمتع من الجلوس عليها وقال أشهب وأبن حبيب: أحب إلي أن يسنم القبر وأن يرفع فلا بأس، وقال طاووس كان يعجبهم أن يرفع القبر شيئاً حتى يُعلم أنه قبر، وأدعى القاضي حسين اتفاق أصحاب الشافعي على التسنيم، ورد عليه بأنه جماعة من قدماء الشافعية استحبوا التسطيح، كما نص عليه الشافعي، وبه جزم الماوردي وآخرون.

وفي (التوضيح): وقال الشافعي: تسطح القبور ولا تبنى ولا ترفع وتكون على وجه الأرض نحو من شبر قال بلغنا أن النبي ﷺ سطح قبر أبه إبراهيم (عليه السلام) ووضع عليه الحصباء ورش عليه الماء<sup>(١)</sup>.

وأن مقبرة الأنصار والمهاجرين مسطحة قبورهم: وروى عن مالك مثله واحتج الشافعي أيضاً بما روى الترمذي عن أبي الهياج الأسدي، وأسمه: حيان. قال لي علي إلا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالا إلا طمسته)<sup>(٢)</sup>.

وكما جاء في سنن أبي داود: (حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن أبي فديك، أخبرني عمرو بن عثمان بن هاني، عن القاسم، قال: دخلت على عائشة فقلت: يا أمه اكشفي لي عن قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) وصاحبيه، فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء قال أبو علي: قال إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مُقدم<sup>(٣)</sup>.

(١) عمدة القارئ ج ٨: ٢٢٤.

(٢) عمدة القارئ ج ٨: ٢٢٤.

(٣) سنن أبي داود: باب الجنائز باب الميت يصلى على قبره بعد حين ج ٢.

وفي (المغني): واختار التسنيم أبو علي الطبري وأبو علي بن أبي هريرة والجويني والغزالي والرويانى و السرخسي وذكر القاضي حسين اتفاقهم عليه، ثم فسر حديث الترمذي أن المراد من المشرفة والمذكورة فيه (الحديث) هي المبنية التي يطلب بها المباهاة<sup>(١)</sup>. ثم نقل قول السرخسي: أن التريع من شعار الرافضة، وقال ابن قدامة: التسطیح هو شعار أهل البدع فكان مكروهاً.

وقد حكى الشوكاني في نيل الأوطار قريب من هذا الكلام وذكر في زمن إمارة خلافة عمر بن عبد العزيز على المدينة بُني القبر من قبل الوليد بن عبد الملك وصيروها مرتفعة<sup>(٢)</sup>. وقال ابن حجر في فتح الباري وما يكره من الصلاة في القبور يتناول ما إذا وقعت الصلاة على القبر أو إلى القبر أو بين القبرين<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث رواه مسلم من طريق أبي مرثد الغنوي مرفوعاً قال قال رسول الله: (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها)<sup>(٤)</sup>.

(قلتُ وليس هو على شرط البخاري فأشار إليه الترجمة وأورد معه اثر عمر الدال على أن النهي عن ذلك لا يقتضي فساد الصلاة وذكر تلاميذ أنس في استمرار الصلاة عند القبر ولو كان ذلك يقتضي فسادها لقطعها)<sup>(٥)</sup>.

**أقول:** يظهر من ابن حجر وغيره إن المشهور عند علماء السنة عدا الفرقة الوهابية والسلفية حمل اللعن على الكراهة وتفسير اللعن بمعنى البعد عن رحمة الله<sup>(٦)</sup> نظير ما

(١) عمدة القارئ ج ٨: ٢٢٤.

(٢) نيل الأوطار ج ٤: باب اختلاف العلماء في أفضلية تسنيم القبر أو تسطيحه.

(٣) فتح الباري: باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ج ١.

(٤) صحيح مسلم كتاب الجنائز: باب الصلاة على جنازة في المسجد ج ٣.

(٥) فتح الباري: باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ج ١.

(٦) إذ اللعن درجات أي أن البُعد عن ساحة رحمته تعالى درجات متفاوتة كما أن القرب درجات أيضاً في مقابل البعد، وبعبارة أخرى أن الأفعال في تسيبها وتأثيرها للبعد عن رحمة الله تعالى هي متفاوتة شدة وضعفاً بحسب شدة البعد وقلته فالْبُعد الحاصل من المكروه الضعيف أقل من الحاصل من المكروه الشديد وهو أقل من الحاصل من الحرام وهو أقل من الحاصل من الكبيرة وهو أقل من الحاصل من الكفر وهو أقل الحاصل من الجحود والعناد.

ورد في كراهة الأكل منفرداً والنوم وحده لقوله ﷺ: ( لعن الله من أكل وحده وسافر وحده ونام وحده) فإن مطلق اللعن كما هو الحال في مطلق النهي يستعمل بكثرة في الكراهة وهذا مما يشير إلى الأزيمة بين الوهابية وسائر المسلمين في منهجهم الحشوي في الاستظهار من الألفاظ في الروايات الواردة.

لكن مر في كلام العيني أن قبره ﷺ كان مبنياً ومرتفعاً في الصدر الأول.  
**أقول:** يستفاد من كلامهما جملة أمور:

**منها:** أن جمهور علماء السنة عدا السلفية (سواء المذاهب الأربعة أو غيرهم) لم يذهبوا إلى كون الأمر بالتسوية عزيمة أي إلزامية ومن ثم سوغوا التسليم أو سوغوا الارتفاع مقدار شبر.

**ومنها:** أن قبر النبي ﷺ كان مبنياً وفي البنية ارتفاع في الصدر الأول وأعيد بناؤه عدة مرات في القرن الأول والثاني مع اختلاف في درجات الارتفاع، وكذلك قبر عمر وأبي بكر والمهاجرين والأنصار وقبور شهداء أحد.

**ومنها:** أن جملة منهم حمل النهي عن إشراف القبر مع كونه تزيهياً على ما لو أريد المباهاة والخيلاء وأين هذا من ما لو أريد الشعيرة الدينية وذكر النبي ﷺ وأهل بيته.

#### اختصاص هدم القبور بالمشركين:

كما روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة فقد روى في جملة من مصادرهم عن علي (عليه السلام) قال: (كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في جنازة فقال أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره ولا قبراً إلا سواء ولا صورة إلا لطخها فقال رجل أنا يا رسول الله فانطلق فهاب أهل المدينة فرجع فقال علي (رضي الله عنه) أنا أنطلق يا رسول الله فانطلق ثم رجع فقال يا رسول الله لم ادع بها وثناً إلا كسرته ولا قبراً إلا سوّيته ولا صورة إلا لطختها ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من عاد لصنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) (١).

## سبب نسخ النهي عن زيارة القبور:

والحديث بهذه الألفاظ ظاهرٌ في مورده وهو خصوص قبور المشركين كما هو مورد جملة من الأحاديث التي أستدل بها في المقام، كما هو الحال في الحديث الآتي النهي عن زيارة القبور ثم نسخ بالأمر في زيارتها، وفي الحقيقة أن النسخ من باب تبديل الموضوع فإن النهي الأول عن زيارتها في صدر الإسلام كان في مورد خصوص قبور المشركين بخلاف الأمر بزيارة القبور فإنه لقبور المسلمين الموحدين ولذلك كان سيرته ﷺ كما يأتي في حديث زيارة قبور المسلمين في بقيع الغرقد وفي بعض الروايات كان يزورهم كل ليلة.

وسوف نذكر جملة من القرائن الروائية على اختصاص النهي بقبور المشركين وما روى مستفيضاً من قوله ﷺ كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، وروى النسائي في سننه (باب زيارة القبور) بألفاظ أخرى وكذلك الشهيد الأول<sup>(١)</sup>.

كما روى ابن ماجة حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أنبأنا ابن جريح، عن أيوب بن هانئ، عن مسروق بن الأجدع، عن ابن مسعود، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها ترهق في الدنيا وتذكر الآخرة)<sup>(٢)</sup>.

كذلك ما ذكره عن ابن أبي مليكة عن عائشة: (أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رخص في زيارة القبور).

## اتفاق جمهور السنة على رجحان زيارة القبور:

ورواه الترمذي في باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور: (قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة). قال وفي الباب عن أبي سعيد وابن مسعود وأنس وأبي

(١) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ج ٢: البحث الخامس: زيارة القبور.

(٢) سنن ابن ماجة: باب زيارة القبور ج ١.

هُريرة وأم سلمة. قال أبو عيسى حديثُ بريدة حديثٌ حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون زيارة القبور بأساً. وقول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق<sup>(١)</sup>.

ومن ثم عُرف عندهم بنسخ النهي عن زيارة القبور إلى الأمر بها وإذا أمعنا النظر في ذلك وما رواه الفريقان من الأمر بزيارتها بعد النهي عنها يظهر منه أن ذلك لتبدل الموضوع وإن النهي السابق في صدر البعثة النبوية إنما كان متعلقاً بقبور المشركين وأهل الجاهلية، وأن الأمر بزيارة القبور إنما هو بقبور المسلمين والموحدين ويعضد هذا الاستظهار سبق واللحوق الزمني .

ويعضد هذا الاستظهار أيضاً ما رواه البخاري من أمره ﷺ بنهب قبور المشركين أي تسويتها بالأرض وإعفاء أثرها واتخاذ المساجد عليها بعد ذلك وعقد باباً تحت عنوان هل تنهب قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد<sup>(٢)</sup> .

### الحكمة في الأمر بهدم قبور المشركين:

فيظهر من مجموع الروايات أن النهي عن الاحتفاء بالقبور في أوائل البعثة النبوية أو عندما بعث علياً إلى اليمن في بداية عهدهم للإسلام أو عندما بعث عليُّ أبي الهياج إلى بعض الأطراف الداخلة لتوها في الإسلام و الأمر بهدم القبور المبنية أو المشرفة (المرفوعة) والأمر بإعفاؤها وطمسها هو لأجل قطع العلاقة بين الجيل الأول الداخل في الإسلام عن الجيل السابق من أقوامهم الذين كانوا على شرك الوثنية لكي لا يتأثر أهل القبور من ذريتهم كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سنن الترمذي: باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور ج ٢.

(٢) باب هجرة النبي ﷺ واصحابه الى المدينة، ج ٤.

(٣) التوبة: ١١٣.



١٣٦..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالآيتان تُنصان على الفصل بين الموتى وقبور المشركين وموتى وقبور المؤمنين فإنه لا يجوز التردد والقيام والاحتفاء بقبور النمط الأول بخلاف النمط الثاني فإنهما دالتان على مفروغية عبادية زيارة القبور والقيام عندها والدعاء وأنه سنة في أصل الشريعة فإن لسانهما كالاستثناء من العموم السابق المقدر، مضافاً إلى اشتمالهما على التعليل للنهي عن زيارة قبور المنافقين بأنهم كفروا واشركوا والتعليل يخصص ويفيد التفصيل.

### وقد يُشكل في دلالة آية القيام على القبر:

الأشكال الأول: إنها ليست في صدد تفصيل في الزيارة للقبور لأن عنوان الزيارة غير عنوان القيام على القبر.

الأشكال الثاني: أن القيام على القبر فعلٌ يؤتى به عقب الدفن للصلاة على الميت لا مطلقاً.

### وضوح دلالة الآيتين على سنة زيارة القبور:

الجواب على ذلك: بأن هذا القول مكابرة واضحة فإن الزيارة إلى القبر ليست إلا الذهاب إلى القبر والكون عنده سواء في حالة الوقوف أو الجلوس أي (الإقامة عنده) والقيام عند القبر لا يتحقق إلا بالذهاب إليه و الكون عنده قريباً سواء كانت الحالة وقوفاً أو جلوساً فوحدة المراد بين العنوانين من الكناية المستعمل فيها لفظ البعض أو الغاية مع أرادة الكل والمغيبى.

ولكي يتضح هذا المطلب نقول بأن القيام عند القبر غاية للذهاب الذي يحصل به مقدمة الزيارة كما إنه بعضٌ من مجموع فعل الزيارة وهذا نظير ما ورد في كتاب الحج من لفظ

الوقوفين في عرفات والمزدلفة فإن المراد منه الكيتونة في ذلك المكانين لا خصوص الوقوف مقابل الجلوس، والحاصل أن النهي عن القيام على قبور المنافقين إنما هو بلحاظ الدعاء لهم والترحم عليهم نظير مفاد الآية الأولى وهذا الأمر يُمارس عند زيارة القبور وليس المنهي عنه هو الوقوف المجرد ولا يلتزم أحد بحرمة الوقوف المجرد عند قبور المشركين و الاقتراب منها بل الغاية هو التحريم بلحاظ الاستغفار والترحم والدعاء لهم وهو عمدة ما يمارس في زيارة القبور حتى في صيغة التسليم على أهل القبور فإنه نمط من الدعاء والترحم والدعاء بالسلامة والأمن والتحية لهم ، ومنه يظهر الجواب على الأشكال الثاني بأن الدعاء والتسليم على الميت لا يختص بمراسم الدفن فقط بل مستمر ما دام قبر الميت. فإنه قد روي مستفيضاً زيارته ﷺ للبقع كل أسبوع وتسليمه عليهم والدعاء لهم وقراءته الحمد وأنها تُنير وتزِيلُ ظلمةُ قبورهم فقيامه ﷺ على القبور غير مخصوص بمراسم الدفن وكذلك ما كانت تفعله سيدة النساء فاطمة المطهرة الصديقة من زيارتها لقبر سيد الشهداء حمزة أو شهداء أحد، ثم أن هناك فائدة حكاها الألويسي في روح المعاني عن السيوطي وهي دلالة هذه الآية ودلالة زيارته ﷺ لأمه آمنة بنت وهب على كونهما من الموحدين حيث أنه قد ورد في الحديث تكرار زيارته ﷺ لوالدته مرة في عام الحديسية، ومرة بعد غزوة تبوك عند رجوعه منها كما سيأتي في الفصل الرابع في أدلة الوجوب.

### الحكمة في النهي ثم الأمر بزيارة القبور:

وقال العيني في عمدة القارئ ومعنى النهي عن زيارة القبور إنما كان في أول الإسلام عند قربهم بعبادة الأوثان واتخاذ القبور مساجد، فلما استحکم الإسلام وقوي في قلوب الناس وأمنت عبادة القبور والصلاة إليها نسخ النهي عن زيارتها لأنها تذكر الآخرة وتزهد في الدنيا، وقال قبل ذلك وفي (التوضيح) أيضاً: الأمة مجمعة على زيارة قبر نبينا

ﷺ (١).

١٣٨..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

ويعضد ذلك أيضاً ما رواه الفريقان من زيارته ﷺ لقبر أمه آمنة بنت وهب جملة أخرى من روايات المستدل بها على الحرمة: ومن أدلتهم على الحرمة هذا الحديث روي ابن داود في سننه: (حدثنا محمد بن كثير أخبرنا شعبة عن محمد بن جحادة قال سمعتُ أبا صالح يحدث عن ابن عباس قال: لعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)<sup>(١)</sup>.

كما جاء في الترمذي: (حدثنا قتيبة أخبرنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعن زوارات القبور)<sup>(٢)</sup>. وقال الحاكم النيسابوري في المستدرک بعد روايته لهذه الرواية: (لعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زائرات القبور المتخذين عليها المساجد والسرج)<sup>(٣)</sup>.

### الحكمة في نهى النساء عن زيارة القبور مقيدة:

وفي تحفة الأحوذى: (ويؤيد الجواز - أي في زيارة النساء للقبور حديث أنس قال مر النبي (صلى الله عليه وسلم) بامرأة تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري.. فإنه (صلى الله عليه وسلم) لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر وتقريره حجة)<sup>(٤)</sup>. وعلى هذا يدل أن نهى النساء عن زيارة القبور لأجل جزعهن وعدم جلدن<sup>(٥)</sup> وتبرمهن من قضاء الله وقدره وما يصاحب ذلك من بعض المفاتن، وإلا مع أمن كل ذلك وكون زيارتهن لإحياء ذكرى معالم الدين وذكريات حجج الدين وأيامهم الخالدة فإن ذلك شعيرة عظيمة البتة.

(١) سنن ابن داود: باب في زيارة النساء القبور ج ٢.

(٢) سنن الترمذي: باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء ج ٢.

(٣) الحاكم النيسابوري: باب الأمر بخلع النعال في القبور ج ١.

(٤) تحفة الأحوذى: ما جاء في كراهية زيارة النساء للقبور: ١٨٥.

(٥) أحكام الجنائز للألباني باب استدلال حافظ به على زيارة النساء للقبور: ١٨٥.

## زيارة فاطمة بنت النبي لقبر حمزة:

كما روي البيهقي في السنن الكبرى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه: (ان فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده)<sup>(١)</sup>.

وقال الحاكم في المستدرک: (هذا الحديث رواه عن آخرهم ثقات (رواية فاطمة) وقال وقد استقصيت في الحث على زيارة القبور تحرياً للمشاركة في الترغيب وليعلم الشحيح بذنبه انها سنة مسنونة)<sup>(٢)</sup> وذكره ابن حجر العسقلاني في تلخيص الحبير<sup>(٣)</sup> والشوكاني في نيل الأوطار<sup>(٤)</sup> وقد مر في كلام جملة من الأعلام بأن النهي عن زيارة القبور هو بسبب الجزع وعدم الصبر على ذلك.

وفي الترمذي عن ابن عباس وحسان بن ثابت قال أبو موسى هذا الحديث صحيح فقد رأى بعض أهل العلم أن يرخص النبي ﷺ فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء وقال بعضهم: إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن<sup>(٥)</sup>.

كما جاء في سنن النسائي: (عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه كان في مجلس فيه رسول الله ﷺ فقال إني كنت نهيتكم أن تأكلوا لحوم الأضاحي... ثم قال ونهيتكم عن زيارة القبور فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً)<sup>(٦)</sup>.

فيدل على أن النهي عن زيارة النساء للقبور أو غيرهن محمولٌ على خوف وقول ما يسمى الكلام مع قضاء الله من التذمر من قضاء الله وقدره ونحو ذلك.

(١) السنن الكبرى للبيهقي: باب ما يقول إذا دخل مقبرة ج ٤.

(٢) المستدرک الحاكم النيسابوري: باب كانت فاطمة (رض) تزور قبر عمها كل جمعة ج ١.

(٣) تلخيص الحبير: باب المستحب في حال الاختيار أن يدفن كل ميت في قبر ج ١.

(٤) نيل الأوطار: باب تفصيل حكم زيارة القبور للنساء ج ٤.

(٥) سنن الترمذي: باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء ج ٢.

(٦) سنن النسائي: باب الساعات التي نهى عن إقبار الموتى فيهن ج ٤.

١٤٠..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

وذكر في تحفة الأحوذى قوله (لعن زوارات القبور) قال القرطبي هذا اللعن إنما هو في المكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج وما ينشأ منهن من الصياح ونحو ذلك فقد يقال إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الاذن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء.

### نسخ كل من النهي عن زيارة القبور والنهي عن عمارتها:

وقال الشوكاني في النيل وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة في الظاهر <sup>(١)</sup>.

قال وهذه الأحاديث المروية في النهي عن زيارة القبور منسوخة والناسخ لها حديث علقمة بن مرثد عن سليمان عن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ: (قد نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها) قد أذن الله لنبيه ﷺ في زيارة قبر أمه وهذا الحديث مخرج من الكتابين الصحيحين للشيخين.

**أقول:** فيظهر من الحاكم أن الأمر بزيارة القبور قد نسخ كلاً من النهي عن زيارتها ونسخ النهي عن عمارتها كما أنه يظهر مما حكاه الترمذي عن بعض أهل العلم وما ذكر القرطبي والشوكاني أن النهي عن زيارة القبور واتخاذ السرج والمساجد عليها هو لأجل الجزع والتبرم من قضاء الله وقدره والظاهر من كثرة العكوف عليها، ومن الواضح أن كل هذه المعاني بعيدة عن شعيرة عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته ﷺ.

**الدليل الخامس:** الروايات الواردة الناهية عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

منها: عن النبي ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه (لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) صحيح البخاري <sup>(٢)</sup>.

(١) تحفة الأحوذى: باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء ج ٤.

(٢) صحيح البخاري: باب مرض النبي ﷺ ووفاته: ج ٥.

فقد روي عن عائشة: (قالت لما اشتكى النبي (صلى الله عليه وسلم) ذكرت بعض نسائه كنيسة رأيها بأرض الحبشة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة (رضي الله عنها) أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنهما وتصاوير فيها فرفع رأسه فقال أولئك إذا مات منهن الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله<sup>(١)</sup> .

### وفي مسند أحمد بن حنبل:

عن عبيد الله بن عبد الله، وعن عائشة، أنهما قالوا لما نزل برسول الله (صلى الله عليه وسلم) طفق يُلقي خميصةً على وجهه فلما اغتمَّ رفعناها عنه وهو يقول لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد تقول عائشة يُحذرهم مثل الذي صنعوا<sup>(٢)</sup> .

وروي الدارمي في سننه بألفاظ أخرى عن ابن عباس وعائشة إلا لما نزل بالنبي (صلى الله عليه وسلم) طفق يطرح خميصة على وجهه فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مثل ما صنعوا)<sup>(٣)</sup> .

وروي أحمد في مسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)<sup>(٤)</sup> .

وروي عن عائشة قالت قال رسول (صلى الله عليه وسلم) في مرضه الذي لم يقم منه: (لعن الله اليهود والنصارى فإنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً)<sup>(٥)</sup> .

(١) صحيح البخاري: باب في الجنائز ج ٢.

(٢) مسند أحمد: مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب.

(٣) سنن الدارمي: باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد ج ١، السنن الكبرى ج ١ ذكر ما كان يفعله رسول الله ﷺ في وجهه.

(٤) مسند أحمد: مسند أبي هريرة، ج ٢.

(٥) مسند أحمد: حديث السيدة عائشة ج ٦.

وروي عن مالك في الموطأ عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد أشد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). قال ابن عبد البر لا خلاف عند مالك في إرسال هذا الحديث<sup>(١)</sup>.  
ورواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة، قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لا تتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وحيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني)<sup>(٢)</sup>.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)<sup>(٣)</sup>.  
وروي في مجمع الزوائد للهيثمي عن أبي عبيدة قال كان آخر ما تكلم به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخرجوا يهود أهل نجران من جزيرة العرب اعلّموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. رواه أحمد بإسنادين<sup>(٤)</sup>.

وروي الهيثمي باب قوله (لا تجعلن قبري وثناً) عن أبي هريرة قال (لا تجعلن قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه أبو يعلى وفيه إسحاق بن أبي إسرائيل<sup>(٥)</sup>.

وحديث عائشة رواه النسائي أيضاً في سننه<sup>(٦)</sup>.

وما رواه البيهقي في سننه في باب النهي عن الصلاة إلى القبور وكذلك في مجمع الزوائد عن أسامة بن زيد<sup>(٧)</sup>.

(١) الموطأ: باب جامع الصلاة ج ١، ح ٤١٤.

(٢) مسند أحمد: مسند أبي هريرة ج ٢.

(٣) سنن أبي داود: باب زيارة القبور ج ١، ح ٢٠٤٢.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي: باب في جزيرة العرب وإخراج الكفرة ج ٥.

(٥) مجمع الزوائد للهيثمي: باب قوله ﷺ لا تجعل قبري وثناً ج ٤.

(٦) سنن النسائي: باب اتخاذ القبور مساجد ج ٤.

(٧) مجمع الزوائد: باب في الصلاة بين القبور واتخاذها مساجد ج ٢.

ويؤيد ذلك ما روى من قول ابن عباس في ذيل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾<sup>(١)</sup>.

عن عطاء عن ابن عباس (رضي الله عنه) صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع كانت لهذيل وأما يغوث كانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحميم لآل ذي كلاع.

فهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت<sup>(٢)</sup>.

وأعترف ابن تيمية في منهاج السنة ان النهي عن عبادة الأصنام وهو اتخاذ قبره وثناً أي نصب التماثيل كأصنام على القبر<sup>(٣)</sup>.

#### الجواب بالاستدلال على هذه الأحاديث:

أن لسان هذه الروايات رادعة عن اتخاذ الأوثان من الصور والتماثيل التي على هيئة رسم صاحب القبر من الأنبياء أو الصالحين، فتتخذ تلك التماثيل والصور أصناماً تعبد كآلهة على نسق ما يفعله المشركون هي بعيدة كل البعد عن عمارة قبر النبي ﷺ واتخاذ قبره وروضته مكاناً لعبادة الله والتوجه به إلى الله و المراد من هذه الروايات ذلك دون عمارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وتشعيره موطناً عبادياً ويدل على ذلك ما ورد في جملة من القرائن.

منها: ما سيأتي في أدلة وجوب عمارة قبر النبي ﷺ من تشعير قبره مشعراً عبادياً كما في قوله ﷺ المستفيض المتواتر: (ما بين منبري وبينتي روضة من رياض الجنة)

(١) نوح: ٢٣.

(٢) صحيح البخاري: باب سورة قل أوحى إلي ج ٦.

(٣) منهاج السنة ج ١: ٢٧.



١٤٤..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

ومفاده الحث على اتخاذ قبره مشعراً لعبادة الله كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾<sup>(١)</sup>.

ومنها: ما سيأتي في أدلة الوجوب من الروايات الحاثّة أكيداً على زيارة قبره الشريف وتوقيت فعل الحج بزيارته.

ومنها: ما مر في ألفاظ بعض هذه الطائفة من الروايات - التي استدلو بها - من التصريح بأن هؤلاء الذين لعنوا قد صوروا على صور الأنبياء والصالحين تماثيلاً فعبدوها وهو مفاد ذكر لفظة تماثيل.

### الحكمة في النهي عن جعل القبور محلاً لسجود الصلاة:

ومن ثم حمل ابن حبان في صحيحه بعد ما روى عن ابن عباس أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على قبر منبوذ فصلى عليه فصلينا معه قال أبو حاتم في هذا الخبر بياناً واضح أن صلاة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) على القبر إنما كانت على قبر منبوذ والمنبوذ ناحية فدلّ ذلك هذه اللفظة على أن الصلاة على القبر جائزة إذا كان جديداً في ناحية لم تنبش أو في وسط القبور لم تنبش فأما القبور التي نبشت وقلب ترابها صار ترابها نجساً لا تجوز الصلاة على النجاسة إلا أن يقوم الإنسان على شئ نظيف، ثم يصلي على القبر المنبوش دون المنبوذ الذي لم ينبش<sup>(٢)</sup>.

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) صحيح ابن حبان: باب إباحة الصلاة على قبر المدفون ج ٧.

## اتخاذ القبور مساجد أي السجود والصلاة عليها:

ومقتضى كلامهم أن كراهة اتخاذ القبور مساجد إنما يكره باعتبار القرب من احتمال النجاسة.

أقول: مما يعضد<sup>١</sup> حمل النهي على أنه ما لو أخذ فوق القبر صور وتمائيل كالأوثان والأصنام وأن حديث عائشة المتقدم والنهي من قبل النبي الأكرم هو تحذير للمسلمين مما صنع اليهود والنصارى مع أنبيائهم حيث ديدن فعلهم على رسم تصاوير كما هو نص الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾<sup>(١)</sup> فيعبدون الصور. للسيد المسيح والسيدة العذراء مريم وهم يتخذونها آلهة ثلاثة مع الله ونظير هذه الطائفة ما رواه ابن حنبل في مسنده عن أبي عبيده: (قال آخر ما تكلم به النبي (صلى الله عليه وسلم) أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)<sup>(٢)</sup>.

وفي بعض طرق روايته عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مرضه الذي لم يقم منه: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً)<sup>(٣)</sup>.

وأما الجواب التفصيلي عن الرواية الأولى: فقد تقدم أنها محمولة أما على فعل اليهود والنصارى من تأليه عيسى وعزير (عليهما السلام) حيث قالوا أنهما أبنا الله، وقد مر لسان تلك الأحاديث تفسير هذه الجملة بذلك.

ويحتمل في معنى الرواية ما ذكره غير واحد من شراح الحديث من لعن الصلاة على القبور والوقوف برجليه عليه مما يوجب إزراء وهتك لصاحب القبر.

(١) النساء: ١٧.

(٢) مسند أحمد، حديث أبي عبيدة بن الجراح، ج ١.

(٣) مسند أحمد: حديث السيدة عائشة ج ٦.

## بناء قبر النبي ﷺ في الصدر الأول:

وأما الجواب على الرواية الثانية: فيفند الذيل الذي هو من كلام الراوي لا من الحديث المروي بأن أبراز قبره الشريف قد حصل منذ أول ساعة دفنه ﷺ، حيث أنه ﷺ دُفن في غرفته المشتركة بينه وبين فاطمة (سلام الله عليها) وهي التي قبض فيها وتعين دفنه ﷺ في موضع القبر بتدبير من أمير المؤمنين (عليه السلام) والظاهر إنه بوصية منه ﷺ وكان بمراى جميع المسلمين من الصدر الأول والغرفة بنيان مرتفع بالجدران المحيطة من الجوانب الأربع محيطة بالقبر الشريف كإحاطة الضريح وشبابيك المشهد بالقبر وبالتالي فيكون دفنه في الغرفة من البدء هو تخصيص لقبره الشريف وتشيد وبناء حوله وإبراز وإظهار للقبر الشريف كمعلم وتشعير للموضع فضلاً عن التشعير الذي ورد في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ: (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)<sup>(٢)</sup>.

## اتخاذ قبره وثناً هو بالقول بانه ابن الله أو بالقول بتعدد الآلهة:

ونظير ذلك مقالة اليهود من كون عزيز هو ابن الله كما يعضد ذلك ما روته عائشة من إنه لولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، فإن قولها ذلك مع كون قبره مبرزاً بلحاظ بناء الحجرة التي جعل فيها القبر الشريف فيكون المراد من إبراز القبر واتخاذ مسجداً أي معبوداً وقبلةً بنصب تمثال وصورة.

كما يفعل النصارى في كنائسهم وجعل النبي عيسى (عليه السلام) إله فيستقبل تمثاله للعبادة كما أنه ليس كل استقبال عبادة إذا كان من دون تأليه وإلا لكان أمر القرآن

(١) النور: ٣١.

(٢) مسند أحمد: مسند أبي سعيد الخدري ج ٣، حديث عبدالله بن زياد عاصم ج ٤.

الكريم لاستقبال مقام إبراهيم قبله مع الكعبة هي عبادة لإبراهيم وحاشا القرآن عن ذلك.

ومما يعضد هذا الحمل أيضا اقتران النهي عن اتخاذ وثناً بما فعلته اليهود والنصارى لقبور أنبيائهم فإن الاقتران بين الأمرين يدل على أن الجهة المنهية عنه في اتخاذ قبره وثناً ليس عمارة قبره الشريف لعبادة الله جنب القبر بل المراد عدم الانزلاق إلى ما فعله النصارى من تأليه الأنبياء والقول بأنهم أبناء الله أو أن الإله ثلاثة.

ومما يعضد ذلك عندهم ما رواه بطرق مختلفة منها ما جاء في سنن الكبرى للبيهقي: (حدثنا انس قال كنت يوماً أصلي وبين يدي القبر لا أشعر به فناداني عمر القبر القبر فظننت يعني أنه القمر فقال لي بعض من يليني إنما يعني القبر ففتحيت عنه). مما يعني إنه تقدم وصلى وجاز القبر (وفي رواية أخرى استمر في صلاته) لم يقطع صلاته<sup>(١)</sup>.

وقد استدلوا به على عموم عدم إعادة الصلاة وإنها جائزة وإن كانت مكروهة<sup>(٢)</sup>.

وقد حكى ذلك في عمدة القارئ عن جماعة كثيرة مثل عبد الله بن عمر وجماعة من التابعين مثل الحسن البصري وحكي عن شرح الترمذي ومالك فيظهر منهم صحة الصلاة عند القبر والمقابر<sup>(٣)</sup>.

وقد مر في كلام ابن حجر بأنه (ولو كان ذلك يقتضي فسادها لقطعها) مما يعني ذلك بأن الصلاة إلى القبر وجعله قبله ليس هو عبادة لصاحب القبر وتأليهه وإلا لبطلت الصلاة قطعاً.

(١) سنن الكبرى، باب النهي عن الصلاة إلى القبور، ج ٢.

(٢) عمدة القارئ: ج ٣: ١٧٢.

(٣) عمدة القارئ ج ٤: ١٧٣.

## اتخاذ قبور الأنبياء أو الأولياء مساجد أي القول بتأليهم:

قوله وما يكره من الصلاة في القبور: يتناول ما إذا وقعت الصلاة على القبر، أو إلى القبر، أو بين القبرين، وقال البيضاوي لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثاناً لعنهم ومنع المسلمين عن مثل ذلك فأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا التعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل في ذلك الوعيد ( في حديث جواز الحكاية )<sup>(١)</sup>.

وحكي أصحابنا اختلافاً في الحكمة من النهي عن الصلاة في المقبرة فقيل : (المعني فيه ما تحت مصلاه من النجاسة) وحكي القاضي حسين: إنه لا كراهة مع الفرش على النجاسة مطلقاً وحكى ابن الرافعة في (الكفاية): أن الذي دل عليه كلام القاضي : أن الكراهة إنما لحرمة الموتى<sup>(٢)</sup>.

ثم حكي عن القرطبي أن ما جاء في رواية اتخاذ الصور والتماثيل على قبور الصالحين قوله (إنما صور أوائلهم الصور ليأتسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله عند قبورهم ثم خلف من بعدهم خلف جهلوا مرادهم ووسوس الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فعبدوها، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك، ولما احتاجت الصحابة، والتابعون إلى زيادة مسجده (عليه الصلاة والسلام) بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا تصل إليه العوام فيؤدي إلى ذلك المحذور. ثم ذكر العيني عن ابن بطال قوله إنما النهي عنه لاتخاذهم القبور والصور آله.

وحكي عن الشافعي وأصحابه القول بكراهة بناء المساجد على القبور ثم حكي البيضاوي حمل النهي على التأليه وقال وأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم له ولا للتوجه إليه فلا يدخل في الوعيد المذكور<sup>(٣)</sup>.

(١) عمدة القارئ ج ٤: ١٧٤. فتح الباري: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ج ١.

(٢) عمدة القارئ، ج ٤، ١٧٣.

(٣) المصدر السابق.

بل أقول وكلماتهم شاهد على إرادة معنى التأليه من النهي المزبور لا بما فهمه السلفيون من عمارة قبر النبي وزيارته وعبادة الله عند قبره الشريف. ويجاب أيضا على فرض التسليم بإيهام دلالتها أن احاديث زيارة النبي (صلوات الله عليه) وعمارة قبره وأهل بيته مقدمة على إيهام دلالة هذه الروايات لوجوه: **منها:** أنها متواترة كمثّل حديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومضمونه قطعي ضروري بين المسلمين عبر الاجيال والقرون ومعتزدة بالسيرة القطعية للمسلمين من الصدر الأول بل بسيرة المسلمين في التعاطي مع قبر إبراهيم الخليل (عليه السلام) وقبور بقية الأنبياء في أراضى الشامات مضافاً إلى أن هذه الروايات أخص في زيارته ﷺ من الروايات الناهية، وإنها معتزدة بالكتاب كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾.

**وقوله تعالى:** ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ﴾ وبأدلة الآمرة بزيارة قبره ﷺ وعمارته، بينما الروايات الناهية محتملة لوجوه متعددة وقد عرفت أن أظهرها وجه آخر. **الدليل السادس:** ما رواه مسلم عنه ﷺ ( لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى)<sup>(١)</sup>. ورواه الطبراني في المعجم الكبير: ( قال رسول صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد الأقصى)<sup>(٢)</sup>. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد<sup>(٣)</sup> ورواه البزاز بتقريب أن النهي بالحرمة فيدل على حرمة السفر إلى زيارة القبور. **الإجابة:** ويرد عليه أنه قد تقدم وسيأتي جملة من الأجوبة على الاستدلال بهذا الحديث وملخصها.

(١) صحيح مسلم: كتاب الحج باب بيان أن المسجد أسس على التقوى ج ٤، وباب سفر المرأة مع محرم ج ٤.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج ٢: ٢٢٧، ج ٢٢: ٣٦٦.

(٣) مجمع الزوائد للهيتمي: باب قوله ﷺ لا تشد الرحال ج ٤.

## جمهور علماء السنة على عدم حرمة السفر إلى غير المساجد الثلاثة:

أولاً: أن (لا) هنا ليست للنهي بل لنفي مطلق الكمال الأتم وحصرها في المساجد لمعهودية هذا الاستعمال في هذا المعنى ويشهد له أيضاً ورود لفظ الحديث بلسان غير مشتمل على لفظة (لا) نظير (أما يسافر إلى ثلاثة) وبنحو آخر نظير (تشد الرحال إلى ثلاثة) ولأجل ذلك ذكر النووي في شرح مسلم أن الصحيح عند الجمهور هو الذي اختاره المحققون وإمام الحرمين أنه لا يحرم ولا يكره السفر إلى غير الثلاثة وإنما المراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أن المستثنى منه المفرغ لا بد له من نحو تقدير فإن قُدر لفظ المسجد فيكون معنى الحديث أنه لا تشد الرحال إلى مسجد إلا ثلاثة فلا يدل معنى مطلوبهم من قصد السفر إلى زيارة قبورهم الشريفة.

وإن قُدر مطلق السفر القربي أي لا تشد الرحال إلى سفر ابتغاء وجه الله إلا إلى ثلاثة وهذا مع أنه تقدير بلا شاهد وتمحض من التأويل الذي ينكرونه في منهجهم ويرتكبونه فيما يتبنونه من الشذوذ في معتقداتهم التي يخالفون بها المسلمين فإنه مع ذلك لا يمكن الالتزام به لتخصيصه بالأكثر وهو مستهجن فإن السفر لأجل صلة الرحم وصلة الأخوان المؤمنين والجهاد في سبيل الله والمرابطة وطلب العلم والبر والتعاون على المعروف والهجرة إلى الله ورسوله وفي شتى السبل للغير كل ذلك ما لا يحصى من رجحانه الأكيد في الشريعة بالأضافة لو سلمنا بالعموم فهو مُخصص بما دل على رجحان زيارة النبي ﷺ.

كما أنه ما دل على شعيرية قبر النبي ﷺ أخص مطلقاً من هذا العموم (لا تشد الرحال) مضافاً إلى أن ما دل على شعيرية زيارته مطابقٌ لدليل القرآن وهو قوله تعالى:

(١) باب سفر المرأة مع المحرم إلى حج وغيره ج ٩.

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ولقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾، كما تبين ذلك في البحث القرآني مفصلاً.

### فضيلة المسجد النبوي بأهل البيت عليه السلام:

**ثالثاً:** أن استثناء المسجد النبوي كما سيأتي من عدم شد الرحال يعني في الحقيقة استثناء قبر النبي وقبور أهل بيته لأن مسجده عليه السلام إنما أكتسب الفضيلة لنسبته إلى بيوته وهو قوله عليه السلام: (ما بين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنة).

نظير قوله تعالى في شأن مسجد النبي موسى (عليه والسلام): ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

**وتقريب الاستدلال:** أن مسجد النبي أضيف إلى النبي عليه السلام وابن عمه علي بن أبي طالب كما أضيف مسجد موسى إليه وإلى أخيه هارون، وكما سد موسى (عليه السلام) الأبواب عن المسجد إلا بابه وباب أخيه هارون فكذاك سد النبي عليه السلام الأبواب عن مسجده إلا بابه وباب علي وفاطمة وذريتهما، وهي إحدى الموارد التي قال فيها (صلوات الله عليه): (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) فتضاعف الثواب في المسجد لمكان بيوته عليه السلام فصار روضة من رياض الجنة، وسيأتي أن أعظم مواضع الروضة هي نفس بيوته عليه السلام والتي منها بيت علي وفاطمة وبيوته شاملة لبيوت ذريته المعصومين فيندرج في استثناء مسجده كافة بيوت الأنبياء وقبورهم وبيوت أهل البيت وقبورهم.





الفصل الرابع  
أدلة القول بوجوب عمارة  
قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين  
(صلوات الله عليهم أجمعين)



**الدليل الأول:** امر النبي ﷺ علياً أن يدفن حيث قُبُضَ في وصيته وهكذا فعل (عليه السلام)، وقد قُبُضَ النبي الأكرم في الغرفة التي كانت مشتركة بينه وبين فاطمة (عليها السلام) وهي الغرفة التي نزل فيها هو وأبنته أول ما هاجر إلى المدينة المنورة والتي ضمتها عائشة بعد ذلك إلى غرفتها بعد وفاة النبي ﷺ ووفاة أبنته وأزالت الجدار الذي كان بينها وبين غرفتها.

وعلى أي تقدير فإن أمره ﷺ بالدفن في الغرفة ودفنه من قبل أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو بناءً حول القبر الشريف أدل دليل على تشعيده ﷺ لقبره كمعلم للدين الخفيف. وهذا أمر قطعي بضرورة الدين لا يجحده إلا المكابر والعاتي المتبع للأهواء والتوافق إلى البدع والابتداع، إذ جعل مثوى بدنه الشريف منذ اللحظة الأولى لدفنه وقبره في غرفة خاصة به وبناء جدران الغرفة الشريفة كهيئة أضلاع الضريح المبني على قبور أهل بيته (عليه السلام)، ومن ذلك يعلم أن عمارة قبره وأهل بيته سنة قطعية في الدين، لا تجحد إلا بغرض طمس هذا المعلم ومحاربة الركن الثاني في الدين وهو الشهادة الثانية.

## سيرة المسلمين في قبور الأنبياء:

وكذا سيرة المسلمين إتجاه قبور الأنبياء في الشام ومنها قبر النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام) فإن سيرتهم عندما فتحوا الشام إلى يومنا هذا قائمة على تشييدها والمحافظة عليها، ومنها قبر اسماعيل (عليه السلام) في بيت الله الحرام في الحجر وكذا قبر أمه هاجر مع أن الذي دفن هاجر

١٥٦ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

في الحجر هو اسماعيل وهو الذي بنى الحجر صوناً لقبرها عن المشي عليه من قبل الطائفين.

والذي تشير إليه جملة من الروايات لدى الفريقين تدل على هذا المضمون وهي كالتالي:

روى الكليني: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن حسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عن الحجر أمن البيت هو أو فيه شئ من البيت ؟ فقال لا ولا قلامة ظفر ولكن إسماعيل دفن أمه فيه فكره أن توطأ، فحجر عليه حجراً وفيه قبور أنبياء<sup>(١)</sup>.

بعض أصحابنا، عن ابن جمهور، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن الفضل ابن عمر، عن أبي عبد الله ﷺ قال: الحجر بيت إسماعيل وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل<sup>(٢)</sup>.

بل قد ورد بأن هناك سبعين نبياً مدفونين حول الكعبة كما في أبواب الطواف من الوسائل تشير إلى هذه الشعيرة والسيرة القائمة لدى المسلمين فمنها:

(الكافي: العدة، عن سهل، عن محمد بن عبد الحميد، عن يحيى بن عمرو، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله ﷺ قال: دفن ما بين الركن اليماني والحجر الأسود سبعون نبياً، أماتهم الله جوعاً وضراً<sup>(٣)</sup>).

كما روى القرطبي في تفسيره قال ابن عباس: في المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما قبر إسماعيل وقبر شعيب (عليهما السلام)، وقبر إسماعيل في الحجر، وقبر شعيب مقابل الحجر الأسود وقال عبد الله بن ضمرة السلولي: ما بين الركن والمقام إلى زمزم قبور تسعة وتسعين نبياً جاؤوا حجاجاً فقبروا هنالك (صلوات الله عليهم أجمعين)<sup>(٤)</sup>.

١) الكافي ج ٤: كتاب الحج، باب حج إبراهيم وإسماعيل وبنائهما.

٢) الكافي ج ٤: كتاب الحج، باب حج إبراهيم وإسماعيل وبنائهما.

٣) الكافي ج ٤: كتاب الحج - باب حج الأنبياء ﷺ.

٤) تفسير القرطبي ج ٢: تفسير قوله تعالى: ربنا وأجعلنا مسلمين لك.

الفصل الرابع: أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين عليه السلام ..... ١٥٧

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: (أول من طاف بالبيت الملائكة وإن ما بين الحجر إلى الركن اليماني لقبور من قبور الأنبياء كان النبي إذا آذاه قومه خرج هو من بين أظهرهم فعبد الله فيها حتى يموت)<sup>(١)</sup>.

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عباس قال: (أول من طاف بالبيت الملائكة وأن بين الحجر إلى الركن اليماني لقبور من قبور الأنبياء كان النبي إذا آذاه قومه خرج من بين أظهرهم يعبد الله فيها حتى يموت)<sup>(٢)</sup>.

### شعيرة قبور الانبياء في المسجد الحرام:

وهذه السنة من الأنبياء في دفنهم عند بيت الله الحرام دليلٌ صريح على رجحان وشعيرة التعبد عند قبور الأنبياء وعلى رجحان الطواف بها والأتيان بمختلف العبادات عندها، ومنها قبر ذي الكفل في العراق ودانيال في شوشتر والذي دُفِنَ في عهد الخليفة الثاني الذي ظهر جسده وجدد قبره بأشارة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

ومنها قبرُ عزيز في العمارة جنوب العراق وكذا قبر زكريا في حلب ويحيى في الشام وشعيب في الأردن وشيث في لبنان وغيرها من قبور الأنبياء (عليهم أفضل الصلاة والسلام) المشيدة في العراق والشام وفلسطين.

### حفظ قبور الانبياء عن الأندراس بعمارته:

وبعبارة أخرى أن حفظ هذه القبور عن الأندراس والضياح والطمس لا يمكن إلا بتعاهدا أما بالبناء أو الزيارة وهذا ما يُعهد من أسلوب عمارتها وهو الملاحظ من تدوين الآثار في الكتب المؤلفة قرناً بعد قرن من مؤلفات علماء المسلمين.

(١) المعجم الكبير للطبراني ج ١١، باب سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٢) مجمع الزوائد ج ١، باب سبب النهي عن كثرة السؤال.

## الروضة عند قبره ﷺ مشعر عند المسلمين:

**الدليل الثاني:** وقوله ﷺ مستفيضاً (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) وفي لفظ آخر (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي)<sup>(١)</sup>.  
ولفظ آخر في مسند أحمد (قال ما بين هذه البيوت (يعني بيوته) إلى منبري روضة من رياض الجنة والمنبر على ترعة من ترع الجنة)<sup>(٢)</sup>.

روى السيوطي في تفسيره الدر المنثور: وأخرج البيهقي عن محمد بن المنذر ( قال رأيت جابر وهو يبكي عند قبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول ههنا تسكب العبرات سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)<sup>(٣)</sup>.

وقد روي هذا الحديث المتواتر عدة منهم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وجابر الأنصاري وعائشة و أم سلمة وعبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري وسعد والزبير وعبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب في عمدة القارئ ويدل هذا الحديث المتواتر على تشعير قبر النبي ﷺ معلماً للعبادة وجعله من المشاعر الدائمة إلى يوم القيامة كما شعر النبي ﷺ عموم المدينة حرماً له.

ومعنى الحرمية هو التشعير والتقديس والتبرك والملجئ والملاذ فضلاً عن مسجده الشريف وعن ما بين قبره ومنبره.

والتشعير في الشريعة لا يقاس بالوقف إذ التشعير الذي يتم بيد الشارع في البقاع الخاصة أبدي إلى يوم القيامة ويضفي عليه هالة من التقديس والتعظيم ويكون مواطن للعبادة بغض النظر عن المسجدية كما هو الحال في إزدياد ثواب العبادة في سائر بقاع الحرم المكي وإن لم يكن من المسجد الحرام، نعم يتضاعف ثواب العبادة في المسجد الحرام كما تتضاعف في البقعة المكيّة المشرفة.

(١) البخاري: باب الرقاق ج ٧ : ج ٢: باب فضل الصلاة على المسجد، باب حرم المدينة.

(٢) مسند أحمد ج ٤، حديث عبدالله بن زيد بن عاصم.

(٣) الدر المنثور ج ١: تفسير سورة البقرة الآية: ١٧.

الفصل الرابع: أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين ﷺ ..... ١٥٩

ويُنقل عن السهودي في وفاء الوفاء حيث نقل أجماع بل ضرورة علماء المسلمين بأن تراب قبر الرسول ﷺ أعظم حرمة وشرفاً من الكعبة وهذا تراب القبر لا شخص النبي، بل نقل عن جملة منهم (من علماء المسلمين) أن عموم حرم المدينة المنورة أفضل من الكعبة المكرمة<sup>(١)</sup>. والحاصل أن باب التشعير يختلف عن باب الوقف فمسجدية المسجد الحرام من باب المشاعر ولا تختص بالمسجدية كما في بقية المساجد، بل كما هو الحال في منى والمزدلفة من حيث تأييد المشعرية. وقال الشوكاني في (نيل الأوطار) وقد استدلل القائلون بأفضلية المدينة (على مكة) بأدلة منها حديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة).

وهذا يدل أنهم استظهروا وفهموا من هذا الحديث المتواتر تشعير القبر الشريف مشعراً إلهياً يعظم على حرمة الحرم المكي<sup>(٢)</sup>.

## الروضة بين بيوته ﷺ شاملة لقبور ذريته الأخهار:

**فائدة:** قد مر أن لفظ الحديث في مسند أحمد (ما بين هذه البيوت - يعني بيوته ﷺ - روضة من رياض الجنة) مما يقتضي أن ما بين بيته إلى قبره الشريف روضة من رياض الجنة وقد أدرج في بيوته في أحاديث عديدة بيوت علي وفاطمة والحسين ﷺ ونظير ما رواه وأخرجه في ذيل قوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ)<sup>(٣)</sup>. وفي الدر المنثور للسيوطي قال أخرج ابن أبي حاتم عن المجاهد (في بيوت أذن الله أن ترفع) قال هي بيوت النبي ﷺ وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قال قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ فقام إليه رجل فقال أي بيوت هذه يا رسول الله قال بيوت الأنبياء فقام إليه أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت

(١) وفاء الوفاء ج:١ الفصل الأول في تفضيلها على غيرها من البلاد.

(٢) نيل الأوطار للشوكاني: باب حجج من قال بأفضل.

(٣) التور: ٣٦.



منها لبیت علي وفاطمة قال نعم بل من أفاضلها <sup>(١)</sup>. وغيرها من الروایات في هذا الصدد فضلاً عن الروایات الواردة في أهل البيت عليه السلام في كون بيوت الأئمة (عليهم السلام) ومواضع قبورهم وبيوت النبي ﷺ روضة من رياض الجنة، وأنها قد شعرت للعبادة والزياره والتوسل بهم لكونها مشاعر إلهية وهذا الوجه بهذا التعليل هو الوارد في الآية الكريمة و بالجمع دون المفرد وقد مر شرح ذلك في البحث الأول في هذه القاعدة من المبحث القرآني. وروي الكافي في مصحح عن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: ما بين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة وصلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، قال جميل: قلت له: بيوت النبي ﷺ وبيت علي منها؟ (يعني هي أيضا من رياض الجنة من بيوت النبي ﷺ ولا تختص ببيوت أزواجه بل تشمل بيوت قرابته ﷺ الخاصة من أصحاب الكساء كما بين المنبر والبيوت) قال: نعم وأفضل <sup>(٢)</sup>. فبيوت النبي شاملة لبیت علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذرية الحسين وأنها أفضل بيوت النبي ﷺ. فيظهر من ألفاظ الحديث المتعدد أن المراد من قوله ﷺ: (ما بين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنة) هو العموم بنحوه المجموعي والاستغراقي، أي تحديد البقعة الواقعة في البين المحددة بهذه الأطراف المذكورة في الحديث كما أن المراد كل من الأطراف في نفسه على روضة من رياض الجنة، فمع كون عنوان بيوته ﷺ شاملة بنحو العموم الاستغراقي لبیت علي وفاطمة وذريته يتم هذا المقاد.

وبعبارة أخرى أن لورود الحديث في ألفاظ أخرى من تخصيص المنبر بكونه على ترعة من ترع الجنة أو على حوض أو على روضة من رياض الجنة كل ذلك يدل على إرادة أن كل طرف من أطراف التحديد هو على روضة من رياض الجنة فعنوان (بيوتي) عموم استغراقي، وأن عنوان (بيوتي) داخل في حكم المغيى أي أن الروضة جزء منها

(١) الدر المنثور ج ٥: سورة النور: ٣٦.

(٢) الكافي ج ٤: باب المنبر والروضة ومقام النبي ﷺ.

الفصل الرابع: أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين عليه السلام ..... ١٦١

المنبر، وجزء منها بيوت، وجزء منها ما بينهما. وعنوان (اليوت) كما ورد في روايات الفريقين في ذيل قوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أنها بيوت الأنبياء والتي فيها بيوت سيد الأنبياء ﷺ حيث قال (أن بيت علي وفاطمة منها ومن أفاضلها) كما ذكره السيوطي في الدر المنثور في ذيل الآية أخرجه عن ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة. مما يعزز أن بيت علي وفاطمة نسبته إلى النبي ﷺ أتم من نسبة بيوت وغرف أزواجه إليه وأن اندراج بيت علي وفاطمة في بيوته اندراج في الحقيقة لا في التنزيل<sup>(١)</sup>. وبالتالي يكون عموم بيوته شامل لقبور ذريته المطهرة بحسب المفاد الأولي للحديث، وقد ورد عنهم من طرقنا أن بقاع قبورهم من رياض الجنان وأنه يندب الصلاة والتعبد عندها ولا سيما عند الرأس الشريف، و من ثم ورد في النصوص المستفيضة عنهم في الأذن للدخول في زيارة مشاهدتهم المبنية على قبورهم (اللهم أني وقفت على باب من بيوت نبيك) وقد روي عنهم قول النبي ﷺ (إلا إن باب فاطمة بابي وبيتها بيتي فمن هتكه هتك حجاب الله)<sup>(٢)</sup> كما يستفاد من هذا الحديث الحث العظيم على زيارة قبره و أنها من العبادات الكبرى وعلى اتخاذ الموضع مقام لعبادة الله سبحانه وتعالى.

وهذا الحديث المتواتر القطعي صدوراً ومضموناً متطابقاً مع قطعي الكتاب في قوله تعالى: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)<sup>(٣)</sup>.

فكيف بمقام محمد ﷺ وهو أعظم حرمة من النبي إبراهيم عليه السلام، وكيف بجسده الطاهر مع أن مقام إبراهيم ليس مثوى لجسد إبراهيم عليه السلام وإنما هو حجر لامس قدم إبراهيم عليه السلام، فمفاد هذا الحديث الشريف القطعي متطابق مع قطعي ضرورة المسلمين واتخاذهم مقام إبراهيم مُصَلًّى ومنه يستفاد أن عمارة قبره الشريف والصلاة عند قبره والدعاء والأذكار والتبرك بها بالمسح وغيرها من أبواب العبادة لله سبحانه وتعالى. وقد شعرت

(١) بالتنزيل وذلك لأن علاقة القربى لا تنقطع بخلاف علاقة الزوجية فإنها بالأعتبار.

(٢) غاية المرام ج ٢: الباب الحادي والعشرون، الباب التاسع والعشرون.

(٣) البقرة: ١٢٥.

١٦٢ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

المدينة من قبل الرسول مضافاً إلى تشعير القبر، كما في كلام السمهودي حيث يقول: كما شعر الحرم المكي من قبل نبي الله آدم وإبراهيم، شعر الحرم المدني من قبل الرسول ﷺ وكما شعر المسجد الحرام والكعبة كذلك شعر المسجد النبوي والقبر الشريف من قبل سيد الأنبياء<sup>(١)</sup>.

فقد روي في باب حرم المدينة: عن أنس عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث ومن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين<sup>(٢)</sup>.

وروي أحمد في مسنده حديث أبي مالك الأشجعي (رضي الله عنه) عن رافع بن خديج: قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه ذكر مكة قال إن إبراهيم حرم مكة واني أحرم ما بين لا بتيها (يُريد المدينة)<sup>(٣)</sup>.

ولا يخفى على اللبيب أن تشعير قبر الرسول والمدينة يعظم حظراً ويعلوا شأناً على تشعير إبراهيم الخليل عليه السلام ومن ثم ورد أن مسجد النبي ازدادت حرمة بالنبي ﷺ وباهل بيته عليه السلام ومن ذلك يعلم أن جحد هذا المشهد العظيم بائقة من بوائق الدين.

ثم إن مفاد هذا الحديث (ما بين قبري ومنبري) قطعي كما علمت فكيف يشبثون بهذه الاستظهارات المتظنية، مضافاً إلى أن هذا الحديث القطعي الوارد في قبره الشريف وكذلك الحديث المستفيض في زيارة قبر والدته الشريفة أي تشريع سنه زيارة قبور أهل بيته أخص من عموم الروايات التي يتكلف تظنيها والخاص مقدم على العام، مضافاً إلى أنه لو بُني على التوهم للتعارض فإن عمارة قبره وقبور أهل بيته مطابق للكتاب كما مر في (البحث القرآني) ومطابق لضرورة الدين من الشهادة الثانية والثالثة.

(١) وفاء الوفاء ج ١: الفصل الثاني في حكمة تخصيص هذا المقدار المعين بالتخصيص.

(٢) صحيح البخاري ج ٢: باب حرم المدينة: ٢٢٠.

(٣) مسند احمد ج ٤: حديث أبي مالك الأشجعي، البخاري ج ٤ كتاب بدء الخلق.

## فائدة في حدود الروضة:

أن الملاحظ في أكثر الروايات الواردة عند الفريقين سواء عندنا أو عندهم وهو ورود لفظ الحديث النبوي بصيغة (ما بين منبري ويوتي روضة من رياض الجنة). وحيث أن بيوت النبي (صلى الله عليه وآله) منها غرف أزواجه وهي متوزعة بين جهة القبلة للقبر الشريف والذي هو ممر للزائرين حالياً وبين خلف القبلة وهي الدكة التي تقع بعد انتهاء بيت علي وفاطمة من جهة الشمال (أي الملتصقة بشباك الضريح من الخلف) وفي تلك الدكة تقع غرفة سودة بنت زمعة وفيها محراب النبي ﷺ عند تهجده وصلاته في الليل أي مما يكون قبلة محرابه بيت علي وفاطمة.

وعلى ضوء ذلك يكون بيت علي وفاطمة يقع وسطاً متوسطاً ما بين بيوت النبي إذ كان له ﷺ ما يقرب من تسع غرف متوزعة بين الأمام والخلف، وأما الغرفة التي دفن فيها ﷺ فتلك هي الغرفة التي كانت مشتركة بينه وبين أخته فاطمة (سلام الله عليها) وهي الغرفة التي أقام فيها النبي وفاطمة في المدينة قبل زواجهما ﷺ بعلي وكانت فاطمة قد منعت عائشة أن تفتح نافذة في غرفتها تلك كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج.

كما ورد في روايات الفريقين أيضاً أن بيت علي وفاطمة هي من بيوته ﷺ ومن بيوت الأنبياء كما روى ذلك السيوطي في الدر المنثور في ذيل قوله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها أسمه) وروي ذلك من طرقنا أيضاً فعن يونس بن يعقوب قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة عليه السلام أفضل أو في الروضة؟ قال: في بيت فاطمة عليه السلام<sup>(١)</sup>.

وعن جميل بن دراج قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة عليه السلام مثل الصلاة في الروضة؟ قال: وأفضل<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي ج ٤: ٥٥٦ ح ١٣.

(٢) الكافي ج ٤: ٥٥٦ ح ١٤.

وعلى ضوء ذلك ورد بأنها من أفاضلها وأن الصلاة فيها أفضل من الروضة، وعلى ضوء هذا التعميم لحدود الروضة يتبين أن الروضة الشريفة هي أوسع من التحديد المرسوم في كتب الفريقين والظاهر منهم انهم اقتصروا على التحديد المستفاد من لفظ الحديث الوارد بصيغة (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة).

بينما مقتضى مفاد صيغة الحديث الأكثر وروداً هو اتساع الروضة طويلاً إلى ما بعد شباك الضريح وإلى حد نهاية الدكة المتصلة به، ويعضد هذا الاستظهار ما ورد في صحيح علي بن جعفر من أن الصلاة في بيت علي وفاطمة أفضل من الروضة، وهو بمعنى أفضل مواضع الروضة لأن البيوت من الروضة والغاية داخلية في المغي، ويشير إلى هذا المفاد ما رواه السيوطي في الدر المنثور في ذيل قوله تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ﴾ وان بيت علي وفاطمة من أفاضلها<sup>(١)</sup>.

ويعضد ذلك من أن الجواد عليه السلام كان يكثر من الصلاة عند الأسطوانة التي هي بجذء بيت فاطمة عليها وعلى ضوء ذلك يستفاد من عموم وشمول قوله ﷺ (بيوتي) وشموله لقبور الأئمة للعترة المطهرة من ذريته كقبر الحسن المجتبي عليه السلام في البقيع وقبر أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسين والكاظم والرضا والجواد والعسكريين من أئمة أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام) بعد ما ورد من بيانه ﷺ أن البيوت التي إذن الله أن ترفع أنها بيوت الأنبياء وهو بيوته (صلى الله عليه وآله) وأن منها بيوت علي وفاطمة وذريته.

منها: ما في صحيحة الحسين بن ثوير عن أبي عبد الله عليه السلام الواردة في اداب زيارة الإمام الحسين عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفرات والبس ثيابك الطاهرة، ثم امش حافياً

الفصل الرابع: أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين عليه السلام ..... ١٦٥

فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله <sup>(١)</sup>. ولإحظ ما ورد في الوسائل من طرق مستفيضة ان حرم الحسين روضة من رياض الجنة <sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح أبي هاشم الجعفري قال سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: إن بين جبلي طوس قبضة قبضت من الجنة، من دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار <sup>(٣)</sup>. كذلك ما ورد في قدسية ارض كربلاء عن أبي عامر واعظ أهل الحجاز عن أبي عبد الله عليه السلام ان النبي ﷺ قال يا أبا الحسن إن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة وعروسة من عرصاتهما، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله، ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زواري غدا في الجنة، يا علي من عمر قبوركم وتعاهدتها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه فأبشر وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها أولئك شرار أمتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي <sup>(٤)</sup>.

كذلك ما رواه الشيخ الطوسي في زيارة الامير عليه السلام وفضل الكوفة، فعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قلت له: أي البقاع أفضل بعد حرم الله وحرم رسول الله ﷺ، فقال: الكوفة، يا أبا بكر هي الزكية الطاهرة، فيها قبور النبيين المرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلا وقد

(١) الوسائل ج ١٤: باب ٦٢ من أبواب المزار.

(٢) الوسائل ج ١٤: باب ٦٧ من أبواب المزار.

(٣) الوسائل ج ١٤: باب ٨٢ من أبواب المزار ج: ١٣.

(٤) تهذيب الأحكام ج ٦: ٢٢، ح ٥٥، الوهايون والبيوت المرفوعة للسقري: ٨٦ نقلاً عن شفا السقام للسبكي، المزار للمفيد: ١٢ / ٢٢٨.

١٦٦..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلي

صلى فيه، وفيها يظهر عدل الله، وفيها يكون قائمه والقوام من بعده، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين<sup>(١)</sup>.

وعن أبي جعفر الباقر عليه قال: لو كان يعلم الناس ما في مسجد الكوفة لأعدوا له الزاد والرواحل من مكان بعيد، إن صلاة فريضة فيه تعدل حجة، وصلاة نافلة تعدل عمرة<sup>(٢)</sup>. وغير ذلك من الروايات المروية بسند صحيح.

كما وردت لدينا النصوص المستفيضة في آداب الزيارة للأئمة من ذريته ﷺ الدالة على أن بقاع قبورهم من حرم الله تعالى وحرم رسوله، وأنها من بيوت النبي ﷺ وكيفية الاستيذان قبل الدخول إلى مشاهدهم المشرفة كما في النصوص التالية: (اللهم أني وقفت على باب بيت من بيوت نبيك وآل نبيك (عليه وعليهم السلام) وقد منعت الناس الدخول إلى بيوته إلا بإذن نبيك)<sup>(٣)</sup>. فجعلت قبورهم بيوتا من بيوت النبي ﷺ ولأجل ذلك وما مر من الروايات ذهب الشريف المرتضى وأبن الجنيد وبعض من تأخر كالعلامة الشيخ حسين العصفور إلى عموم رجحان الإتمام في السفر عند كل قبورهم ﷺ لا خصوص المواطن الأربعة. بتقريب أن الإتمام في الأربعة على بمضاعفة الثواب للصلاة وهذه العلة موجودة في بقية بقاعهم عليه.

### سن النبي ﷺ إقامة المآتم عند قبور أهل بيته:

**الدليل الثالث:** وقد روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريرة قال: (زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وبكى من حوله فقال رسول الله ﷺ استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت)<sup>(٤)</sup>.

(١) تهذيب الأحكام للطوسي ج ٦: ٣٥ ح ٥٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البحار ج ٩٧: كيفية الاستيذان وزيارة النبي ﷺ.

(٤) مسند أحمد ج ٢: مسند أبي هريرة، حديث بريدة الأسلمي ج ٥. المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

الفصل الرابع: أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين عليه السلام ..... ١٦٧

وروي مسلم في صحيحه في باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل لزيارة أمه: (زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله) فقال استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكرك الموت<sup>(١)</sup>.  
وروى الحاكم في المستدرک قال زار النبي ﷺ قبر أمه في الف مقنع فما روى أكثر باکیا من ذلك اليوم. هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين<sup>(٢)</sup>.

**أقول:** يظهر من أحاديث زيارة النبي لقبر أمه (سلام الله عليها) وحشرنا الله في زمرتها (المواتر)، أن النبي ﷺ أقام مائتاً عند قبر أمه وأقام مجلس عزاء في مقام مصاب فقد والدته الشريفة، وأنه سن سنة عظيمة في مشهد عام من المسلمين كي تكون مبدأ ومنطلقاً لهم في إقامة المآتم ومجالس العزاء على مصائب أهل بيته عند قبورهم. والطريف في هذا الحديث المتواتر عندهم أن الذي قام بعملية البكاء هو شخص النبي ﷺ فبكى من حوله وأبكى. قال النووي في شرح مسلم بعد ذكره لهذا الحديث: ورواه النسائي عن قتبية عن محمد بن عبيد ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبيد وهؤلاء كلهم ثقات فهو حديث صحيح بلا شك قوله (فبكى وأبكى من حوله)<sup>(٣)</sup>.

### سن النبي ﷺ الدعاء والعبادة عند قبور أهل بيته عليه السلام:

وفي مجمع الزوائد للهيثمي روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه أن يستسندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلاً ثم إنه بكى فاشتد بكاؤه وبكى هؤلاء لبكائه وذكر أنه رواه الطبراني في الكبير<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح مسلم، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل لزيارة أمه.

(٢) المستدرک ج ٢: زيارة النبي ﷺ قبر أمه.

(٣) شرح مسلم ج ٧: باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه.

(٤) مجمع الزوائد ج ١: باب في أهل الجاهلية.



١٦٨..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

ويظهر من لفظ هذا الحديث ان النبي ﷺ سنّ الدعاء والمناجات عند قبور اهل بيته كما ان اشتداد بكائه سنة منه ﷺ في إقامة الجزع عند قبور أهل بيته، وقد روي هذا الحديث المتواتر بألفاظ مختلفة ما يظهر منها تكرار زيارة النبي ﷺ لقبر أمه وإقامة العزاء والدعاء في عدة مرات.

### جملة من سنن النبي ﷺ في زيارة قبر والدته ﷺ:

ويستفاد من هذا الحديث (ثم بكى فاشتد بكاءه وبكى من حوله) المتواترة جملة من الأمور منها:

١- رجحان شد الرحال والسفر لزيارة قبور أهل البيت ﷺ حيث تكرر سفره لزيارة قبر أمه.

٢- سنة إقامة المآتم والعزاء على أهل البيت ﷺ.

٣- تشعير قبور أهل بيته كمواطن للعبادة والمناجاة ومواطن لإقامة المآتم والحزن والعزاء عليهم، ورجحان البكاء والإبكاء على مصائب أهل بيته، وأن هذه سنة عظيمة قد تكررت منه ﷺ، وقد استقصى العلامة الأميني في كتابه (سنتنا وسيرتنا) سنة النبي ﷺ وسيرته اثني عشر مجلساً أقامها سيد الأنبياء وقام برثاء أبته الحسين سيد الشهداء وذكر لكل مآتم جملة وافرة من المصادر عند العامة.

ثم ان الذي ذكر (زيارة النبي لقبر أمه) صاحب كتاب الاستذكار للقرطبي وشعب الأيمان للبيهقي وعمدة القارئ<sup>(١)</sup>.

وفي فتح الباري لابن حجر ذكر في لفظ: (حتى جلس إلى قبر فناهج طويلاً ثم بكى فبكينا لبكائه فقال إن القبر الذي جلست عنده قبر أُمي)<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية الطبري من هذا الوجه لما قدم مكة أتى رسم قبر (ناقص) عن عطية لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر<sup>(١)</sup> وللطبراني

(١) الاستذكار ج ١: ١٨٧، شعب الإيمان ج ٧: ١٥، عمدة القارئ ج ٨: ٧٠.

(٢) فتح الباري ج ٨: ٣٩٠.

الفصل الرابع: أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين عليه السلام ..... ١٦٩

من طريق عبد الله بن كيسان عن عكرمة عن ابن عباس نحو حديث ابن مسعود وفيه لما هبط ثنية عسفان فهذه طرق يعضد بعضها بعضا، وذكر أنه زار قبر أمه بعد رجوعه من تبوك (٢).

وقال العيني في عمدة القارئ وكان الشارع ﷺ يأتي قبور الشهداء عند رأس الحول فيقول: السلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار، وكان أبو بكر وعمر وعثمان (رض)، يفعلون ذلك وزار الشارع قبر أمه، يوم الفتح في ألف مقنع ذكره ابن أبي الدنيا، وذكره ابن أبي شيبة عن علي وابن مسعود وأنس (رض)، وكانت فاطمة عليها السلام عنها تزور قبر حمزة (رض) كل جمعة، وكان عمر (رض) يزور قبر أبيه فيقف عليه ويدعو له، وكانت عائشة (رض)، تزور قبر أخيها عبد الرحمن وقبره بمكة (٣).

٤ - ويستفاد من هذا الحديث المتواتر أن النبي ﷺ سَنَّ السفر إلى زيارة قبور أهل بيته، وأن ما رووه من أنه لا تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة بأن عموم النفي هذا مخصوصٌ بذلك مع أن النفي كما قد عرفت محمول على الفضيلة عند أكثر علماء أهل السنة.

نعم روى الصدوق في الصحيح عن ياسر الخادم قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام لا تشد الرحال إلى شيء من القبور إلا إلى قبورنا ألا وإني مقتول بالسهم ظلما ومدفون في موضع غربة فمن شد رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغفر له ذنوبه (٤).

وقال النووي في شرح مسلم و الصحيح عند أصحابنا وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون أنه لا يحرم ولا يكره، وقالوا والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة والله أعلم (٥).

(١) جامع البيان ج ١١: ٥٨ في ذيل قوله تعالى (ما كان النبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين)

(٢) مجمع الزوائد ج ١: ١١٧، الدر المنثور ج ٣: ٢٨٣، المعجم الكبير للطبراني ج ١١: ٢٩٦.

(٣) عمدة القارئ ج ٨: ٧٠.

(٤) عيون أخبار الرضا ج ١: ٢٨٥.

(٥) شرح مسلم ج ٩: باب سفر المرأة مع المحرم إلى الحج وغيره.

وهذا مضافاً إلى جملة من الأجوبة السابقة والآية أنه ورد مستفيضاً عن الفريقين أنه من حج ولم يزرنى فقد جفاني بل هناك ألفاظ أخرى للحديث الشريف مفادها كما هو ظاهر توقيت معلوم لأحد مواسم زيارته فهذا المفاد يطل الاستدلال بظاهر حديث لا تشد.

هذا وروايات أهل البيت ﷺ متواترة في كون زيارة وعمارة قبر النبي ﷺ وأهل بيته من معالم وشعائر الدين الكبرى، فقد عقد صاحب الوسائل (٩٦) باباً وأخرج في مجموعها مئات الأحاديث، هذا فضلاً عما أورده صاحب البحار في أبواب المزار، والميرزا النوري في مستدرک الوسائل عن الأصول المروية عن اصحابنا في ذلك وغيرهم من أساطين المحدثين وأبواب احكام المساجد وغيرها من الابواب في كتب الحديث، فالأمر بالغ حد التواتر من الدرجة الكبيرة جداً ومن ثم التواتر قائم في شعائر ومعالم أهل البيت ﷺ، حتى أن الحث ورد منهم على زيارة قبورهم وعمارتها في ظرف الخوف على النفس مما يشير إلى مدى ركنية هذه الشعيرة في الدين، وهي سيرة مأخوذة يداً بيد قائمة عند شيعة أهل البيت ﷺ منذ القرن الأول والثاني للهجري.

**الدليل الرابع:** ما رواه ابن ماجه عن ابن أبي مليكة عن عائشة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رخص في زيارة القبور<sup>(١)</sup>.

والرواية في الأصل كما رواها الغزالي في أحياء العلوم: عن ابن أبي مليكة، قال: (أقبلت عائشة يوماً من المقابر، فقلت: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن فقلت: أليس كان رسول الله نهى عنها؟ قالت: نعم، ثم أمر بها)<sup>(٢)</sup>. وفي هذه الرواية دلالة على أن أذنه ﷺ عام للنساء في مرتكز الرواة واستظهارهم.

(١) سنن ابن ماجه ج:١: باب ما جاء في زيارة القبور.

(٢) أحياء العلوم ج:٤: باب زيارة القبور، السنن الكبرى ج:٤: باب ما يقول اذا دخل المقبرة، نيل الاوطار للشوكاني

ج:٤: الدليل على تحريم اتباع الجنائز.

الفصل الرابع: أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين عليه السلام ..... ١٧١

وروى ابن ماجه عن ابن مسعود أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها. فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة)<sup>(١)</sup>. وكذلك رواه ابن داود في سننه عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة)<sup>(٢)</sup>.

### توقيته ﷺ الحج بزيارة قبره:

**الدليل الخامس:** ومن الأدلة ما روي مستفيضاً في قوله ﷺ: (من حج ولم يزرني فقد جفاني ومن زارني وجبت له شفاعتي)<sup>(٣)</sup>.

وهذا التوقيت وإن لم يكن حصرياً ولكنه أحد مواقيت زيارته بفعل الحج. وفي بعض ألفاظ الحديث (من زارني بعد موتي فكأنما زارني حياً)<sup>(٤)</sup> وروى الهيثمي في مجمع الزوائد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: من زار قبري وجبت له شفاعتي، رواه البزار<sup>(٥)</sup>.

وعن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: (من جاءني زائراً لا يعلم له حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة)<sup>(٦)</sup>. ورواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه حفص بن أبي داود القارئ وثقه أحمد، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي)، رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه عائشة بنت يونس، ثم ذكر باب (وضع الوجه على قبر سيدنا رسول الله ﷺ)<sup>(٧)</sup>.

(١) سنن ابن ماجه ج ٢: باب ما جاء في زيارة قبور المشركين.

(٢) سنن أبي داود ج ٢: باب المحرم يموت كيف يصنع به.

(٣) الدر المنثور ج ١: تفسير سورة البقرة

(٤) كنز العمال ج ٥: زيارة قبر النبي ﷺ من الأكمال.

(٥) مجمع الزوائد: ج ٤، باب زيارة سيدنا رسول الله ﷺ

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق: باب قوله ﷺ لا تجعل قبري وثناً.

١٧٢ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

وروى الهندي في كنز العمال عنه ﷺ: (من حج وقصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان) (١).

وظاهر الحديث تمحض القصد لزيارته وهو يدحض ما ابتدعته الوهابية من حصر قصد السفر إلى المدينة المنورة أنه لا بد أن يكون بقصد مسجده النبوي لا بقصد قبره الشريف ولا بقصد زيارته ﷺ بانين ذلك على ما تخيلوا في استظهاره من حديث (لا تشد الرحال).

ثم أن الحديث الشريف يفيد تكثير الثواب لزيارته ﷺ مضاعفاً على الحج، ولا يتوهم في معناه سد باب الحج وهوانه والعياذ بالله بل هو تأكيد لأهميته وولاية الرسول ﷺ وضرورة ضم زيارته.

## الحج وزيارة قبر النبي وأهل بيته من دون التفريط بكل منهما:

نعم الحث على كل منهما الزيارة والحج وإن الولاية ركنٌ من أركان الدين كالحج والصلاة والصيام والزكاة بل هي أعظم الأركان لكن أعظمية الولاية لا يعني التفريط ببقية الأركان كما هو الحال في الصلاة أنها عمود الدين وهي أهم من الزكاة والحج والصيام لكن لا يعني ذلك التفريط بما دونها، كما أن الحفاظ على الحج والصوم لا يعني أنكار أعظمية الصلاة فضلاً عما هو أعظم من الصلاة وهو الولاية لله وللرسول ولأهل بيته، ومثله ما ورد من الحث الشديد على زيارة قبور أهل البيت لثواب مضاعف وأنه ليس في ذلك تغريز بترك الحج كما يتوهمه السلفية والوهابية، كيف وقد ورد عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: أن الله يدفع بمن يصلي من شيعة عمن لا يصلي من شيعة ولو أجمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وأن الله يدفع بمن يزكي من شيعة عمن لا يزكي ولو أجمعوا على ترك الزكاة لهلكوا، وأن الله يدفع بمن يحج من شيعة عمن لا يحج ولو

(١) كنز العمال ج ٥: باب زيارة قبر النبي ﷺ من الأكمال.

الفصل الرابع: أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين عليه السلام ..... ١٧٣

أجمعوا على ترك الحج لهلكوا وهو قول الله (عز وجل): ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فوالله ما نزلت إلا فيكم ولا عنى بها غيركم<sup>(٢)</sup>.

إلا أن إقامة الحج من قبل المسلمين والمؤمنين واجبٌ كفايً بغض النظر عن الاستطاعة.

بل ورد عنهم (عليهم السلام) إنه يجب على الوالي أن ييذل من بيت المال لإقامة الحج فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو أن الناس تركوا الحج لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده ولو تركوا زيارة النبي ﷺ لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده، فإن لم يكن لهم أموال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عبدالله عليه السلام أيضاً قال: لو عطل الناس الحج لوجب على الإمام أن يجبرهم على الحج إن شأؤوا، وإن أبوا فإن هذا البيت إنما وضع للحج<sup>(٤)</sup>.

كذلك ورد عنهم عليه السلام أن الجوار بالسكنى والإقامة عند بيت الله الحرام والمدينة المنورة وبقية المدن التي فيها قبور أهل البيت عليه السلام هو من الجهاد، فيستفاد من كل ذلك أن اللازم والواجب هو إقامة وعمارة معالم الدين وأركانه أجمع لا بعضها على حساب البعض الآخر ولا الاكتفاء ببعضها دون البعض فقد ورد عن الحسن بن الجهم قال: سألت أبا الحسن عليه السلام أيهما أفضل المقام بمكة أو بالمدينة ؟

فقال: أي شيء تقول أنت ؟.

قال: فقلت: وما قلتي مع قولك ؟!

قال: إن قولك يرد إلى قلتي.

(١) البقرة: ٢٥٢.

(٢) الكافي: ج ٢: ٤٥.

(٣) الكافي ج ٤: ٢٧٢.

(٤) المصدر السابق.

قال: فقلت له: أما أنا فأزعم أن المقام بالمدينة أفضل من الإقامة بمكة، فقال: أما لئن قلت ذلك لقد قال ابو عبدالله (عليه السلام) ذلك يوم فطر وجاء الى رسول الله فسلم عليه، ثم قال: لقد فضلنا الناس اليوم بسلامنا على رسول الله ﷺ (١).

وعن داود ابن أبي صالح قال ( أقبل مروان يوما فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فقال أتدري ما تصنع فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال نعم جئت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم آت حجر . وجاء بلفظ (لم أر الحجر) (٢).

وهو بتمامه في كتاب الخلافة، رواه أحمد وداود ابن أبي صالح قال الذهبي لم يرو عنه غير الوليد ابن الكثير وروى عنه الكثير بن زيد كما في المسند ولم يضعفه أحد.

**أقول:** وفي هذه الأحاديث وغيرها الدالة على الحث على زيارته ﷺ بنحو مستفيض رد على خشية السلفيين الذين استظهروا حرمة شد الرحال لغير المساجد الثلاثة.

وفي تحفة الأحوذى قال واختلف في شد الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى زيارة قبور الصالحين أحياء وأمواتا وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرك لها والصلاة فيها إلى أن قال والصحيح عند إمام الحرمين وغيره من الشافعية أنه لا يحرم وأجابوا عن الحديث بأجوبة منها: (أن المراد الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه المساجد بخلاف غيرها فإنه جائز، وقع في رواية لأحمد بلفظ لا ينبغي للمطي أن تعمل وهو ظاهر في غير التحريم) (٣).

ويدعم هذا الاستظهار ما ورد عن أبي هريرة بألفاظ أخرى نحو (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة) ونحو: (إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد) أخرجه البخاري باللفظ الأول (٤)،

(١) الوسائل ج ١٤: ٣٤٧، الباب ٩، باب استحباب الإقامة بالمدينة وكثرة العبادة فيها.

(٢) مسند أحمد ج ٥: حديث أبي أيوب الانصاري، مجمع الزوائد ج ٤: باب قوله ﷺ لا تجعل قبري وثناً، تاريخ عساكر ج ٥٧ باب مروان بن الحكم.

(٣) صحيح البخاري ج ٢: باب فضل الصلاة في المسجد.

(٤) باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى.

الفصل الرابع: أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين عليه السلام ..... ١٧٥

ومسلم باللفظ الآخر من طريق ثانٍ عنه <sup>(١)</sup>. وأخرجه من الطريق الأول أصحاب السنن وغيرهم <sup>(٢)</sup>.

ورواه البزاز هذا النحويين من ألفاظ الحديث حيث يعزز أن الحديث مسوق إلى بيان أهمية وفضيلة المساجد الثلاثة، وما يعزز هذا الاستظهار أيضاً ما ورد في الأحاديث المستفيضة عند الفريقين من عظم الثواب في المسجد الحرام والمسجد النبوي.

### مسجد الكوفة أعظم من بيت المقدس:

مع إنه ورد في أحاديث أهل البيت أن الصلاة في مسجد الكوفة أعظم ثواباً من الصلاة في بيت المقدس بل في روايات أهل البيت أن الإتمام في السفر لعظم الثواب فيها وهي (الحرم المكي والمدني ومسجد الكوفة والحائر الحسيني في كربلاء) <sup>(٣)</sup>.

وقد تقدم إن قوله ﷺ في حديث الفريقين: (ما بين قبري وبيوتي روضة من رياض الجنة) شاملٌ لبيت علي وفاطمة وذريته، فيوته شامله لقبره وقبور أهل بيته المطهرين ومن ثم ورد عنهم عليه السلام كثرة فضيلة الصلاة عند قبورهم، فهناك فرقٌ في الاستظهار بين ما ذهب إليه جمهور علماء السنة وبين ما ذهب إليه السلفية (الوهابية)، حيث حمل المشهور الحديث (لا تشد الرحال) على النفي للكمال البالغ ولشدة الرجحان، بينما حمل الوهابية الحديث على النهي التحريمي مما يشير إلى أن المسلك الحشوي في استظهار الحديث هو سبب الأزمة في هذا الفهم العاطل حيث يقتصرون في الاستظهار الجُمُود على لفظ الحديث من بعض طرقه دون بقية الطرق ومن دون الالتفات إلى جملة من

---

(١) صحيح مسلم ج٤: باب سفر المرأة مع محرم، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث، أرواء الغليل ج٣ محمد ناصر الالباني باب النهي عن شد الرحال، ج٤ باب تفضيل الصلاة في مسجده أحكام الجنائز باب صيغة سلام عند الدخول / المعجم الصغير للطبراني ج١: باب من أسمه سلمه، والمعجم الاوسط ج٢، ج٤، ج٥ والمعجم الكبير ج٢٢ باب من يكنى أبو نجیح، مجمع الزوائد ج٤، باب قوله ﷺ لا تشد الرحال الا الى ثلاثة.

(٢) مجمع الزوائد ج٤ باب قوله ﷺ لا تشد الرحال الا الى ثلاثة.

(٣) الوسائل الباب ٢٥ من صلاة المسافرين.



١٧٦..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

القرائن في البين وهذا طامة كبرى في منهج الاستظهار في الأدلة وإلا فهذا التعبير مستعمل بكثرة في موارد نظير (لا حلم كالصبر) وغيرها من الموارد المتعددة.

### عمارة قبره ﷺ بقاء للشهادة الثانية:

وهذا مضافاً إلى اعتضاد هذه الأحاديث بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

حيث دلت الآيتان على أن المجئ بحضرة النبي ﷺ حث أكيد منه تعالى على ذلك الموطن لكي يتحقق فيه استجابة التوبة والغفران.

وبعبارة أخرى أن الحث في القرآن الكريم والسنة المتواترة والمستفيضة لزيارته ﷺ يستلزم جعل قبره معلماً ومشعراً كي لا تضيع هذه السنة الإلهية بل كي يبقى ذكره الشريف وذكره اساس الدين وحقيقة الشهادة بالرسالة ومن ثم يعلم أن عمارة قبره الشريف معلّم عظيم لبقاء ذكر الدين في أجيال البشر والعالمين إلى يوم القيامة.

### خمسة قبره ﷺ إمامته لذكره ﷺ:

فالدعوة إلى طمس قبره الشريف هي دعوة إلى طمس الدين والشرعية الخاتمة كما هو غرض اليهود والنصارى، ومن ذلك يظهر النظر والإشكال في استظهارهم طمس قبور الأنبياء والمرسلين السابقين مما روى من قوله ﷺ: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، وفي لفظ آخر (قاتل الله اليهود). فإن عمارة قبور الأنبياء والمرسلين تحليداً لذكراهم وقد أكد القرآن الكريم على ذكرهم وإبقاء

(١) النساء: ٦٤.

(٢) المنافقون: ٥.

الفصل الرابع: أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين عليه السلام ..... ١٧٧

ذكراهم ليكونوا قدوة للبشر ومنايع للنور، فكيف يدعو الدين إلى طمس قبورهم، فلا محالة إلا أن يكون الحديث الشريف بمعنى النكير على ما فعله اليهود والنصارى من تأليه النبي عيسى وعزير، أو إنهم طمسوا قبور الأنبياء واتخذوا الصلاة والسجود عليها مما يؤدي إلى طمس معلميتها وتسويتها مع الأرض.

وروى في البخاري عن محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا أبو بكر بن عياش، عن سفيان الثمار أنه حدثه أنه رأى قبر النبي ﷺ مسماً<sup>(١)</sup>.

روى أحمد في مسنده (حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، قال سمعت سليمان الشيباني، قال سمعت الشعبي، قال أخبرني من مر مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على قبر منبوذ فأمهم وصفوا خلفه فقلت يا أبا عمرو من حدثك قال ابن عباس<sup>(٢)</sup>).

كذلك في صحيح ابن حبان بسنده عن ابن عباس قال أتى رسول الله ﷺ على قبر منبوذ فصلى عليه وصلينا معه<sup>(٣)</sup>.

قال أبو حاتم وفي هذا الخبر بيان واضح أن صلاة المصطفى ﷺ على القبر إنما كان على قبر منبوذ، ومنبوذ ناحية فدللتك هذه اللفظة بأن الصلاة على القبر جائز إذا كان جديداً في ناحية لم تنبش، أو في وسط قبور لم تنبش، وأما القبور التي نبشت وقلب ترابها نجس فلا تجوز الصلاة على النجاسة إلا أن يقوم الإنسان على شيء نظيف ثم يصلي على قبر المنبوش دون المنبوذ الذي لم ينش<sup>(٤)</sup>.

وهذه الروايات تعزز أن المعنى المراد من النهي عن جعل القبور مساجد هو تجنب موطن الصلاة من موارد التلوث والقذارة والتحري عن الأماكن النظيفة للصلاة.

(١) صحيح البخاري ج ٢: باب ما جاء في عذاب القبر.

(٢) مسند أحمد ج ١: مسند عبد الله بن عباس، صحيح البخاري ج ١: باب في الجنائز، المعجم الكبير للطبراني ج ١٢: باب الشجي عن ابن عباس.

(٣) صحيح ابن حبان ج ٧: باب إباحة الصلاة على قبر مدفون.

(٤) صحيح ابن حبان ج ٧: باب إباحة الصلاة على قبر المدفون.

**الدليل السادس:** ما ورد من متفرقات الروايات الدالة على الحياة البرزخية لأهل القبور منها ما رواه مسلم في مسنده عن أبي هريرة عنه ﷺ: (أن امرأة سوداء كانت تقوم في المسجد - أو شاباً - ففقدوها رسولُ الله ﷺ، فسأل عنها - أو عنه - فقالوا مات قال " أفلا كنتم آذنتموني " قال فكانهم صغروا أمرها - أو أمره - فقال دُلوني على قبره فدلوه فصرى عليه أو عليها ثم قال: (إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله (عز وجل) ينورها لهم بصلاتي عليهم)<sup>(١)</sup>.

كما أشار ابن حبان إلى ذلك وعقب على هذه الرواية وقال: (أن بعض المخالفين احتج بهذه الزيادة على أن ذلك من خصائصه ﷺ حيث ينكر هذه الخاصية لرسول الله مع أنها ظاهرة في المطلوب ولها دلالة واضحة على الحياة البرزخية)<sup>(٢)</sup>.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال (أنس ما يكون الميت إذا زاره من كان يحبه في الدار الدنيا)<sup>(٣)</sup>.

وورد في وفاء الوفاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام)<sup>(٤)</sup>.

**ومنها:** أن النبي ﷺ أمر في معركة بدر بأن تلقى أجساد المشركين في بئر (قليب) ثم خاطبهم قائلاً: (فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم. قال فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها، فقال رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. قال قتادة أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توييخا وتصغيراً ونقمة وحسرة وندما)<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح مسلم ج ٣: باب القيام للجنازة، مسند أحمد ج ٢: مسند أبي هريرة.

(٢) فتح الباري ج ٣: باب الميت يسمع خفق النعال.

(٣) السيرة النبوية للشامي ج ١١: ٣٨٢.

(٤) وفاء الوفاء ج ٤: ١٣٥.

(٥) البخاري ج ٥: باب قتل أبي جهل وباب قصة غزوة بدر.

الفصل الرابع: أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته الطاهرين عليه السلام ..... ١٧٩

فهذا التعجب والاعتراض من بعض الصحابة لجهلهم بالحياة البرزخية لأصحاب القبور فرد النبي ﷺ بأنه (ما أنتم بأسمع).

ومفاد هذا الحديث يطابق ما ورد من مخاطبة النبي ﷺ لشعيب عليه السلام لقومه بعد هلاكهم في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ قَتَلُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

كذلك ما ورد على لسان صالح في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ قَتَلُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رَسُولَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الاعراف: ٩١-٩٣.

(٢) الاعراف: ٧٧-٧٩.



الملحق

## هدم القبور الطاهرة

هذا الملحق ليس من أفادات الشيخالأستاذ

وإنما ذكرته زيادة في توضيح الحال



## فتوى هدم القبور الطاهرة:

ذكرت إحدى الجرائد<sup>(١)</sup> الصادرة آنذاك على سؤال نصه هذا :

غادر مكة في شهر رمضان الماضي الشيخ عبدالله بن بليهد، قاضي قضاة الوهابيين في الحجاز، قاصداً المدينة المنورة، وقد تلقت جريدة أم القرى من مكاتبها في المدينة أن الشيخ ابن بليهد أجمع بعلماء المدينة وباحثهم في أمور كثيرة، ثم وجه إليهم السؤال الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، ما قول علماء المدينة المنورة - زادهم الله فهماً وعلماً - في البناء على القبور واتخاذها مساجد، هل هو جائز أم لا ؟

وإذا كان غير جائز، بل ممنوعٌ منهٍ عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا ؟

وإذا كان في البناء مسئلة - كالبقيع - وهو مانع من الأنتفاع بالمقدار المبني عليه، فهل هو غصب يجب رفعه، لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم، أم لا ؟ وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح، من التمسح بها، ودعائها مع الله، والتقرب بالذبح والنذر لها، وإيقاد السرج عليها، هل هو جائز أم لا ؟

وما يفعل عند حجرة النبي ﷺ، من التوجه إليها عند الدعاء وغيره، والطواف بها وتقبيلها والتمسح بها، وكذلك ما يفعل في المسجد الشريف، من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة، هل هو مشروع، أم لا ؟.

(١) هي جريدة أم القرى، العدد ٦٩، بتاريخ ١٧ شوال ١٣٤٤ هـ. أي بعد هدم قبور البقيع بتسعة أيام.



أفتونا مأجورين، ويؤنونا لنا الأدلة المستند إليها، لا زلتم ملجأ للمستفيدين.  
وهذا نصّ الجواب:

أما البناء على القبور، فهو ممنوع إجماعاً ؛ لصحة الأحاديث الواردة في منعه، وبهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه ؛ مستندين على ذلك بحديث علي (رضي الله عنه) عنه أنه قال لأبي الهيثم: ((ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سوتته)) رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

وأما اتخاذ القبور مساجد، والصلاة فيها، فممنوع مطلقاً، وإيقاد السرج عليه ممنوع أيضاً ؛ لحديث ابن عباس: ((لعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج)). رواه أهل السنن.

وأما ما يفعله الجهال عند الضرائح، من التمسح بها، والتقرب إليها الذبائح والنذور، ودعاء أهلها مع الله، فهو حرام، ممنوع شرعاً، لا يجوز فعله أصلاً.

وأما التوجه إلى حجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) عند الدعاء، فالأولى منعه، كما هو معروف من فقرات كتب المذهب ؛ ولأن أفضل الجهات جهة القبلة. وأما الطواف بها والتمسح بها وتقبيلها، فهو ممنوع مطلقاً.

وأما ما يفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة، فهو مُحَدَّث. هذا ما وصل إليه علمنا السقيم.

ويلي ذلك توقيع ١٥ علماً.

وقد علّقت جريدة أم القرى على هذه الفتوى بمقالة افتتاحية قائلة: (إنّ الحكومة ستسير في تنفيذ أحكام الدين رضي الناس أم كرهوا). أنتهى<sup>(٢)</sup>.

وهنا ينقل الشيخ البلاغي مقالة صادرة في بعض الجرائد المصرية حيث يقول: وأطلعت أيضاً على مقالة في بعض الجرائد المصرية<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح مسلم ج ٢: ٦٦٦. ح ٩٣ / ٩٦٩.

(٢) موسوعة العلامة البلاغي ج ٦: ٣١٩.

(٣) هي جريدة المقطم في عددها الصادر ٢٢ شوال سنة ١٣٤٤ هـ.

### وهذا نصّها:

تغلب الوهابيون على الحجاز، فأوفدت حكومة إيران وفداً - على رأسه حضرات أصحاب السعادة: ميرزا غفار خان جلال السلطنة، وزيرها المفوض في مصر، وميرزا حبيب الله خان هويدا عين الملك، قنصلها الجنرال بالشام - إلى الحجاز؛ ليتبينوا وجه الحقيقة فيما أذيع على العالم الإسلامي أجمع من فضائع الوهابيين في البلاد المقدسة، وأتم هذا الوفد الرسمي مهمته، ورفع تقريره إلى حكومته.

ولما تجدد نشر الإشاعات بأن الوهابيين هم هم.

وأن التطور الذي غشي العالم أجمع لم يصلح من فساد تطرفهم شيئاً.

وأنهم هدموا القباب والمزارات المباركة المنبثة في أرجاء ذلك الوادي المقدس. وأنهم ضيقوا الحرية المذهبية الإسلامية، نشرأ لمذهبهم، وتوسيعاً لنطاق نحلتهم، في الوقت الذي تقوم فيه جميع حكومات العالم على رعاية الحريات المذهبية.

أصدرت أمرها بوقف التصريح بالسفر للحجاز، حمايةً لرعاياها، وحفظاً لهم من قصد بلادٍ لم يعرف تماماً كُنه الحكم فيها.

وعادت فأوفدت سعادة ميرزا حبيب الله خان هويدا، قنصلها الجنرال في الشام ثانية، للتحقق من مبلغ صدق تلك الإشاعات، فإذا بها صحيحة في جملتها !

لم تمنع الحكومة الإيرانية رعاياها من السفر إلى الحجاز؛ لأن حكومته وهابية فحسب، ولكن الإيرانيين ألفوا في الحجّ والزيارة شؤوناً يعتقدون أنها من مستلزمات أداء ذلك الركن، ويشاركهم في ذلك جمهور المسلمين من غير الوهابيين، كزيارة مشاهد أهل البيت، والاستمداد من نفحاتهم وزيارة مسجد منسوب للإمام علي (عليه السلام).

وقد قضى الوهابي على تلك الآثار جملةً، وقضى رجاله - وكل فرد منهم حكومة قائمة - على الحرية المذهبية.

ومن قرأ الفاتحة على مشهد من المشاهد جلد.

ومن دخن سيجارة أو نرجيلة، أهين وضرب وزُج في السجن في الوقت الذي تحصل فيه إدارة الجمارك الحجازية رسوماً على واردات البلاد من الدخان والتمباك.

ومن أستنجد بالرسول المجتبي (صلوات الله وسلامه) بقوله: (يا رسول الله) عُدَّ مشركاً. ومن أقسم بالنبي أو بآله، عُدَّ خارجاً عن سياج الملة.

وما حادثة السيد أحمد الشريف السنوسي<sup>(١)</sup> - وهو علم من أعلام المسلمين المجاهدين - ببعيدة، إذ كان وقوفه وقراءته الفاتحة على ضريح السيدة خديجة (رضوان الله عليها) سبباً كافياً في نظر الوهابيين لإخراجه من الحجاز.

كل هذا حاصل في الحجاز لا ينكره أحد، ولا يستطيع الوهابي ولا دعائه ولا جنوده أن يكذبوه.

انتهى ما أردنا نقله من تلك الجريدة<sup>(٢)</sup>.

فكانت بعض الدول تستنكر ما فعلته الحكومة الوهابية، وأن زيارة النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ من المعتقدات الحقّة المسلّمة بين المسلمين وكما تقول الجريدة - ويشاركهم في ذلك جمهور المسلمين من غير الوهابيين كزيارة مشاهد أهل البيت، والأستمداد من نفحاتهم - بينما يرى الوهابية ذلك من الكفر والضلالة وقد أستنكرت ذلك هذه الجريدة التي تصدر من مقربة من جامع الأزهر.

## هدم القبور:

لقد أنهالت معاول الجهل والعصية على العتبات والمراقد المقدسة في المدينة المنورة والتي كان يؤمها المسلمون ليروا من خلالها معالم تأريخهم وآثار سلفهم الصالح... وليؤدوا أمامهم مراسيم التحية والإجلال لرسول الإسلام العظيم النبي محمد وآل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

(١) هو السيد أحمد الشريف بن محمد بن محمد بن علي السنوسي (١٢٨٤-١٣٥١هـ) ولد وتفقّه في (الجفوب) من أعمال ليبيا، قاتل الإيطاليين في حربهم مع الدولة العثمانية سنة ١٣٣٩هـ دُعي إلى اسلامبول بعد عقد الصلح بين إيطاليا والعثمانيين، ثم رحل منها إلى الحجاز، كان من أنبل الناس جلالة قدر وسراوة حال ورجاحة عقل، وكان على علم غزير، وقد صَنَّف في أوقات فراغه كتباً عديدة. أنظر الأعلام للزركلي ١: ١٣٥.

(٢) موسوعة العلامة اليلافي ج: ٦: ٣١٩.

وبمبررات واهية ودعاوي زائفة، قام الجهلة المتعصبون بهدم الأضرحة المباركة والبيوت المشرفة، التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ضمن مقبرة البقيع وسائر أنحاء المدينة والحجاز بشكل عام.

ولقد فوجيء المسلمون في العالم بذلك الاعتداء الأثيم الذي أستهدف تاريخهم ومقدساتهم وتراثهم من قبل فئة محدودة لا يصح لها أبداً مهما كانت مبرراتها أن تفرض رأيها في قضية وموضوع يرتبط بكل المسلمين.

ولكن أولئك القائمين بجريمة هدم المقدسات استبدوا برأيهم، وخالفوا إجماع الأمة، وجرحوا مشاعرهم، ورفضوا أي دعوة للحوار والنقاش حول الموضوع، كما لم يبالوا بصرخات الاعتراض والغضب التي عمت أجواء المسلمين<sup>(١)</sup>.

فأول ما بدئوا بمدينة رسول الله ﷺ ثم باقي أرض الحجاز حتى أمتدت أيديهم إلى خارجها، ومن هنا سوف نبدأ بعرض ما فعلوه في المدينة المنورة، ثم مكة المكرمة ثم باقي البقاع.

#### أ. المدينة المنورة:

##### ١- قبر النبي ﷺ:

كانت هناك مجموعة من المجوهرات الثمينة على قبر النبي ﷺ، وهذه المجوهرات كانت تهدى إلى قبر النبي منذ وفاته وإلى يوم الثامن من شهر شوال سنة ١٣٤٤ هـ.

فقد ذكر السهودي تحت عنوان حكم معاليق المسجد النبوي) قال:

((أما حكم هذه المعاليق ونحوها من تحلية الصندوق المتقدم ذكره - وهو الصندوق الذي في الحجرة الشريفة - والقائم الذي بأعلاه فحكم معاليق الكعبة الشريفة وتحليتها، وقد تكلم السبكي في حكم قناديل الكعبة وحليتها والقناديل التي حول الحجرة الشريفة، وألف في ذلك كتاباً سماه (تنزل السكينة على قناديل المدينة...))<sup>(٢)</sup>.

(١) يوم البقيع للأميني: ٦.

(٢) وفاء الوفاء ج ٢: ١٤٥.

وقد ذكر السهمودي ما شاهده من القناديل الذهبية والفضية التي لا يمكن أحصاء ثمنها.

ثم ينقل عن السبكي حكمها فيقول: ((وأما القناديل التي فيها والصفائح التي عليها فلا يصرف منها شيء، بل تبقى على حالها، وقول عمر (لقد هممت أن لا أدع فيها صُفراً ولا بيضاء) محتمل للنوعين أي الذهب والفضة...))<sup>(١)</sup>.

ثم قال: وقد سئلت عن جواز بيعها لعمارة المسجد النبوي، فأنكرته وأستقبحته، وكيف يبلغ ملوك الأرض أنا بعنا قناديل نبينا لعمارة حرمه ونحن نفديه بأنفسنا فضلاً عن أموالنا؟ وما برحت الملوك يفتخرون بعمارته.

#### ماذا يقول بورخارت:

كان جون لويس بورخارت الرحالة السويسري حج إلى مكة بعدما أعلن أسلامه، وقد زار المدينة المنورة وبعد أن يصف بورخارت سائر أجزاء الحرم والضريح المطهر، وما يوجد حوله من القبور الأخرى يقول: إن نفائس الحجاز كانت تحفظ في السابق حول هذه القبور إما معلقة بجبال من حرير يمتد في داخل المبنى، أو مودعة في صناديق خاصة موضوعة على الأرض.

ثم يتطرق إلى ذكر حصار الوهابيين للمدينة، وإلى أن يقول: أن شيئاً كثيراً من هذه النفائس، ولا سيما الأوعية الذهب منها، أستولى عليها رؤساء البلدة بحجة توزيعها على الفقراء لكنهم تقاسموها فيما بينهم بعد ذلك. وحينما دخل الأمير سعود الوهابي إلى المدينة وأستولى عليها دخل الحجرة النبوية نفسها ووصل إلى ما وراء الستائر فوضع يده على جميع النفائس التي وجدها هناك. وقد باع قسماً منها إلى شريف مكة وحمل الباقي إلى الدرعية معه. ومن الأعلاق النفيسة التي أخذها، وهي أغلى من أي شيء آخر، النجمة البراقة المتلألئة بالماس واللؤلؤ التي كانت معلقة فوق القبر المقدس مباشرة، وقد كانت تسمى (الكوكب الدرّي) وقد كانت تودع في هذا المكان جميع أنواع الأوعية والأواني الثمينة المطعمة بالجواهر، والأقراط، والأساور، والقلائد، وسائر النفائس التي

كانت تهدى من جميع أنحاء الأمبراطورية العثمانية ويأتي بها الحجاج في أثناء زيارتهم للمدينة، ولا شك أن ذلك كله كان يؤلف مجموعة ذات قيمة غير يسيرة، لكنها لا تكاد تقدر بثمن<sup>(١)</sup>.

ولا يعتقد بورخارت بأن الزينة التي وجدها في جهة الروضة وحول الضريح المطهر تناسب المقام المقدس. ولذلك يرى بأن أي كنيسة من الكنائس الكاثوليكية في أوربا تبدو أفخم وأجمل عند المقارنة، وإن المسلمين غير ميالين إلى التضحية بأموالهم في هذا الشأن مثل ما يفعله الكاثوليك، وحتى البروتستانت من النصارى<sup>(٢)</sup>.

ولم يكتفوا بذلك بل دخلوا الوهاية مدينة كربلاء مغتتمين فرصة غياب جل الأهلين في النجف لزيارة الغدير ثم دخلها جيش الوهاية يوم ١٨ ذي الحجة عنوة وأعمل في أهلها السيف فقتل منهم ما بين أربعة آلاف إلى خمسة آلاف وقتل الشيوخ والأطفال والنساء ولم ينج منهم إلا من تمكن من الهرب أو أختبأ في مخبأ ونهب البلد ونهب الحضرة الشريفة وأخذ جميع ما فيها من فرش وقناديل وغيرها وهدم القبر الشريف وأقتلع الشباك الذي عليه وربط خيله في الصحن المطهر ودق القهوة وعملها في الحضرة الشريفة ونهب من ذخائر المشهد الحسيني الشيء الكثير ثم كر راجعاً إلى بلاده<sup>(٣)</sup>.

### مقبرة البقيع:

روي ابن سعد والحاكم النيسابوري بأسناده عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يرتاد لأصحابه مقبرة يدفنون فيها<sup>(٤)</sup>، فكان قد جاء نواحي المدينة وأطرافها، قال: ثم قال: (أمرت بهذا الموضع). وكان يقال بقيع الخبضة، وكان أكثر نباته الغرق،... فكان أول من قبر هناك عثمان ابن مظعون، فوضع رسول الله ﷺ حجراً عند

(١) موسوعة العتبات المقدسة ج ٣: ٢٤٧ .

(٢) المصدر السابق: ٢٥٠.

(٣) آل أبي طالب ج ٤: ٢٩٩.

(٤) الشرح الكبير ج ٢: ٣٨٩، المستدرک على الصحيحين ج ٣: ١٨٩.

١٩٠..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

رأسه وقال: (هذا قبر فرطنا) وكان إذا مات المهاجر بعده، قيل يا رسول الله، أين ندفنه ؟ فيقول: (عند فرطنا عثمان بن مظعون)<sup>(١)</sup>.

وروي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون، ثم أتبعه إبراهيم أبن رسول الله ﷺ)<sup>(٢)</sup>.

### النبي ﷺ يستغفر لأهل البقيع:

روي في صحيح مسلم والنسائي عن عائشة قالت: لما كان ليلتي التي رسول الله ﷺ فيها عندي أنفلت فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجله وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أنني قد رقدت، فأخذ أزاره رويداً، وأنتعل رويداً، وفتح الباب، فخرج ثم أجافه رويداً، وجعلت درعي في رأسي، وأختمت، وتقننت إزارتي، ثم أنطلقت على أثره حتى جاء البقيع فأقام، فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فأنحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت، فسبقت فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل فقال: مالك يا عائش حشياً رايبة قلت يا رسول الله بأي أنت وأمي، فأخبرته، قال: فأنت السواد الذي رأيت أمامي ؟ قلت: نعم، فلهزني في صدري لهزة أوجعني، ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قلت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، قال: نعم، قال: فإن جبريل (عليه السلام) أتاني حين رأيت فناداني فأخفاء منك فأخفيته منك... فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قال: قلت كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال: قلوا السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين<sup>(٣)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى ج ٣: ٣٩٧. المستدرک علی الصحیحین ج ٣: ١٩٠، سير أعلام النبلاء ج ١: ١٥٥، تاريخ الطبري ج ٢: ١٧٧.

(٢) معجم البلدان ج ٤: ٤٧١.

(٣) وفاء الوفاء، ج ٣: ٧٧.

وغير ذلك من الأحاديث المروية من الفريقين. وقد ذكر السمهودي مواقع القبور والقبب وهذا مما يعني أن القبب والقبور كانت عامرة ومشيدة في زمانه حيث كانت سنة وفاته في (٩١١هـ) وذكر الحافظ الذهبي في ترجمة العباس عم النبي: ((ودفن بالبقيع وعلى قبره اليوم قبة عظيمة من بناء خلفاء آل العباس))<sup>(١)</sup>.

روى صفوان الجمال عن الصادق عليه السلام: ((كان رسول الله ﷺ يخرج في ملأ من الناس من أصحابه كل عشية خميس إلى بقيع المدنيين))<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن حجر عن محمد بن هيصم عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ أشرف على وسط البقيع، فصلى فيه<sup>(٣)</sup>.

### وأخيراً فعلوها:

وبعد كل هذه الأحاديث النبوية قامت هذه الفئة الضالة بهدم هذه البقاع الطاهرة والتي كانت عامرة ومشيدة بالقباب العالية، يقول الرحالة ريتشارد بورتون: ((وقبل أن نترك البقيع وقفنا وقفتنا الحادية عشرة عند القبة العباسية أو قبة العباس عم النبي، وهي أكبر وأجمل جميع القبب الأخرى...))

وتوجد في القسم الشرقي قبور الحسن بن علي سبط النبي، والإمام زين العابدين بن الحسين، وأبنة محمد الباقر، ثم أبنة الإمام جعفر الصادق، وهؤلاء جميعاً من نسل النبي وقد دفنوا في نفس المرقد الذي دفن فيه العباس))<sup>(٤)</sup>.

ويصف ابن بطوطة قبة الإمام الحسن عليه السلام فيقول: ((هي قبة ذاهبة في الهواء بديعة الأحكام))<sup>(٥)</sup>.

١ ( سير أعلام النبلاء، الترجمة ١١، العباس عم النبي ﷺ ، ٩٧ / ٢ .

٢ ( كامل الزيارات: ٥٣٩، مستند الشيعة ج ٣: ٣٢٠ .

٣ ( الإصابة ٧: ٣٦٧ .

٤ ( دائرة المعارف الإسلامية، ج ٨: ٢٧٣ .

٥ ( رحلة ابن بطوطة .



ويقول رتر عند زيارته المدينة سنة (١٩٢٥) أي بعد أن أحتل الوهايون المدينة:  
... وحينما دخلت إلى البقيع وجدت منظره كأنه منظر بلد قد خُربت عن آخرها. فلم  
يكن في أنحاء المقبرة كلها ما يمكن أن يرى أو يشاهد، سوى أحجار مبعثرة وأكوام صغيرة  
من التراب لا حدود لها.  
ثم يقول: فقد هدمت واختفت عن الأنظار القباب البيضاء التي كانت تدل على قبور  
آل البيت النبوي في السابق...<sup>(١)</sup>.

### مشاهد مشاهير البقيع:

ونذكر الآن القبور التي هدمتها هذه الشرذمة:

١- قبر الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢- قبر الإمام علي ابن الحسين عليه السلام.

٣- قبر الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين عليه السلام.

٤- قبر الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر عليه السلام.

٥- عباس عم رسول الله ﷺ.

وكانوا كلهم في قبة واحدة والتي كانت من اكبر القباب في البقيع.

ويقول السمهودي: وعليهم قبة شاحخة في الهواء.

وقال ابن النجار: وهي كبيرة عالية قديمة البناء وعليها بابان يفتح احدهما كل يوم<sup>(٢)</sup>.

٦- فاطمة بنت أسد الهاشمية.

وهي أم الإمام علي عليه السلام. ومربية رسول الله ﷺ.

عن جابر بن عبد الله قال:

بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ آتاه آت وقال: يا رسول الله، أن أم علي وجعفر  
وعقيل قد مات فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلى أمي، فقمنا وكان على رؤوس من معه

(١) موسوعة العتبات المقدسة ج ٣: ٣٢٩.

(٢) وفاء الوفاء ج ٣: ١٠٠.

الطير، فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه فقال: إذا غسلتموها فأشعروها إياه تحت أكفانها، فلما خرجوا بها جعل رسول الله ﷺ مرة يحمل، ومرة يتقدم، ومرة يتأخر حتى انتهينا إلى القبر فتمعك في اللحد ثم خرج فقال: أدخلوها باسم الله وعلى اسم الله، فلما أن دفنوها قام قائما فقال: جزاك الله من أم وريبة خيراً، فنعن الأم ونعن الريبة كنت لي، قال: فقلنا له أو قيل له، يا رسول الله ﷺ لقد صنعت شيئين ما رأيك صنعت مثلهما قط، قال: ما هما ؟.

قلنا: نزعك قميصك وتمعك في اللحد، قال ﷺ: أما قميصي لا أريد أن تمسها النار أبداً إنشاء الله تعالى، وأما تمعكي في اللحد فأردت أن يوسع الله عليها في قبرها<sup>(١)</sup>.  
ليت رسول الله ﷺ حاضر اليوم ليرى حال قبر أمه وربيته (عليها السلام)، فقد هتكوا حرمة رجال مروان ابن الحكم اليوم. وضيعوا علامته على محبيها ومحبي ولدها علي عليه السلام.

٧- بنات رسول الله ﷺ، أو ربائبه.

أ- زينب

ب- رقية

ج- أم كلثوم

٨- زوجات رسول الله ﷺ. وهن:

- أم سلمة.

- حفصة.

- ريحانة بنت زيد.

- زينب بنت جحش.

- زينب بنت خزيمة.

- صفية بنت حيي.

- عائشة بنت أبي بكر.
- مارية القبطية.
- ٩ - عمات رسول الله ﷺ.
- صفية بنت عبد المطلب.
- عاتكة بنت عبد المطلب.
- ١٠ - عقيل بن أبي طالب.
- ١١ - عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.
- ١٢ - أم البنين:
- وهي فاطمة الكلابية، زوجة الإمام علي (عليه السلام)، وأم العباس بن علي (عليه السلام).
- ١٣ - إبراهيم ابن رسول الله ﷺ.
- مات وهو صغير، وحزن عليه رسول الله ﷺ. كثيراً وهو ثاني من دفن في البقيع بعد عثمان بن مظعون وأمه مارية القبطية.
- يقول السمهودي: مشهد سيدنا إبراهيم بن سيدنا رسول الله ﷺ. وقبره على نعت قبر الحسن والعباس (عليهما السلام)، وهو ملصق إلى جدار المشهد القبلي، وفي هذا الجدار شباك<sup>(١)</sup>.
- وهذا يعني أن قبر سيدنا إبراهيم بن رسول الله ﷺ كان يشبه قبور أئمة البقيع ﷺ من ناحية القبة والبناء حيث يقول: (على نعت قبر الحسن والعباس) بل هناك شباك كما يقول وهذا يدل على أن قبورهم كانت مشيدة.
- ١٤ - حليلة السعدية - وهي مرضعة رسول الله ﷺ.
- ١٥ - أبو سعيد الخدري
- ١٦ - محمد بن الحنفية ابن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).
- ١٧ - عثمان بن مظعون:

وعن شيخ من بني مخزوم يدعى عمر قال: كان عثمان بن مظعون أول من مات من المهاجرين، فقالوا: يا رسول الله أين تدفنه؟ قال ﷺ: تدفنه بالبقيع. قال: فلحد له رسول الله ﷺ وفضل حجر من حجارة لحدّه، فحمله رسول الله ﷺ فوضعه عند رجله، فلما ولي مروان بن الحكم المدينة مر على ذلك الحجر فأمر به فرمى به، وقال: والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به، فأنته بني أمية فقالوا: بئس ما صنعت، عمدت إلى حجر وضعه النيس ﷺ فرميت به، بئس ما عملت، فمر به فليرد، فقال: أما والله إذ رميت به فلا يرد<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى عن ابن شهاب وغيره أن عثمان (بن عفان) منع من البقيع، فدفن في حش كوكب، وكان عثمان بن مظعون أول من دفن بالبقيع، فجعل رسول الله ﷺ أسفل مهراس علامة على قبره ليدفن الناس حوله، وقال: لأجعلنك للمتقين إماماً، فلما استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة في ملكه ادخل الحش في البقيع، وحمل المهراس وجعله على قبر عثمان، وقال: عثمان وعثمان...<sup>(٢)</sup>.

من هنا حصل الخلط بين القبرين وإلى الآن هذه الشبهة موجودة، وعلى ضوء هذا - وهذا هو المعروف - إن القبر الذي ينسب اليوم إلى عثمان بن عفان هو في الحقيقة قبر عثمان بن مظعون (رضي الله عنه).

#### ١٨ - شهداء الحرة:

استشهد هؤلاء في سنة (٦٣ هـ) في معركة الحرة بأمر من يزيد بن معاوية وعلى يد مسلم بن عقبة، عندما هجم على مدينة رسول الله ﷺ، وقتل حوالي سبعة آلاف نفر من أهل المدينة وكلهم من المهاجرين والأنصار والسادات وشيعة رسول الله ﷺ. وانتهك حرمة النساء، وأحرق الحرث والنسل، ومكان قبورهم في بقعة خاصة من شهداء أحد وسط المقبرة.

١٩٦..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

١٩ - سعد بن معاذ الاشهلي (رضي الله عنه).

وقد صلى عليه ودفنه رسول الإنسانية محمد ﷺ.

٢٠ - مالك بن انس الاصبحي: (تلميذ الإمام الصادق ﷺ وإمام المالكية) عليه قبة صغيرة وإلى جانبه في المشرق والشام قبة لطيفة أيضاً... ويقال إن بها نافعاً مولى ابن عمر<sup>(١)</sup>.

٢١- عبدالله بن مسعود.

٢٢- أسعد بن زرارة: أول من دفن في البقيع من الأنصار.

٢٣- مالك بن نويرة.

٢٤- جابر بن عبدالله الأنصاري.

٢٥- زيد بن أرقم.

وغير ذلك من الصحابة الأجلاء لرسول الله ﷺ ك (حسان بن ثابت، وزيد بن ثابت، وزيد بن حارثة).

وكذلك دفن في البقيع أكثر أولاد الإئمة المعصومين ﷺ كأبناء الإمام الباقر ﷺ وسكينة وفاطمة (بنتا الإمام الحسين ﷺ) وأبناء الإمام السجاد ﷺ وكذلك شهربانو أم الإمام السجاد وغيرهم.

### إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق ﷺ:

توفي سنة ١٣٣ هـ في حياة أبيه الإمام الصادق ﷺ بعشرين سنة.

قال السيد الأمين: قبره الآن خارج البقيع، بينهما الطريق: بجانب سور المدينة المنورة، ولعله كان داخلًا فيه قبل جعل هذا الطريق، وهو مشيد عليه قبة عظيمة هدمها الوهابيون في هذا العصر<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق: ٩٩.

(٢) أعيان الشيعة: ج ٣: ٣١٦.

ويقول السهمودي: مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام)، وهو كبير يقابل مشهد العباس في المغرب، وهو ركن سور المدينة اليوم من القبلة والمشرق، بني قبل السور فأتصل السور به، فصار باباً من داخل المدينة، قال المطري: بناء بعض العبيديين من ملوك مصر<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ المدني: وكان يقع (قبر إسماعيل) في الوسط بين الحرم النبوي والبقيع. وأنا شاهدت هذا القبر قبل طمسه وهدمه<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال هذا يتضح أن قبر إسماعيل ابن الإمام الصادق (عليه السلام) كان مشيد وعليه قبة ويزار، ولكن يد الضلال نبشت القبر سنة (١٤٢٧هـ) خلال التوسعة الأخيرة للمسجد النبوي، وهناك جماعة من المؤمنين شاهدوا نقل جثمانه الطاهر إلى البقيع وكان الجسد الشريف طري ولم يلى، ودفنوه شرق شهداء الحرة، ولكن الوهاية أزالوا العلامة والأثر، كما هو دأبهم. واليوم موجود في مكان القبر القديم صندوق (كشك) أو صندوقين يباع فيها المصحف الشريف.

### علي ابن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) :

وهو ابن الإمام الصادق (عليه السلام) ويلقب بالعريضي نسبة إلى العريض وهي قرية تقع على بعد أربعة أميال من المدينة، مات أبوه وهو طفل، وأخذ العلم عن أخيه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام).

((كان علي بن جعفر (عليه السلام) سيداً جليل القدر، عظيم الشأن، شديد الورع، عالماً كبيراً، راوية للحديث، كثير الفضل، أدرك الإمام الجواد (عليه السلام) بل يقول صاحب (عمدة الطالب): أدرك الهادي (عليه السلام) وتوفي في أيامه، لزم موسى أخاه (عليه السلام) وأخذ عنه معالم الدين ومن بركاته. (مسائل علي بن جعفر) الذي بين أيدينا، ونقلها العلامة المجلسي (عليه الرحمة) في

(١) وفاء الوفاء ج ٣، ١٠٣.

(٢) التاريخ الأمين: ٣٤٢.

المجلد الرابع من (البحار). وأجمالاً فجلالة شأن هذا الرجل الكبير أعظم من أن يتسع لها المقام وقد أثنى عليه علماء الرجال ثناءً بليغاً.

وذكر الشيخ الكشي أنه لما عزم الطيب على فصد الإمام محمد الجواد عليه وأقرب بالمبضع منه تقدم علي بن جعفر فقال للطيب: ابدأ بفصدي كي لا تؤلمه حدة المبضع ولما نهض الجواد عليه ليخرج قدم له علي بن جعفر نعليه فوضعهما أمام قدميه في حين انه كان شيخاً محترماً وكان الجواد عليه ما يزال حدثاً.

ويروي الشيخ الكليني عن محمد بن الحسن بن عمار انه قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد (عليهما السلام) جالساً وكنت أقمت عنده عشر سنين أكتب عنه وما سمع من أخيه (يعني أبا الحسن) إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه المسجد مسجد رسول الله ﷺ فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبل يديه وعظمه.

فقال له أبو جعفر عليه: يا عم اجلس رحمك الله فقال: يا سيدي كيف أجلس وأنت قائم؟ فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون: أنت عم أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟! فقال: اسكتوا إذا كان الله ﷻ - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه الشبهة وأهل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه أنكر فضله؟ نعوذ بالله مما تقولون بل أنا له عبد ((<sup>(١)</sup>).

قال النمازي: من أصحاب أبيه وأخيه الكاظم والرضا والجواد والهادي (صلوات الله عليهم)، جليل القدر عظيم الشأن ثقة بالاتفاق. له كتاب المناسك والمسائل، وكتاب المسائل معروف مشهور روي عنه في الوسائل والبحار وغيرهما.

وبالجملة سكن العريض فنسب ولده إليها. ونقل المامقاني قصته مع مولانا الجواد عليه الدالة على حسنه وكماله وجلالته، وعمره أزيد من مائة وعشرين سنة<sup>(٢)</sup>.

(١) منتهى الآمال ج ٢: ٢١٤.

(٢) مستدركات علم الرجال ج ٥: ٣١٩. رقم ٩٧٧٠.

وعن علي بن محمد عن موسى بن جعفر بن وهب. عن علي بن جعفر قال: كنت حاضراً أبا الحسن (عليه السلام) لما توفي ابنه محمد فقال للحسن: يا بني أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً<sup>(١)</sup>.

وهذا ما يدل على أنه أدرك الإمام علي الهادي (عليه السلام):

وان قصته مع الإمام الجواد (عليه السلام) يدل على عظمة إيمانه، وتقواه، وكذلك يدل على أن أمر الإمامة أمر وحياني وأمر الهي وسماوي، وليست قضية الإمامة هي أمر تشهي أو تزعم أو ترأس أو انتخاب، فلو كان هكذا لنزع في الأمر كما نزع هابيل قابيل، أو جعفر بن الإمام علي الهادي (عليه السلام).

فموقفه هذا - أي علي ابن جعفر - في ذروة الإيمان ويمثل مدرسة تربوية على الإيمان في تاريخ مذهب التشيع ومذهب أهل البيت (عليهم السلام) وهو يشابه موقف أبي الفضل العباس (عليه السلام) مع أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) في التبعية والطاعة.

والمهم إن علي بن جعفر (عليه السلام) توفي في منطقة العريض وهي قرية على بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة<sup>(٢)</sup> ومات بها، وعليه بها قبة عظيمة (عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام)<sup>(٣)</sup>.

قال المحدث النوري: الحق أن قبره بالعريض، كما هو معروف عند أهل المدينة، وقد نزلنا فيه في بعض أسفارنا، وعليه قبة عالية<sup>(٤)</sup>.

كان قبره سابقاً يزار من بعض المؤمنين وكان في مسجد قديم، وكان مدفون معه ابنه أو حفيده، وفي سنة (١٤٢٣ هـ) امتدت اليد العدوانية بهدم المسجد وقبره الطاهر، بل نبشوا القبر الشريف ونقلوا الجثمان الطاهر إلى البقيع ودفن بالقرب من الجدار المطل على قبور الأئمة الأطهار وذلك حسب ما نقل أحد أئمة أهل المدينة.

(١) الكافي ج١: ٣٢٦.

(٢) إن الآتي من مطار المدينة المنورة باتجاه الحرم على يمين الطريق يشاهد منطقة العريض.

(٣) هامش تهذيب التهذيب ج٧: ٢٥٨.

(٤) مستدرک الوسائل ج٣: ٦٢٦.



٢٠٠..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

وكان احد المؤمنين القاطنين في المدينة المنورة من ضمن طاقم العمل وذكر إن الجسد الشريف لم يلى وذكر أن اليوم الذي نقل فيه الجسد الشريف إلى البقيع، كأنما هو يوم من حياة الإمام الصادق عليه حيث جدد التشيع مجدداً.

## أمنة بنت وهب:

توفيت أمنة بنت وهب (رضي الله عنها) في الأبواء<sup>(١)</sup> بين مكة والمدينة عند عودتها الى مكة ومعها ولدها رسول الله ﷺ وعمره الشريف ست سنين، وكانت قاصدة المدينة لتقدم بولدها على أخواله بني النجار، وقيل لتزور قبر زوجها عبد الله ومعها ولدها رسول الله ﷺ وأم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ.

وروي أن قريباً لما خرجت في غزوة احد فزلوا الأبواء، قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان ابن حرب: لو نجّم قبر أمنة أم محمد فانه بالأبواء<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى، أضافت هند، فان أسر ﷺ منكم احد فديتم كل إنسان بأرب من أرابها، أي جزء من أجزاءها<sup>(٣)</sup>.

فما هو الفرق بين الأمس واليوم، فقد نبش أتباع هند قبور أولاد الإئمة عليه وأولاد رسول الله ﷺ، بل وهدموا اليوم قبر أمنة أم محمد ﷺ كي تفرح أمهم هند وتكمل المؤامرة.

والمهم أن الأبواء كانت مدينة أئمة أهل البيت عليه، حيث ولد فيها الإمام موسى بن جعفر عليه وكان للإمام الصادق عليه بستان، وكانت مضيف لائمة أهل البيت عليه، بل

(١) الأبواء: سميت الأبواء لتبوء السيول بها، وقيل الأبواء جبل على يمين آرة، ويمين الطريق الى مكة من المدينة، وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل. قال السكري: الأبواء جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غير الحزم والبشام وهو خزاعة وضمرة. معجم البلدان ج١: ٧٩.

(٢) الفايق في غريب الحديث للزنجشري ج١: ١٧٧.

(٣) السيرة الحلبية ج٢: ٢١٨.

حتى جملة من الفقهاء ورواة الإثمة كانت لديهم مأوى ومسكن، والبعض منهم توفي ودفن فيها.

وتقع الابواء بين جدة في الخط السريع إلى المدينة المنورة، وتوجد فيها سلسلة جبال متوسطة الارتفاع تحيط بها، وفوق احد هذه الجبال - وهو جبل ترابي وليس صخري - يقع قبر السيدة أمنة بنت وهب (رضي الله عنها). ومجموعة من الفقهاء والرواة.

فقد حاولوا نسف القبر، فهيثوا أبناء هند جرافة كبيرة وأخفوا كل القبور الموجودة هناك. وقد تشرف عدة من طلبة العلوم الدينية بزيارتها في يوم ما بين الطلوعين حيث كانت هيئة الامر بالمنكر والنهي عن المعروف نائمة مع الشياطين.

وقد كان احد التجار وهو من اهل السنه يقيم احتفالا سنويا بمناسبة مولد النبي ﷺ عند قبرها (رضي الله عنها).

فقد جاء انه ﷺ لما مر بالابواء في عمرة الحديبية قال: ان الله أذن لمحمد ﷺ في زيارة قبر أمه، فأتاه وأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه ﷺ<sup>(١)</sup>.

فان النبي ﷺ زار قبر أمه آمنة بل وأصلحه ونحن: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. نتبع رسول الله ﷺ في أفعاله وأقواله، وأكد أن النبي ﷺ يفرح بزيارة أمه وأهل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) كيف لا نزورها ونقدسها وهي التي أنجبت أطهر وأعظم رجل في العالم كله من آدم الى يوم القيامة، كيف لا نزورها وهي أم من يقول الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، كيف لا وهو أبو الزهراء (عليها السلام)، كيف لا نزورها وهي أم أخ علي إمام المتقين (عليه السلام)، فهل من المعقول ان امرأة أنجبت هكذا رجل يحرف قبرها ويخفي لانها أم لرسول الله ﷺ، فما هو الفرق اذن بين هند آكلة الأكباد وهؤلاء. فاذا كانوا يدينون بالشهادتين، فكذلك هند ومعاوية، وكذلك ابن ملجم، وكذلك الحجاج، وغيرهم أكثر مما تعد، فكلهم يشهدون بالشهادتين؟! فإننا لله وإنا إليه راجعون.

## عبد الله بن عبد المطلب:

يعد ضريح عبد الله بن عبد المطلب - والد الرسول الاعظم ﷺ - من الاثار المهمة والمعروفة في المدينة المنورة، التي تقع خارج البقيع حتى عام (١٩٧٦ م)، فتمت ازالته عند توسيع المسجد النبوي.

ويقع وفق ما جاء في بعض الكتب، في سوق (الطوال) في امتداد باب السلام، وكان الشارع الذي عليه المشهد بشارع (العينية) فهو قريب من مسجد الغمامة، والمسافة بينهما (١٠٠ م) تقريبا في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد <sup>(١)</sup>.

حيث روي ان عبد المطلب بعث ابنه عبد الله في ميرة الى الشام، وعند رجوعه ووصوله الى المدينة ساءت صحته، فخلفه رفاقه وانطلقوا الى مكة، ومات في مرضه ذاك، ودفن جسده الطاهر في دار النابغة الجعدي <sup>(٢)</sup>، وهو من بني النجار أخوال النبي ﷺ.

إن طمس آثار أباء النبي ﷺ هو طمس لذكره ﷺ وبالتالي هو طمس لآثار النبوة. وقد ورد في الروايات ان رسول الله ﷺ ذهب في احدى الليالي الى قبر أبيه وصلّى عنده ركعتين لله، وراح يناديه، فإذا بالقبر ينشق فجأة، وعبدالله جالس فيه يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك نبي الله ورسوله).

فسأله من وليك يا أبة ؟ فأجابه متسائلاً: ومن وليك يا بني ؟ قال: إنه لعليّ وليك، قال: أشهد أن علياً وليّ ؛ ثمّ إنه لما عاد إلى بستانه، دنا من قبر أمه، وفعل نحو ما فعل عند قبر أبيه.

يقول العلامة المجلسي (رضوان الله عليه): يظهر من هذه الرواية أنهما كليهما آمنا بالشهادتين، وأن إرجاعهما كان لكي يكمل إيمانهما بالإقرار بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام <sup>(٣)</sup>.

(١) معالم المدينة المنورة: ١٢.

(٢) منتهى الآمال ج١: ٢٢.

(٣) المصدر السابق.

## حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ.

سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، عم الرسول الاكرم ﷺ، استشهد في وقعة احد، واستشهد ومعه سبعون مسلماً، وكان ذلك اليوم يوم تمحيص، اغتاله وحشي بحرية بتحريض من هند لعنها الله، ولما استشهد مثلت به هند بنت عتبة ام معاوية وجدة يزيد (لعنه الله)، فأستخرجت كبده وأكلت منه. وقطعت أذنيه وجعلتهما قلادة في عنقها، وقطعت يديه ورجليه ومذاكيره، ويروى انها اعطت وحشياً عهداً لئن قتل محمداً ﷺ أو علياً عليه السلام أو حمزة عليه السلام لتعطيه رضاه<sup>(١)</sup>.

وقد وقف النبي ﷺ على جسد عمه الحمزة وقال: لن اصاب بمثلك أبداً، ما وقفت موقفاً أغيظ الي من هذا، ثم قال: جائي جبريل وأخبرني أن حمزة مكتوب في اهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله، وأمر به النبي ﷺ فسجي بيرده ثم صلى عليه فكبر عليه سبعين ودفنه<sup>(٢)</sup>.

ولما جاء قاتل الحمزة الى النبي - يعني لما أسلم - قال له رسول الله ﷺ: أنت قتلت حمزة؟.

فقال: قد كان من الامر ما بلغك.

قال الرسول ﷺ: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني<sup>(٣)</sup>؟.

وفي روايه ان رسول الله ﷺ قال له: أوحشي؟ قال: نعم. قال ﷺ: أخبرني كيف قتلت عمي؟.

فأخبره، فبكى وقال: غيب وجهك عني. وهو أول من جلد في الخمر<sup>(٤)</sup>.

(١) مراقد المعارف ج: ١: ٢١٦.

(٢) وفاء الوفاء ج: ٣: ١١٤

(٣) المصدر السابق: ١١٣.

(٤) الكامل في التاريخ ج: ٢: ٢٥.

٢٠٤ ..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

وعن أبي جعفر أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تزور قبر حمزة (رضي الله عنه) ترممه وتصلحه، وقد تعلمته بحجر، وفي رواية أخرى كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة وتصلي وتبكي عنده<sup>(١)</sup>.

وروى يحيى أنه لما انكشف الناس يوم أحد وقف رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير فقال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

اللهم إن عبدك ونيك يشهد أن هؤلاء شهداء، فأتوهم وسلموا عليهم، فلن يسلم عليهم أحد ما قامت السموات والأرض إلا ردو عليه، ثم وقف موقف آخر فقال: هؤلاء أصحابي الذين أشهد لهم يوم القيامة، فقال أبو بكر: فما نحن بأصحابك؟ فقال: بلى، ولكن لا أدري كيف تكونون بعدي، إنهم خرجوا من الدنيا خماصاً<sup>(٣)</sup>.

وذكر البيهقي، أن الواقدي قال: كانت فاطمة الخزاعية تقول: لقد رأيتني وغابت الشمس بقبور الشهداء ومعني أخت لي، فقلت لها: تعالي نسلم على قبر حمزة فوقفنا على قبره، فقلنا: السلام عليك يا عم رسول الله ﷺ، فسمعنا كلاماً ردّ علينا، وعليكم السلام ورحمة الله.

وعن العطار عن خالته: فسمعت رد السلام، وقالوا: والله إننا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضاً<sup>(٤)</sup>.

وهذه الروايات رواها صاحب الوفاء بأسانيد صحيحة عندهم، وهذا إما يدل على أن شرعية زيارة القبور، وأنهم يسمعون ويردون السلام وقد ثبت في الصحيح أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت في حياة أبيها الرسول ﷺ تزور قبر عمها حمزة فلو كانت

(١) وفاء الوفاء ج ٣: ١١١.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

(٣) وفاء الوفاء ج ٣: ١١٠.

(٤) المصدر السابق: ١١٢.

هناك حرمة أو شرك كما يعبرون لنهاها رسول الله ﷺ ... بل إنه قال ﷺ: ((من زارني ولم يزر قبر عمي حمزة فقد جفاني)).

إذن لماذا يمنعونا من التقرب إليهم وإلى رسول الله ﷺ، فهم يريدون أن يبعدونا عنهم، ويبعدونهم عنا بكل الطرق والوسائل، ولكن الله ورسوله ﷺ وأهل بيته يعلمون علم اليقين أن قبورهم في قلوبنا فلا يستطيعون الظلمة من أعدائهم أن يمحوها.

### موقع قبر حمزة عليه السلام:

يقع قبر حمزة وبقية الشهداء، في مقبرة بالقرب من جبل أحد، يقع هذا الجبل بالقرب من المدينة المنورة وعلى بعد (٤ كم) منها.

يقول السهمودي: وعليه قبة عالية حسنة متقنة وبابه مصفح كله بالحديد، بنته أم الخليفة الناصر لدين الله وذلك في سنة تسعين وخمسائة... وقريب منه مسجد يذكر أنه موضع قتله.

ثم يقول: وأما قبر حمزة فإنه اليوم مبني بمحصى بالقصة لا خشب عليه وفي أعلاه من ناحية رأسه حجر فيه بعد البسملة ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(١)</sup>، هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب عليه السلام ومصلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

واليوم قبره عبارة عن أرض جرداء مسورة في وسطه قبران ظاهران محددان الشرقي منهما ينسب لحمزة والغربي لمصعب بن عمير وعبدالله بن جحش ابن عمه النبي وأخو زوجته، ومن خلفهما مجموعة قبور محددة تدل على قبور جمع من الشهداء.

(١) التوبة: ١٨.

(٢) وفاة الوفاء ج ٣: ١٠٤.

## محمد النفس الزكية:

أبو عبدالله محمد بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب ﷺ. ولد سنة مائة، وأستشهد لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة.

قتل أيام أبي جعفر المنصور. ومشهده شرقي جبل سلع، وعليه بناء كبير بالحجارة السود، وقصدوا أن ينوا عليه قبة فلم يتفق، وهو داخل مسجد كبير مهجور<sup>(١)</sup>. ومرقده بضواحي مدينة الرسول الأعظم ﷺ في الموضع الذي أستشهد فيه ويعرف: (بأحجار الزيت)<sup>(٢)</sup>، وقيل نقل جسده إلى البقيع وأقبر فيه<sup>(٣)</sup>. وهناك قبور كثيرة لصحابة النبي ﷺ، ولأبناء الأئمة ﷺ في البقيع وفي المدينة قد طمست بيد هذه الشرذمة التي أبتليت بهم هذه الأمة.

وقد روي عن الإمام الصادق ﷺ - مضموناً - أن كثير من معالم رسول الله طمست فلم يبقوا لها أثر.

فماذا يقول الإمام الصادق ﷺ في مثل هذا فإن خطبها أعظم وأكثر قساوة. إن الإنسان فيه جنبه حسية وجنبه بشرية، فالذي يشده إلى الدين هو المعالم الجغرافية، ولذلك جعل الله ﷻ له بيتاً مع أن هذا البيت ليس معناه أن الله ﷻ جسم وهذا بيته، وإنما جعل هذه المعالم مشاعر شعرها ﷻ لأجل أن تلصق البشر حساً بالباري تعالى.

(١) وفاء الوفاء ج ٣: ١٠٥.

(٢) أحجار الزيت موضع بالمدينة قريب من الزوراء وهو.. وهو موضع الاستسقاء.. وقال العمراني: أحجار الزيت موضع بالمدينة داخلها. معجم البلدان ج ١: ١٣٣.

(٣) مراقد المعارف ج ٢: ٢٤٠. ﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

## من المدينة إلى مكة:

توجد في مدينة مكة المكرمة معالم كثيرة لا تعد ولا تحصى، فإنها أي مكة بلد آباء وأجداد النبي ﷺ وكانت فيها ولادته، وبداية دعوته إلى الإسلام، وموضع مهبط الوحي.

### مولد النبي ﷺ:

ولد النبي ﷺ في دار أمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ وتقع الدار في فم شعب أبي طالب بالقرب من المسجد الحرام، مقابل باب السلام. وهو الشعب الذي كان يسكنه بنو هاشم وفيه حاصرتهم قريش عند بعثته ﷺ وبني فوكة مسجد ثم هدم، ثم بنيت في المكان نفسه - مكان ولادته - عمارة جعلت مقراً لمكتبة مكة سنة (١٣٧١ هـ)، يقول ابن جبير في رحلته:

((ومن مشاهد الكريمة أيضاً مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) والتربة الطاهرة التي هي أول تربة مست جسمه الطاهرة، بني عليها مسجد لم يُر أحفل بناء منه، أكثره ذهبٌ منزلٌ به، والموضع المقدس الذي سقط فيه (صلى الله عليه وسلم) ساعة الولادة السعيدة المباركة التي جعلها الله رحمة للأمة أجمعين، محفوف بالفضة، فيا لها من تربة شرفها الله بأن جعلها مسقط أطهر الأجسام ومولد خير الأنام. يفتح هذا الموضع المبارك فيدخله الناس كافة متبركين به في شهر ربيع الأول ويوم الاثنين منه... وتفتح المواضع المقدسة المذكورة كلها وهو يوم مشهور بمكة دائماً<sup>(١)</sup>)).

ويقول بورخارت: إنه وجد العمال يعيدون بناء المبنى الذي كان مشيداً فوقه، وقد وجد حفرة صغيرة في الوسط قيل له إنها البقعة التي كانت أم النبي جالسة فيها حينما جاءها المخاض فولدته.



## دار السيدة خديجة (عليها السلام):

وهو من أطهر المنازل بعد منزل مولد النبي ﷺ، وفيه نزل القرآن الكريم، فكان نزول الوحي فيه مراراً، وفيه تم زواج رسول الله ﷺ من خديجة ﷺ، وفيه ولدت السيدة خديجة فاطمة الزهراء ﷺ، وفيه بات أمير المؤمنين ﷺ في مكان رسول الله ﷺ عندما أراد الأعداء الهجوم على رسول الله ﷺ وقتله. وفيه أيضاً توفيت السيدة خديجة ﷺ.

ويقول ابن جبير: وعلى مقربة من دار خديجة (رضوان الله عليها) ... وفي الزقاق الذي يلي الدار المكرمة فيه مصطبة فيها متكأ يقصد الناس إليها ويصلون فيها ويتمسحون بأركانها لأن في موضعها كان موضع قعود النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وتقع دار خديجة ﷺ حالياً بالقرب من الصفا والمروة في الساحة التي أصبحت موقف لحافلات نقل الركاب، وليس لها أثر اليوم.

وفي نفس المكان دار أبو طالب ﷺ الذي تربى وترعرع فيها رسول الله ﷺ والإمام علي بن أبي طالب ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه المنطقة تقع الكثير من دور بني هاشم وبني عبد المطلب. ودار الأرقم بن الأرقم.

## مقبرة جنة المعلاة:

وتسمى بمقبرة الحجون، لوجود جبل الحجون المشرف على هذه المقبرة، وتسمى مقبرة أبو طالب، وجنة المعلى.

وتقع هذه المقبرة في الشمال الشرقي من مدينة مكة المكرمة بين طريقين، شارع المسجد الحرام، وشارع الحجون بالقرب من جبل الحجون، وجسر المعابدة. والذي تم دفنهم في هذه المقبرة هم:

(١) المصدر السابق.

(٢) دليل الحاج: ٤٤.

- ١- قصي بن كلاب الجد الأكبر للنبي ﷺ وهو أول من دفن في هذه المقبرة. ودفن معه أولاده الأربعة.
- ٢- عبد المطلب بن هاشم.
- ٣- أبو طالب بن عبد المطلب. أبو الإمام علي (عليه السلام).
- وهما اللذان كفلا النبي ﷺ بعد وفاة أبيه وبعد وفاة أمه، وحزن ﷺ حزناً كثيراً على عمه أبي طالب (عليه السلام).
- ٤- خديجة بنت خويلد.
- زوجة رسول الله ﷺ الأولى، ولم يتزوج ﷺ عليها إلا بعد وفاتها، وهي أم السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وأول نساء هذه الأمة إسلاماً كما يقول الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد بشرها رسول الله ﷺ بأن لها بيتاً في الجنة<sup>(١)</sup>.
- قال رسول الله ﷺ: ((أمرت أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب<sup>(٢)</sup> فيه ولا نصب<sup>(٣)</sup>))<sup>(٤)</sup>.
- وروت عائشة، قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من الثناء عليها والإستغفار لها، فذكرها يوماً فأحتملتنى الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله تعالى من كبيرة السن. فرأيت غضباً غضباً أسقطت في خلدي، وقلت في نفسي: اللهم إنك إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد إلى ذكرها بسوء.
- فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت قال: كيف قلت ؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وآوتني إذ رفض الناس، ورزقت منها الولد وحُرمتيه مني. قالت: فغدا وراح علي بها - أي بهذه المقالة - شهراً<sup>(٥)</sup>.

(١) أم المؤمنين خديجة: ٢٣.

(٢) الصخب: الصوت والضجيج.

(٣) النصب: التعب.

(٤) بحار الأنوار ج ١٦: ٧، الحديث: ١٢، تاريخ يعقوبي ج ٢: ٣٢.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ج ١: ٢٣٨.

وكان رسول الله ﷺ لا يفارق قبرها إلى أن هاجر من مكة، وكان على قبرها قبة. وقد ذكر بورخارت في رحلته أن الوهابيين قد هدموا القبة التي كانت مشيدة على قبر (ستنا خديجة) ولم يعد بناؤه، مع أن الحجاج وسائر الناس كان من المعتاد أن يزوروه بأنظام، لا سيما في أيام الجمع صباحاً. ويقع هذا القبر في المقبرة الموجودة في محلة (المعلا) وهو محاط بجدار مربع ليس فيه ما يلفت النظر سوى حجر حفرت عليه آية الكرسي بخط كوفي<sup>(١)</sup>.

هذا هو حال قبور أعز الخلق لرسول الله ﷺ بعد وفاته، فإن هذه الشذمة أكملت تلك المؤامرة التي شنّها مشركي قريش وبني أمية على أهل بيت النبي ﷺ. ماذا يقولون لرسول الله ﷺ يوم القيامة؟! أنحن الذين طمسنا آثارك يا رسول الله ﷺ أم يقولون دعونا إلى التوحيد فهتكنا قبوركم وطمسنا آثاركم؟! ٥-

القاسم والطيب أبنا رسول الله ﷺ.

وأهمهم السيدة خديجة (عليها السلام).

٦- سمية أم عمار وهي الشهيدة الأولى في الإسلام، وأبناها عبدالله بن ياسر، أخو

عمار. وغيرهم كثير.

وقال رفعت باشا في مرآة الحرمين: قد زرنا هذه المقابر وقت مرورنا بها، ويحيط بالمقبرة سور قديم مبنً بالحجارة وبها قبور كثيرة من الصحابة، وبالشق الأيسر قبة شاهقة على قبر السيدة خديجة أم المؤمنين (رضوان الله تعالى عليها) وبه أيضاً جملة من القباب قيل لنا: إنها على مقابر عبد مناف وعبد المطلب بن هاشم أجداد النبي ﷺ وكذلك قبة على قبر عمه أبي طالب.

وتحظى منطقة الحجون - إضافة إلى ما لها من أهمية بسبب عظمة الشخصيات المدفونة فيها - بقداسة خاصة لدى المسلمين ولا سيما أهل السنة، وذلك لأن النبي ﷺ حينما عاد من المدينة ودخل مكة، دخلها من هذه المنطقة وسكن فيها<sup>(٢)</sup>.

(١) موسوعة العتبات المقدسة ج ٢: ٢٧٧.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٣: ٢٢٠.

## أما حواء:

هناك قبر للسيدة حواء (عليها السلام) يقع في جدة، وكانت هناك عادة عند الحجيج من المسلمين ومن المؤمنين الذين يأتون عن طريق جدة البحري يزورونه، وكان حقا أمر مشيد، واليوم طمس ولا أثر له.

## النبي يسع (عليه السلام):

هناك قبر في المنطقة الشرقية ينسب للنبي يسع (عليه السلام)، وكان مؤمني الأحساء والقطيف لا يتركون زيارته، وقد جدد بنائه أحد وكلاء المراجع الدينية، ويقول أحد أساتذتنا: وقد زرته عدة مرات في السنين السابقة.

وأيضاً - كعادتهم - أمتدت يدهم إلى ذلك القبر وهدموه.

وبطبيعة الحال هناك مساجد كثيرة في مكة المكرمة والمدينة المنورة هدمت وطمست آثارها والهدم مستمر إلى يومنا هذا وبدون أنقطاع ولم نشر إليها للأختصار. وقد أعترف أحد المختصين برعاية الآثار الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، أنه في السنوات القديمة أكثر من ثلاثمائة معلم للإسلام ولنبي الإسلام طمسها الوهاية. وربما الآن وصلت إلى أكثر من خمسمائة معلم والله العالم.

## هاشم بن عبد مناف (عليه السلام):

وهو جد رسول الله ﷺ - محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم - مات بفلسطين في غزة في بعض أسفاره وكان عمره خمساً وعشرين سنة، ويقال عشرون<sup>(١)</sup>. ومرقده في مدينة غزة معروف ظاهر، ويقال لها غزة هاشم لوفاته بها. ويقول الحموي<sup>(٢)</sup> عند مادة (غزة) حيث يقول:

(١) مراقد المعارف ج ٢: ٣٥٤.

(٢) معجم البلدان ج ٥: ٣١٦.

٢١٢..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

وفيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ وبها قبره ولذلك يقال لها (غزة هاشم)، قال أبو نؤاس:

وأصبحن قد فوزن من أرض فطرس

وهن عن البيت المقدس زور

طوالب بالركبان غزة هاشم

وبالغرماء من حاجهن شقوق

والوهابيون - كعادتهم - أرادوا أن يهدموه، وقبل أربع أو خمس سنين أحدثوا هناك تفجير، وإلى سنين عديدة كان السادة الإشراف ينددون بالسلفية والوهابية بالذكرى السنوية لتفجير القبر الطاهر إعظماً بمجد النبي ﷺ الذي هو صاحب القبر.

ومن الأمور المهمة أن غزة إلى ما قبل أربعين سنة تسمى غزة هاشم، وإلى الآن هذا الاسم - غزة هاشم<sup>(١)</sup> - مثبت في السجلات الحكومية والإدارية. وقيل أن الأشراف الذين هم في فلسطين سواء كانوا في غزة أو الضفة الغربية أعترضوا أعتراضاً شديداً على هذا التغيير، أي تغيير الاسم من غزة هاشم إلى غزة بمفردها.

---

(١) وقد شاهدت يوماً ما من عام (٢٠٠٩) في إحدى القنوات الفضائية العربية عندما دخلت (باخرة شريان الحياة) لكسر حصار غزة سيارة مكتوب عليها ((غزة هاشم)).

## ملحق الصور



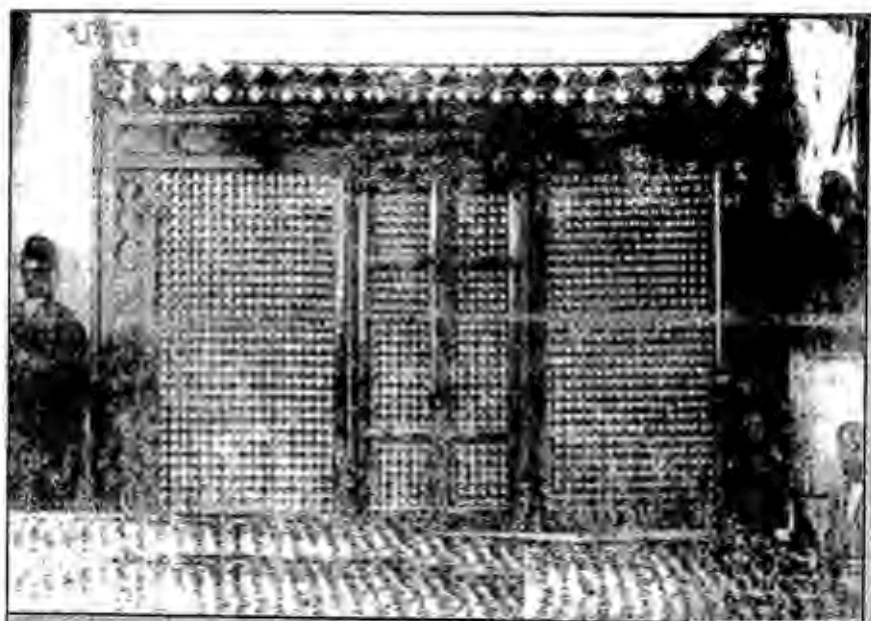


قبة ائمة البقيع قبل هدمها من قبل الوهابيين سنة ١٣٤٤ ق .



قبا مشاهير البقيع





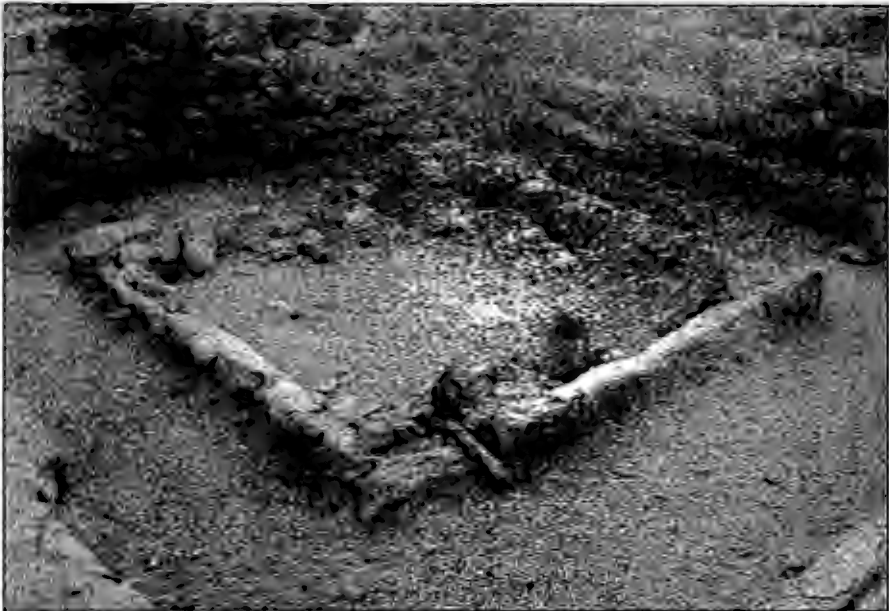
شمالاً قبور الأئمة من أهل البيت (ع) بالمشعر



بقيع العرق، منظر عام من جانب المسجد النبوي (أما)



قبور آل بيت رسول الله (ص) بعد هدم قبتهم بيد الجماعة السلفية



قبور بنات رسول الله (ص) بنت و أم كلثوم و رقية بالسفوح



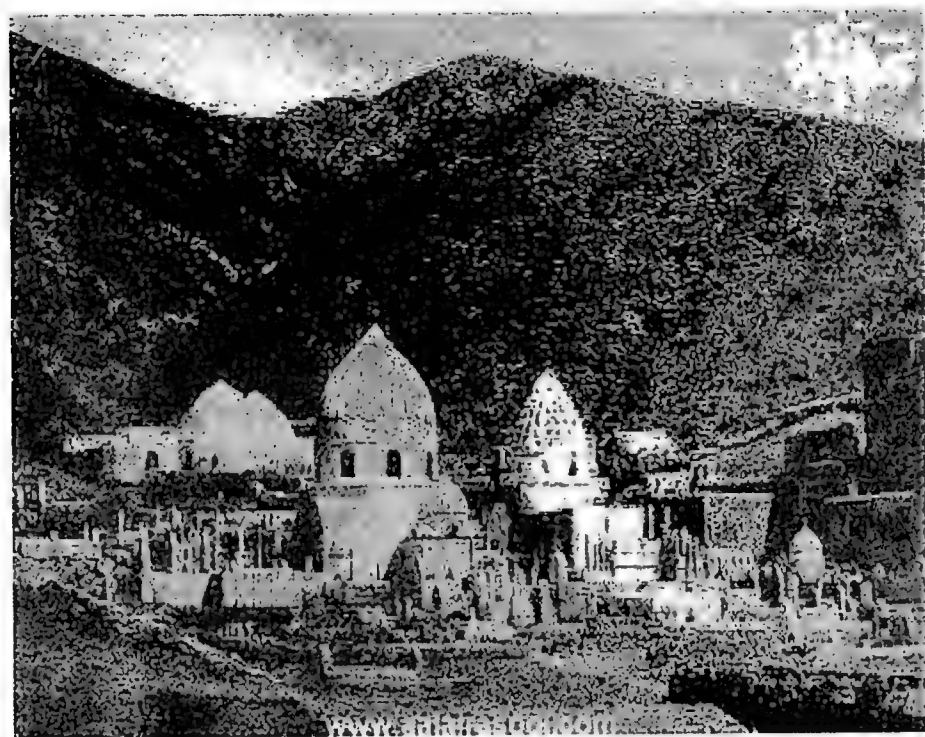
قبر عبدالله بن جعفر الطائفي - قبر عثمان بن أبي طالب



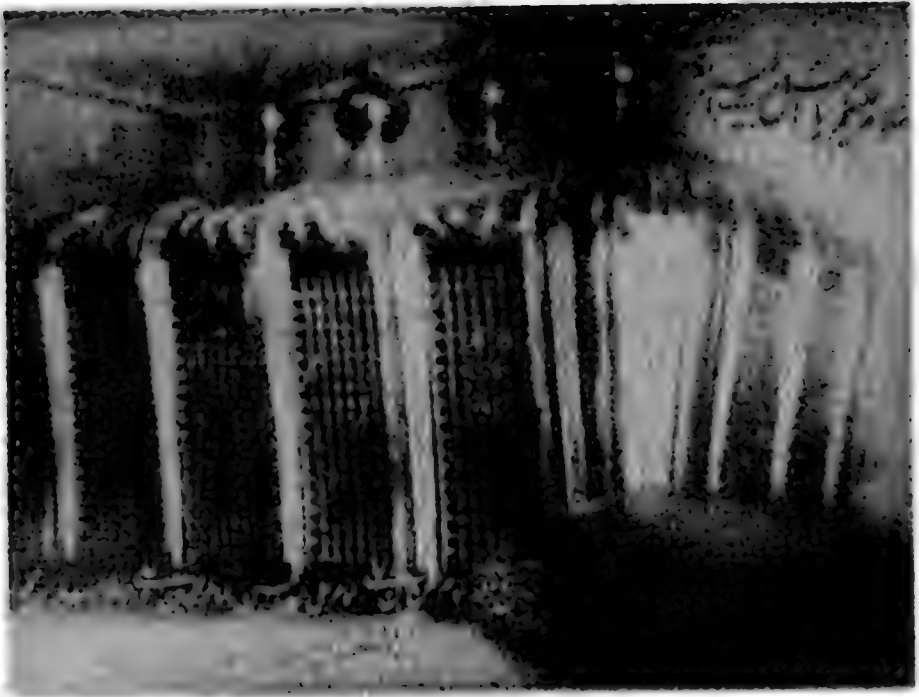
قبر إبراهيم بن رسول الله (ص) بالسفيح













قبر علي بن جعفر عليه السلام



الجرافات تهدم قبر علي بن جعفر عليه السلام





## المصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي.
- ٣- المبسوط، الشيخ الطوسي محمد بن الحسن.
- ٤- المختلف، العلامة الحلي.
- ٥- تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي.
- ٦- فقه السنة، السيد سابق.
- ٧- وفاء الوفاء، الشيخ السمهودي.
- ٨- حاشية رد المختار، لأبن عابدين.
- ٩- أصول الكافي، للشيخ الكليني.
- ١٠- شرح نهج البلاغة، لأبن أبي الحديد.
- ١١- قصص الأنبياء، للراوندي.
- ١٢- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي.
- ١٣- تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن عباس السمرقندي.
- ١٤- الحج / فضائله وأحكامه، مؤسسة البلاغ.
- ١٥- نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروس الحويزي.
- ١٦- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي.
- ١٧- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عباس.
- ١٨- كامل الزيارات، ابن قولويه.
- ١٩- منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي.
- ٢٠- الإمام علي (ع)، الشيخ الهمداني.
- ٢١- الإحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي.
- ٢٢- التفسير الكبير، الفخر الرازي.

- ٢٣- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي.
- ٢٤- مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي.
- ٢٥- المعجم الأوسط، للطبراني سليمان بن أحمد.
- ٢٦- فيض القدير في شرح الجامع الصغير، للمناوي.
- ٢٧- كنز العمال، المتقي الهندي.
- ٢٨- أرواء الغليل، محمد ناصر الألباني.
- ٢٩- مجمع الزوائد، الهيثمي.
- ٣٠- المصنف، ابن أبي شبيه الكوفي.
- ٣١- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني.
- ٣٢- علل الشرائع، الشيخ الصدوق.
- ٣٣- حجية السنة، الشيخ عبد الغني عبد الخالق.
- ٣٤- أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي.
- ٣٥- كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن الحسين الصدوق..
- ٣٦- المناقب، ابن شهر آشوب.
- ٣٧- منع تدوين الحديث علي الشهرستاني.
- ٣٨- ذخائر العقبى، الطبرسي.
- ٣٩- الفتوحات المكية، ابن عربي.
- ٤٠- غاية المرام وحجة الخصام، للسيد هاشم البحراني.
- ٤١- المناقب، ابن المغازلي.
- ٤٢- الصراط المستقيم.
- ٤٣- تفسير السلمى، للسلمى.
- ٤٤- تفسير الثعلبي.
- ٤٥- تفسير البغوي، المسمى معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي.
- ٤٦- تفسير القرطبي.

- ٤٧- سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى.
- ٤٨- الكشف للزمخشري محمود بن عمر بن محمد.
- ٤٩- روح المعانى، الآلوسى محمود البغدادى.
- ٥٠- شواهد التنزيل، الحسكانى.
- ٥١- المزار، الشيخ المفيد.
- ٥٢- الوهايين والبيوت المرفوعة، السنقرى.
- ٥٣- شفا السقام، الشيخ السبكى.
- ٥٤- السيرة الحلبية على بن برهان الدين الحلبي.
- ٥٥- تفسير الآلوسى.
- ٥٦- تاريخ دمشق، على بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر.
- ٥٧- البداية والنهاية، لأبن الأثير.
- ٥٨- الشهادة الثالثة، الشيخ على الشكرى تقريراً لأبحاث الشيخ محمد السند.
- ٥٩- المراسم العلوية، سلار بن عبد العزيز.
- ٦٠- الإمامة الألبية، تقرير لأبحاث آية الله الشيخ محمد السند.
- ٦١- السقيفة وفدك، أبو بكر الجواهري البغدادى.
- ٦٢- سيرة سيد النبيين، الشيخ جعفر السبحانى.
- ٦٣- صحيح البخارى محمد بن إسماعيل.
- ٦٤- الهداية الكبرى، الحسنى بن حمدان الخصيبى.
- ٦٥- الآمالى، الشيخ الصدوق.
- ٦٦- روضة الواعظين، النيسابورى.
- ٦٧- عقد الدرر، الشافعى، يوسف بن يحيى بن على المقدس.
- ٦٨- مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلبي.
- ٦٩- الغدير، الشيخ الأمينى، عبد الحسين أحمد النجفى.
- ٧٠- وسائل الشيعة، الحر العاملى.

٢٢٨..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام مشعر إلهي

٧١- عوالم الإنسان ومنازله، إعداد وتحقيق إبراهيم البغدادي، حوار مع سماحة آية الله الشيخ محمد السند.

٧٢- بحار الأنوار، العلامة المجلسي.

٧٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري.

٧٤- صحيح النسائي.

٧٥- المستدرک، علی الصحیحین، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.

٧٦- مسند أحمد، بن حنبل الشيباني.

٧٧- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي.

٧٨- شرح صحيح مسلم، النووي.

٧٩- منهاج السنة، ابن تيمية.

٨٠- تحفة الآخوذي المباركفوري.

٨١- سنن ابن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني.

٨٢- نيل الأوطار، الشوكاني.

٨٣- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني.

٨٤- سنن الترمذي.

٨٥- ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة.

٨٦- السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي.

٨٧- المستدرک، الحاكم النيسابوري.

٨٨- الموطأ، الإمام مالك.

٨٩- مجمع الزوائد، البيهقي، علي بن أبي بكر.

٩٠- منهاج السنة، ابن تيمية.

٩١- صحيح ابن حبان، علي بن بلبان الفارسي.

٩٢- الأستذكار، ابن عبد البر.

٩٣- شعب الإيمان.

- ٩٤- جامع البيان.
- ٩٥- عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق.
- ٩٦- أحياء العلوم، للغزالي.
- ٩٧- تاريخ ابن عساكر.
- ٩٨- السيرة النبوية، للشامي.
- ٩٩- موسوعة العلامة البلاغي.
- ١٠٠- الأعلام خير الدين الزركلي.
- ١٠١- يوم البقيع للأميني.
- ١٠٢- موسوعة العتبات المقدسة.
- ١٠٣- آل أبي طالب، السيد محسن الأمين العاملي.
- ١٠٤- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي.
- ١٠٥- معجم البلدان.
- ١٠٦- تاريخ الطبري.
- ١٠٧- الأصابة في تمييز الصحابة.
- ١٠٨- متنسد الشيعة، الشيخ النراقي.
- ١٠٩- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية.
- ١١٠- رحلة ابن بطوطة.
- ١١١- التأريخ الأمين.
- ١١٢- مستدركات علم الرجال، الشيخ النمازي.
- ١١٣- هامش تهذيب التذيب.
- ١١٤- مستدرك الوسائل، الميرزا النوري.
- ١١٥- الفايق في غريب الحديث، الزمخشري.
- ١١٦- معالم المدينة المنورة.
- ١١٧- حياة النبي وسيرته.

٢٣٠..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ مشعر إلهي

- ١١٨-مراقد المعارف.
- ١١٩-الكامل في التاريخ، عز الدين أبي الحسن علي المعروف بابن الأثير.
- ١٢٠-أم المؤمنين خديجة، باقر شريف القرشي.
- ١٢١- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب الكاتب.
- ١٢٢- تاريخ الإسلام، الذهبي.
- ١٢٣- سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني.
- ١٢٤-التوحيد، الشيخ الصدوق.
- ١٢٥- المحاسن، البرقي، أحمد بن محمد بن خالد.
- ١٢٦-المقنع، الشيخ الصدوق.
- ١٢٧-النهاية، الشيخ الطوسي.
- ١٢٨- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري.
- ١٢٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي العسقلاني.
- ١٣٠- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني.
- ١٣١- الكافي في الفقه، أبو الصلاح الحلبي.
- ١٣٢- كشف الغطاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

## الفهرس

٤.....	المقدمة
٩.....	المدخل
١٠.....	الأقسام القرآنية
١١.....	القاعدة والفقهاء
١٣.....	العقائد والفقهاء
١٥.....	أدلة القول بحرمة بناء القبور وعمارتها
١٧.....	الفصل الاول/ البحث القرآني العقلي / الأدلة الثانية
١٩.....	البحث القرآني العقلي
٢٠.....	إبليس يقترح
٢١.....	الخطاب لم يختص بآدم عليه السلام
٢٣.....	تفسير الآية
٢٧.....	الترابط بين الآيات
٣٠.....	شواهد قرآنية
٣١.....	الصحابه تبرك بالنبي ﷺ
٣٢.....	فضل التمسك بـ (علي) عليه السلام
٣٣.....	الفرق بين العبادتين
٣٦.....	من هم باب حطة
٤٥.....	الفصل الثاني/ الأدلة الخاصة
٤٧.....	كلمة قبل البحث
٥١.....	تفسير ابن عربي
٥٣.....	آيات أخرى
٦٣.....	الفرق بين الهجرتين



٢٣٢..... عمارة قبور النبي ﷺ وأهل بيته عليه مشعر إلهي

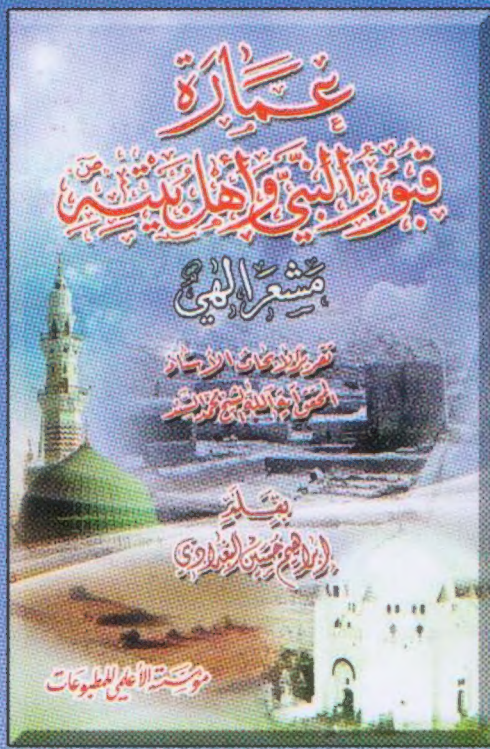
- ٦٤..... ذكر الأئمة عليهم في التسليم
- ٦٥..... طاعة أهل البيت عليهم
- ٦٦..... الشهادة الثالثة
- ٦٩..... التوسل من العبادة
- ٦٩..... التوسل والتوحيد
- ٧٥..... أثبات سماع الميت للحي
- ٨٤..... هنا يطرح تساؤلان
- ٨٩..... أهل البيت عليهم شركاء النبي في الميثاق تابعون له
- ٨٩..... مشروع الإمام المهدي عليهم
- ٩١..... وزراء الإمام المهدي عليهم
- ٩٣..... الإنتماء للنبي ﷺ وأهل بيته عليهم بأنواعه
- ١٠١..... خلاصة الكلام
- ١٠٥..... الإيمان بالمهدي عليهم
- ١٠٩..... سؤال وجواب
- ١١٢..... لولاك ما خلقت الأفلاك
- ١١٣..... قصة أصحاب الكهف
- ١١٧..... الفصل الثالث/البحث الروائي/أدلة القول بجرمة بناء القبور وعمارتها
- ١٢٠..... تقريب الدلالة
- ١٢٠..... الحياة في الآخرة والبرزخ أشد قوة من الدنيا
- ١٢٤..... الصدد عن زيارة القبور
- ١٢٦..... الدليل الثاني والثالث والرابع
- ١٢٨..... الجواب على الاستدلال بهذه الأحاديث
- ١٢٨..... أزمة منهج الاستظهار عند السلفية
- ١٣٠..... كراهة ارتفاع القبور عند جمهور علماء السنة لا الحرمة

- أختصاص هدم القبور بالمشركين..... ١٣٣
- سبب نسخ النهي عن زيارة القبور..... ١٣٤
- اتفاق جمهور السنة على رجحان زيارة القبور..... ١٣٤
- الحكمة في الامر بهدم قبور المشركين..... ١٣٥
- وضوح دلالة الآيتين..... ١٣٦
- الحكمة في النهي ثم الامر بزيارة القبور..... ١٣٧
- الحكمة في نهى النساء عن زيارة القبور..... ١٣٨
- زيارة فاطمة عليها السلام بنت النبي لقبر حمزة..... ١٣٩
- نسخ كل من النهي عن زيارة القبور والنهي عن عمارتها..... ١٤٠
- الجواب بالاستدلال على هذه الأحاديث..... ١٤٣
- الحكمة في النهي عن جعل القبور محلاً لسجود الصلاة..... ١٤٤
- اتخاذ القبور مساجد..... ١٤٥
- أخذ قبره وثناً هو بالقول بأنه ابن الله أو القول بتعدد الألهة..... ١٤٦
- أخذ قبور الأنبياء مساجد أي القول بتأليههم..... ١٤٨
- جمهور علماء السنة على عدم حرمة السفر الى غير المساجد الثلاثة..... ١٥٠
- فضيلة المسجد النبوي بأهل البيت عليهم السلام..... ١٥١
- تقريب الاستدلال..... ١٥١
- الفصل الرابع/ أدلة القول بوجوب عمارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبور أهل بيته الطاهرين..... ١٥٣
- سيرة المسلمين في قبور الأنبياء..... ١٥٥
- شعيرة قبور الأنبياء في المسجد الحرام..... ١٥٧
- حفظ قبور الأنبياء عن الأندراس بعمارها..... ١٥٧
- الروضة عند قبره صلى الله عليه وآله وسلم مشعر عند المسلمين..... ١٥٨
- الروضة بين بيوته صلى الله عليه وآله وسلم شاملة لقبور ذريته الأطهار..... ١٥٩
- فائدة في حدود الروضة..... ١٦٣

- سن النبي ﷺ إقامة المآتم عند قبور أهل بيته عليه ..... ١٦٦
- سن النبي ﷺ الدعاء والعبادة عند قبور أهل بيته عليه ..... ١٦٧
- جملة من سنن النبي في زيارة قبر والدته عليه ..... ١٦٨
- توقيته ﷺ الحج بزيارة قبره ..... ١٧١
- الحج وزيارة قبر النبي ﷺ وأهل بيته عليه من دون التفريط بكل منهما ..... ١٧٢
- مسجد الكوفة أعظم من بيت المقدس ..... ١٧٥
- عمارة قبره ﷺ بقاء للشهادة الثانية ..... ١٧٦
- طمس قبره ﷺ إماته لذكره ..... ١٧٦
- هدم القبور الطاهرة ..... ١٨١
- فتوى هدم القبور الطاهرة ..... ١٨٣
- نص الجواب ..... ١٨٤
- هدم القبور ..... ١٨٦
- ماذا يقول بورخارت ..... ١٨٨
- مقبرة البقيع ..... ١٨٩
- النبي ﷺ يستغفر لأهل البقيع ..... ١٩٠
- وأخيراً فعلوها ..... ١٩١
- مشاهد مشاهير البقيع ..... ١٩٢
- أسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه ..... ١٩٦
- علي بن الإمام جعفر الصادق عليه ..... ١٩٧
- آمنة بنت وهب ..... ٢٠٠
- عبدالله بن عبد المطلب ..... ٢٠٢
- حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ ..... ٢٠٣
- موقع قبر حمزة عليه ..... ٢٠٥
- محمد النفس الزكية ..... ٢٠٦

٢٠٧	من المدينة الى مكة
٢٠٧	مولد النبي ﷺ
٢٠٨	دار السيدة خديجة (عليها السلام)
٢٠٨	مقبرة جنة المعللة
٢١٨	أمناء حواء
٢١٨	النبي يسع (عليه السلام)
٢١٨	هاشم بن عبد مناف
٢١٣	ملحق الصور
٢٢٥	المصادر:
٢٣١	الفهرس





## منشأة الأعلام للطبوعات

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة  
مفرق سنقر زعرور - ص. ب. ٧١٢٠ / ١١  
هاتف: ٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٤٥٠٤٢٧ / ٠١  
فرع ثاني: العراق - كربلاء - شارع السدرة  
موبايل: ٠٧٨٠١٥٦١٩٨٠ - هاتف: ٣٢٢٤٠٦

Published By Ala'ami Library  
Beirut - Lebanon PO.Box 7120  
Tel - Fax : 450427

E-mail: alaalami@yahoo.com.

WWW.ALAALAMI.COM

المكتبة التخصصية للرد علم الوهابية